ضالة الأديب

ترجمة وديوان

سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه العلوي التِّيشيتي

(ت 1275هـ/9-1858م)

تأليف

سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه العلوي التِّيشيتي

(1247هـ/2-1831م - 1300هـ ؟ /3-1882م ؟)

تحقيق ودراسة

الدكتور أحمد ولد الحسن

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو -

1417هـ/1996م

التصفيف والتوضيب بالإيسيسكو

رقم الإيداع القانوني : 909/96
ردمك : 2-062-26-9981

السحب : مطبعة ديديكو
سلا. المملكة المغربية

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المنظمة.

2800
٢٠٠٠/٢/٢٠

ضالة الأديب

ترجمة وديوان

سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه العلوي النَّيشيتي

(ت 1275هـ/9-1858م)

تأليف

سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه العلوي النَّيشيتي

(1247هـ/2-1831م - 1300هـ؟/3-1882م؟)

تحقيق ودراسة

الدكتور أحمد ولد الحسن

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 1417هـ/1996م

تقديم

لقد أولت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة منذ إنشائها عناية فائقة التعريف بالتراث الثقافي الإسلامي في الدول الأعضاء، إيماناً منها بما لهذا التراث من دور عظيم في ترسيخ الهوية الإسلامية لأبناء الأمة، وتوثيق عرى انتمائهم إلى دينهم وحضارتهم، وتعريفهم بما لسلفهم الصالح من حسن البلاء في الدعوة إلى الله ونفع عباده.

وفي هذا النطاق يندرج نشر هذا الكتاب، " ضالة الأديب" لابن ابنوجه التيشيتي، وهو كنز دفين ينشر لأول مرة عن مخطوطة وحيدة بخط المؤلف.

والكتاب في أصله ترجمة وافية وديوان شعر لعالم مسلم جليل وشاعر عربي مجيد، وهو يتضمن نماذج فريدة من العطاء الثقافي لسكان بلاد شنقيط (موريتانيا الحالية) في ميادين القرآن والفقه والنحو واللغة والشعر، كما يحوي شهادات ووثائق تاريخية بالغة الأهمية عن حركات الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا (موريتانيا ومالي والسنغال) خلال القرن الماضي، ويرسم صورة وضاءة مشرقة لعلاقات الأخوة والألفة وتبادل المنافع بين هذه الشعوب في نطاق المرجعية الحضارية الإسلامية الجامعة.

وقد تولى تحقيق الكتاب د. أحمد ولد الحسن، الخبير بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، فبذل جهداً كبيراً مثمراً في تبيين غوامضه وتخريج استشهاداته والتعريف بأعلامه ومعالمه.

وإني إذ أشكر المحقق أجزل الشكر على هذا العمل القيم، لأرجو الله تعالى أن يجعل في نشره ما نتوخى من نفع وفائدة، وأن يوفقنا لمزيد من العمل الثقافي البنّاء، إنه سميع مجيب.

المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الذي نتشرف اليوم بتقديمه إلى القارئ وثيقة نادرة تسد فراغا كبيرا في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية في بلاد شنقيط والسودان الغربي، وتلقي أضواء جديدة على تاريخ هذه المنطقة خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، والقرنين السابقين عليه.

وقد عثرنا على نسخته الوحيدة - حسب علمنا - وهي بخط مؤلفه، خلال زيارة قمنا بها لباماكو، عاصمة جمهورية مالي، صائفة سنة 1411هـ/1991م، وذلك بمكتبة الشيخ الفاضل محمد الهادي تيام إمام الزاوية التجانية الأخضرية بها. وقد تفضل ابنه أخونا الأستاذ محمد علي تيام بإهدائنا صورة من هذا المخطوط، فلهما أزكى الشكر وأعطر الثناء.

والكتاب - في أصله - ديوان شعر لسيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه العلوي التِّيشِيتي (ت 1275هـ/9-1858م)، جمعه ابنه سيدي عبد الله، وافتتحه بترجمة وافية لأبيه.

ومنذ وقع الكتاب بأيدينا رأينا فيه كنزا دفينا من كنوز التراث الشنقيطي، إذ هو يتضمن ذخائر نادرة: من شعر رجل لم نكن نعرف له شعرا، ومن أسانيد علمية دقيقة، ومعطيات ثقافية نفيسة كانت كلها مهددة بالضياع.

وقد بذلنا جهدنا المتواضع في إخراج هذا الكنز، بتحقيقه تحقيقا علميا، راجين أن يكون في ذلك إنارة جديدة لحقبة بالغة الأهمية من التاريخ الثقافي لبلاد شنقيط، ولعلاقاتها بما جاورها من بلاد السودان الغربي المسلم خلال القرن الثالث عشر الهجري.

وقد دعانا الاشتغال بتحقيق هذا الكتاب إلى محاولة التعريف بالشخصيتين الأساسيتين فيه، أي سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه - وندعوه صاحب الديوان -، وابنه سيدي عبد الله - وندعوه المؤلف -. ووجدنا في أخبارهما اضطرابا واندراسا، فسعينا وسعنا إلى جلاء صورتيهما التاريخيتين، وبقي على جوانبهما مع ذلك ظلال من غموض، نرجو أن نستثير لها همم الباحثين.

وسنعرض، ضمن هذه المقدمة، إلى ترجمة كل منهما، بعد عرض نقدي لمصادرها، ثم نصف بنية الكتاب ونبين منهجنا في تحقيقه، وبالله تعالى التوفيق.

I ـ ترجمة صاحب الديوان

I. 1. المصادر :

لقد حاولنا، منذ عثرنا على ضالة الأديب واشتغلنا بتحقيقها، أن نستقرئ مظان ترجمة صاحب الديوان في مختلف المصادر المتعلقة بتاريخ بلاد شنقيط الثقافي، وأفضى بنا هذا البحث إلى حصر عدد من الكتب التي تختلف طبيعة وعصرا، ويتفاوت ما تحويه مما له بموضوعنا تعلق كما وكيفا.

وحين رمنا أن نقارن هذه المصادر بعضها ببعض، وننظر فيها بعين الناقد المحص، بدا لنا جليا أنها تنقسم إلى فئتين متمايزتين، لكل منهما سماتها المشتركة :

ـ المصادر الحديثة (أي المكتوبة في القرن 14هـ/20م).

ـ المصادر القديمة (أي المكتوبة في القرن 13هـ/19م).

I. 1. 1. المصادر الحديثة :

وأهمها ثلاثة، و هي على ترتيب تاريخ تأليفها :

ـ الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لأحمد بن الامين العلوي الشنقيطي[1].

ـ حياة موريتانيا، جزء الحياة الثقافية، للمختار بن حامد[2].

ـ بلاد شنقيط المنارة والرباط، للخليل النحوي[3].

وتشترك هذه المصادر الثلاثة في الاضطراب الواضح العالق باسم الرجل ونسبه، وفي الصورة الباهتة التي ترسم له. ولنعكس الترتيب التاريخي ونبدأ بأحدثها عهدا.

---

(1) صدرت الطبعة الأولى منه بالقاهرة سنة 1913م.

(2) اكتمل تأليفه حوالي سنة 1978م، وصدر بتونس سنة 1990م.

(3) صدر بتونس سنة 1988م.

فالخليل النحوي قد أفرد صاحب الديوان بترجمة ضمن تراجم أعيان الشناقطة فسماه "محمد بن أحمد الصغير (بدلا من محمد الصغير) ابن امبوجه"[1]. وقد دعاه في سياق ثان "أحمد بن محمد الصغير"[2]، وسماه في ثالث "محمد الصغير التِّيشيتي"[3].

وقد شمل هذا الاضطراب في النسب أخاه، إذ ترجم له باسم "عبيدة بن أحمد بن محمد الصغير التشيتي"، ثم ذكره في قائمة المؤلفين التي استدركها على ابن حامد، فدعاه "عبيدة بن أحمد الصغير بن امبوجه"[4].

ولم يك النحوي في هذا الأمر بدعا، فقد سبقه إليه ابن حامد، وهو من هو، فعد صاحبنا من "شراح الجرومية"، ودعاه "محمد بن أحمد الصغير بن انْبُوجَه التِّيشيتي"، وذكر مدرسة أهل انْبُوجَه فعد من رجالها "محمد بن أحمد الصغير" بعد أن بدأ "بعبيدة بن أحمد الصغير بن انْبُوجَه"[5].

من أين إذن أتى تحريف اسم والد الرجل من "محمد الصغير" إلى "أحمد الصغير" ؟ ولماذا بهتت صورته حتى كادت تطغى عليها صورة أخيه وتلميذه سيدي عبيدة ؟

أما الأمر الأول فهو - على ما نرجح - خلط شائع إلى أقصى الحدود بين سيدي محمد ابن محمد الصغير بن انْبُوجَه العلوي وعلم آخر يشترك معه في العصر والموطن والصيت العلمي الذائع والطريقة الصوفية، وإن كان يخالفه اسما ونسبا ونسبة.

إنه أحمد الصغير بن حمى الله المسلمي التِّيشيتي (ت 1272)[6]، الذي كان - كصاحبنا - فقيها كبيرا من فقهاء تيشيت، وقد عاش في الفترة ذاتها التي عاش فيها سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه، وكان مثله تجانيا.

وقد اتضح لنا أن أول مصدر ظهر فيه هذا الخلط كان كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، إذ عقد مؤلفه ترجمة لابن انْبُوجَه فسماه "سيدي أحمد بن محمد الصغير، المعروف بابن انْبُوجَه وهي أمه"[7].

---

(1) النحوي : بلاد شنقيط، ص 523.

(2) النحوي : بلاد شنقيط، ص 70.

(3) النحوي : بلاد شنقيط، ص 23، مع أنه ينقل عن سكيرج في كشف الحجاب (ص 364)، وقد حلاه بصاحب الجيش دون ذكر اسمه.

(4) النحوي : بلاد شنقيط، ص 521، وص 620.

(5) ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 204.

(6) ترجمته في المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 106، وابن حامد : أهل محمد مسلم، ص 34. وذكره في الحياة الثقافية، ص 203. والنحوي : بلاد شنقيط، ص 504.

(7) الشنقيطي : الوسيط، ص 89.

وقد نقل الشنقيطي عن سيدي العربي بن السائح[1] كلاما سنعود إليه إن شاء الله في معرض الحديث عن المصادر القديمة، ويهمنا منه في هذا المقام أن الصوفي الرباطي الجليل قد سمى صاحبنا "سيدي محمد بن الصغير".

وقد أبدى الشنقيطي اعتراضا على هذه التسمية، فقال معقبا على كلام مؤلف بغية المستفيد : "كذا قال "محمد بن الصغير"، والذي كنت أظن أن اسم هذا المؤلف هو الشيخ سيدي أحمد الصغير بغير ابن"[2].

وحين عرض الشنقيطي لصاحبنا في ترجمة خصمه اديبجه الكمليلي، صمم ولم يعرج على قول ابن السائح، فدعاه "أحمد الصغير بن انْبُرجَه"[3]. فنحن نعتقد إذن أن منشأ هذا الخلط هو كتاب الوسيط، الذي تجمع مؤلفه بصاحب الديوان صلات عديدة قبلية وصوفية، تجعل من بعده يعتمد عليه فيما يتعلق به.

وقد يكون من دواعي اطراد اللبس وجود ابن لأحمد الصغير المسلمي يدعى محمدو (ت 1324هـ)[4]، فيتشاكل الاسمان : سيدي محمد بن محمد الصغير، محمدو بن أحمد الصغير، ويتداعيان، مع كل السمات المشتركة في الوطن والعلم والطريقة الصوفية.

وأما الأمر الثاني، وهو طغيان صورة سيدي عبيدة بن محمد الصغير على صورة أخيه وشيخه سيدي محمد، فلعل مرده إلى الانتشار الواسع الذي حظي به كتابه "ميزاب الرحمة الربانية، في التربية بالطريقة التجانية"[5].

ومن الغريب جدا أن هذا الكتاب المطبوع الواسع الانتشار قد استهله صاحبه بالثناء المستفيض على أخيه وشيخه، وصرح بأنه إنما ألفه استمدادا من عامه وبإشارة منه، واقتبس في ذلك من الآية الكريمة ﴿ ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾[6].

والأهم من ذلك في هذا السياق والأغرب أن الكتاب قد تضمن ترجمة، بالغة الثراء على إيجازها، للشيخ الأخ كما كان يدعوه سيدي عبيدة. وسنعود إلى استثمار هذا النص في صياغة ترجمة صاحب الديوان إن شاء الله.

---

(1) سيدي محمد العربي بن السائح العمري الشرقي الرباطي : (1229هـ-1309هـ) الفقيه المحدث الكبير والصوفي الجليل والشاعر المجيد، من أبرز مشايخ الطريقة التجانية، قوي الصلة ببلاد شنقيط وسكانها، اشتهر بكتابه بغية المستفيد، وقد شرح به "منية المريد" وهي منظومة للتجاني بن بابه بن أحمد بيمه العلوي الشنقيطي في سيرة الشيخ أحمد التجاني وآداب طريقته، ترجمته في سكيرج : كشف الحجاب، ص 313 وسكيرج : رفع النقاب، ج 2، ص 40 والزركلي : الأعلام، ج 6، ص 266، وقال فيه «نزيل الرباط وأديبه في عصره».

(2) الشنقيطي : الوسيط، ص 89.

(3) الشنقيطي : الوسيط، ص 369.

(4) ترجمته في ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 203، وقائمة مؤلفاته في النحوي : بلاد شنقيط، ص 581.

(5) طبع في القاهرة مطلع هذا القرن، وتوجد منه نسخ مخطوطة عديدة.

(6) سورة يوسف، الآية 76.

ومع ذلك فإن أحدا من المترجمين المعاصرين لصاحب الديوان لم يرجع إلى هذا النص الأساسي، إلا أن يكون ابن حامد قد استقى منه - ولو بواسطة على ما نرجح - بعض مؤلفات صاحب الديوان. ولكن ذلك لم يمنعه، ولا صاحب الوسيط، أن يلتبس عليهما أمر اسمه ونسبه، ويخفى عليهما أنه شيخ سيدي عبيدة الذي عليه معوله.

وقد صرح سيدي عبيدة بهذا الأمر أكثر من مرة، منها على سبيل المثال قوله: "فالجامع (يعني نفسه) لقنه الشيخ الأخ الشقيق، البر الشفيق، الفاضل القدوة النحرير، سيدي محمد بن محمد الصغير، أبقى الله طلعته متعة للمتمتعين، ومآثره نزهة للمستمعين"[1].

وكان تتلمذ سيدي عبيدة على سيدي محمد معروفا عند معاصريه، فمن ذلك أن الفقيه أگنسوس[2] قد مدحه فأثنى على علمه وفضله، وأكدأنه إنما يستمد مؤلفاته من علم أخيه، فقال مخاطبا سيدي عبيدة بعد أبيات :

لما رأيت أخاك البحر طامية ... أمواجه وأردت نفع من خابا

سقيتنا الريَّ منه لاظمئت كما ... أجريت من علمه الفياض ميزابا[3].

وكان سيدي عبيدة يجيز مستجيزيه بالإسناد إلى أخيه، كما نقل عنه سيدي العربي ابن السائح إذ قال : "وممن تخرج على يد الشيخ بانم المذكور الشيخ سيدي محمد بن الصغير، مؤلف الجيش الكبير، وناهيك به رحمه الله تعالى ورضي عنه.

وممن تخرج على يد سيدي محمد بن الصغير أخوه العالم الكبير العارف بالله تعالى سيدي عبيدة مؤلف كتاب ميزاب الرحمة الربانية وغيره، وهو الذي أذن لنا وأجاز بهذا السند وكتب لنا بخط يده رحمه الله تعالى ورضي عنه"[4].

وفي ترجمة سيدي عبيدة من كتاب "روض شمائل أهل الحقيقة"، عد أحمد بن محم من فضائله ثناء شيخه وأخيه عليه فقال : "كان أخوه سيدي محمد يعترف بفضله وخصوصيته، بلغني أنه قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني وليا عارفا من آل انْبُوجَه، يعني سيدي عبيدة، وسمعت أنا منه نحو هذا بغير هذا اللفظ"[5].

---

(1) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة، ص 177.

(2) أكنسوس : راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة المؤلف، ص 129.

(3) ابن محم : روض الشمائل، ص 21.

(4) ابن السائح : بغية المستفيد، ص 259.

(5) ابن محم : روض الشمائل، ص 21.

كل هذا يؤكد ما لاحظناه بجلاء من قطيعة بين المصادر المكتوبة في القرن الرابع عشر الهجري المتسمة بالغموض والاضطراب، وتلك المكتوبة في القرن الثالث عشر الهجري، والمتميزة بالوضوح والدقة، كما سنتبين من استعراضنا إياها.

1. 1. 2. المصادر القديمة

تنقسم هذه المصادر إلى صنفين :

أ) مصادر يتضمن كل منها ترجمة مستقلة لصاحب الديوان، وهي :

أ) 1. ميزاب الرحمة الربانية، في التربية بالطريقة التجانية، لسيدي عبيدة بن محمد الصغير بن انْبُوجَه[1].

أ) 2. روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لأحمد بن محم ابن العباس العلوي[2].

أ) 3. منح الرب الغفور، في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور، للطالب أبي بكر ابن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي[3].

ونظرا إلى الأهمية القصوى التي تكتسيها هذه النصوص، فقد ارتأينا إدراجها ملحقات لكتاب ضالة الأديب (الملحقات 1 و2 و3).

ب) مصادر لم تتضمن ترجمة مستقلة له، ولكنها تضمنت إشارات مهمة تتعلق به وهي :

ب) 1. نفحة المنان في تأييد اعتقاد الإخوان، لمحمدي بن سيدينا[4].

ب) 2. الأجوبة التِّشيتية، للمؤلف نفسه[5].

---

(1) سيدي عبيدة بن محمدالصغير بن انبوجه (ت 1284هـ)، شقيق المؤلف وتلميذه، العالم الصوفي، الشاعر المؤلف، ترجمته في ابن محم : روض الشمائل، ص 20. وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 204. والنحوي : بلاد شنقيط، ص 521. ورجعنا إلى طبعة القاهرة من ميزاب الرحمة.

(2) أحمد بن محم بن العباس العلوي (ت بعد 1281) عالم مؤلف مجاهد مشهور، من إيدر علي الكبلة، رحل إلى الحاج عمر وآزره في جهاده، وتوفي مع ابنه أحمدو في سيكو، ورجعنا إلى مخطوطة المرابط بن محم من روض الشمائل

(3) الطالب أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي (1256-1335) : مؤرخ ولاتي، هو صاحب الكتاب الهام "منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور"، وهو كما يدل عليه عنوانه إكمال لعمل البرتلي، وقد جمع فيه مادة إخبارية غزيرة موزعة بين عدة أجناس هي التراجم والحوليات والسيرة الذاتية، ورجعنا إلى مخطوطة معهد أحمد بابا بتمبكتُ، وقد تفضل بإهدائنا صورة منها أخونا الدكتور محمود الزبير.

(4) راجع ترجمة محمدي بن سيدينا في الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب ص 153، ورجعنا إلى مخطوطة المرابط بن محم من كتاب نفحة المنان، وسنعود إلى الحديث عنه إن شاء الله.

(5) رجعنا إلى مخطوطة المرابط بن محم من كتاب الأجوبة التيشيتية، وسنعود إلى الحديث عنه إن شاء الله.

ب) 3. الدرع والمغفر في الرد عن الحاج عمر لأحمد بن محمدي بن سيدينا[1].

ب) 4. بغية المستفيد، بشرح منية المريد[2] لسيدي العربي بن السائح.

وتشترك أربعة من هذه المصادر السبعة في أن مؤلفيها كانوا ذوي علاقات مباشرة قطعا بصاحب الديوان، فسيدي عبيدة، مؤلف ميزاب الرحمة الربانية، أخوه وتلميذه كما أسلفنا، وأحمد بن محم، مؤلف روض الشمائل، صديقه وزميله في التجانية والعلاقة القوية بالحاج عمر، وقد صرح بتاريخ لقائه إياه في ترجمته له.

وأما محمدي بن سيدينا، مؤلف نفحة المنان، والأجوبة التِّيشيتية، فقد كان مراسل صاحب الديوان نيابة عن شيخهما الشيخ محمد الحافظ، وقد لقيه في مدينة شنقيط، ومدحه بأبيات مثبتة في ديوانه وضالة الأديب. وأما أحمد بن محمدي بن سيدينا فلم نقف على صلة مباشرة له بصاحب الديوان نصا، مع أن علاقته بوالده محمدي معروفة. وكذلك سيدي العربي بن السائح، مؤلف كتاب البغية، ليس بين يدينا ما يدل على صلة له مباشرة بصاحبنا، وإن كان قد راسل أخاه سيدي عبيدة، وتلقى منه اسمه وسنده على ما أسلفنا، كما كان متمرسا بكتاب "الجيش الكفيل بأخذ الثار" الذي ألفه صاحبنا في الرد عن الطريقة التجانية، وأكثر العزو إليه.

وأما المحجوبي مؤلف منح الرب الغفور، فلم يصرح هو ولا غيره بعلاقة مباشرة بينه وبين صاحبنا، وإن كان معاصرا له، والعلاقات بين مدينتي ولاته وتيشيت من القوة بحيث يمكن أن نثق بمعلومات المؤرخ الولاتي عن علم مشهور جدا من أعلام تيشيت.

وتتفق هذه المصادر كلها - مع زيادة بعضها على بعض - في رسم صورة واضحة للرجل: اسما[3] ونسبا ونسبة وصفات أساسية، على ما سنفصله إن شاء الله في ترجمته.

---

(1) أحمد بن محمدي بن سيدينا (ت 1322هـ) ابن السابق وخليفته علماً وعملاً وتربية، ترجم له ابنه محمد الأمين (ت 1383 هـ) في "نزهة الغيب والجلاس في مناقب شيخنا أبي العباس"، وذكره ابن حامد: الحياة الثقافية، ص 293، وترجم له محقق الدرع والمغفر في مقدمته.

(2) رجعنا إلى طبعة بيروت 1393/1973.

(3) تتفق كل هذه المصادر على تسميته سيدي محمد بن محمد الصغير ابن انبوجه، مع أن منها ما يحذف محمداً من اسم الوالد، فيدعوه محمد بن الصغير (ابن السائح: بغية المستفيد)، كما أن محمدي بن سيدينا قد دعاه في نفحة المنان سيدي بن محمد الصغير، ويبدو لنا أن اسمه الصحيح هو "سيدي محمد بن محمد الصغير"، على عادة أهل بلاد شنقيط في التسمية بالعلم المركب من "سيدي" ولفظ بعدها (سيدي محمد، سيدي أحمد، سيدي عبد الله)، ومما يؤكد ذلك أن له ابناً يدعى "محمد"، وأنه كان يدعى "سيدي" على سبيل الإجلال، كما هو الشأن في كثير من العلماء، ذوي الاسم المركب (ابن الحاج إبراهيم مثلاً واسمه سيدي عبد الله وهو يدعى "سيدي")، ويشهد لهذا أن خيرى بن سيدي بن حمدان قد دعا صاحبنا "سيدي" في أبياته الواردة في ضالة الأديب، ص 152، وقد وقفنا على فتوى بخط صاحب الديوان كتب فيها اسمه هكذا: محمد بن محمد الصغير ابن انبوج" سننشر صورة منها ضمن هذا العمل وذلك منه تواضع واضح، على طريقة الأجلاء من أهل بلاده، الذين كانوا إذا كتبوا حذفوا من أسمائهم لفظ "سيدي"، وإن كان قد أصبح جزءاً من العلم (وهذا دأب الشيخين الكنتيين سيدي المختار وسيدي محمد، وابن الحاج إبراهيم وغيرهم).

وإذا نظرنا في هذه المصادر من حيث علاقتها بضالة الأديب لاحظنا ثلاثة أمور:

أما أولها فالاتفاق الإجمالي بين الجميع، بحيث لا نقف على تناقض أو تعارض بين المعطيات الواردة في ضالة الأديب وتلك الواردة في المصادر الأخرى، مما يسمح بالاطمئنان إلى وضوح المعلومات المتطابقة ودقتها.

وأما الأمر الثاني فالتفاوت الكبير بين مضمون هذه المصادر كما وكيفا، حيث ننتقل من الإشارة العابرة، كما هو الشأن في نفحة المنان والأجوبة التِّيشيتية والدرع والمغفر وبغية المستفيد، إلى الترجمة المقتضبة، كما هو الحال في منح الرب الغفور وروض شمائل أهل الحقيقة وميزاب الرحمة الربانية، إلى الترجمة المستفيضة المفردة بالتأليف، أي ضالة الأديب.

وفي هذا المضمار تبقى ضالة الأديب مصدر الترجمة الممتاز بأدق معاني الكلمة، حيث لا مقارنة لها بالمصادر الأخرى، سواء من حيث كم المعلومات الواردة فيها، أو ثراؤها وكثرة ما تحمله من دلالات على حياة الرجل وعصره، فقد استوعبت تقريبا جميع المعلومات الواردة في سائر المصادر، وانفردت بأضعافها، كنسب الرجل ونشأته وشيوخه وأسانيده ومراسلاته...

أما مؤلفاته، فإن الضالة قد استوعبت منها ما ذكره سيدي عبيدة بن انْيُوجَه في ميزاب الرحمة، وانفردت بمثله عددا، على ما يتضح إن شاء الله عند بيان لائحة هذه المؤلفات.

وأما شعر صاحب الديوان، فإن ضالة الأديب هي مصدره الوحيد الأوحد، حيث لم نكن نعرف قبل اكتشافها بيت شعر له، ولا نعلم له في مصادرنا وجودا.

وسنحاول أن نستثمر المعطيات التي تضمنتها ضالة الأديب في صياغة ترجمة صاحب الديوان، واستجلاء ملامح عصره وثقافته، على أن نجمل رأينا في هذا الأثر وقيمته آخر هذه المقدمة إن شاء الله.

وأما الأمر الثالث فانعدام الترابط بين هذه المصادر كلها بما فيها ضالة الأديب، بحيث لا يظهر اعتماد مصدر منها على آخر، فضلا عن نقله عنه، مما يؤذن باعتبار كل منها مصدرا مستقلا.

والاستثناء الوحيد من هذا العموم ينصب على العلاقة بين ضالة الأديب وميزاب الرحمة الربانية لسيدي عبيدة بن محمد الصغير.

ذلك أن المرء يلحظ تطابقا بين عبارات عديدة وردت في ترجمة صاحب الديوان من كتاب أخيه وأخرى وردت فيها من كتاب ابنه، منها على سبيل المثال قولهما: «وله عدة

تآليف غير الجيش لاح شعاع الانتفاع بها في البلاد، واستوى في قبولها ذوو الإتقان من الحواضـر والبواد»[1]، ومنها قولهما في التعريف بأحد كتب الرجل : «أدال فيه لعلماء الشريعة من علماء الحقيقة، كما عكس في الجيش، فآتى كل ذي حق حقه، وبسط له رزقه»[2]، ومنها قولهما : «فقل أن يتوجه إلى مطالعة فن إلا وضع فيه تقييدا يحسن رونقه، ويروق سندسه وإستبرقه، ليكون تذكارا وذكرى، إما نظما وإما نثرا»[3] ومنها قولهما : «تحسب فطنته في طلب الصواب جامدة وهي تمر مر السحاب..»[4].

وإذا لاحظنا أنهما يكادان يتفقان في لائحة المؤلفات التي يعزوانها إلى الرجل، مع تبسط صاحب ضالة الأديب في التعريف بها، بدا جليا أن مؤلف هذا الكتاب الأخير قد كاد يستوعب ما كتبه عمه في ترجمة أبيه، بل نكاد نجزم أن ترجمة سيدي عبيدة لأخيه كانت مصدرا رئيسا للفصل الثاني من ضالة الأديب، حتى إن هذا الفصل ليبدو شرحا للصفحتين المذكورتين من ميزاب الرحمة الربانية.

ولكن السؤال المحير لنا هو : لماذا لم يشر مؤلف ضالة الأديب إلى المصدر الذي نقل منه، أي كتاب عمه سيدي عبيدة ؟

وبناء على هذا السؤال يرد آخر ليس بأقل منه إثارة للعجب : لماذا لم يرد في ضالة الأديب كلها ذكر لسيدي عبيدة، أخي سيدي محمد، وتلميذه المقر بفضله، والعالم الجليل المؤلف المدرس ؟ ذلك سؤال لم نجد عنه جوابا مقنعا، ولعل تقدم البحث والاكتشاف يسمح باقتراض في الرد عليه.

ولنعد الآن إلى ما كنا بصدده من تبيين ملامح شخصية سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه انطلاقا من ضالة الأديب، وغيرها من مصادر ترجمته.

فقد كان سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه العلوي التِّيشيتي علما بارزا من أعلام الحياة الثقافية في بلاد شنقيط خلال القرن الثالث عشر الهجري، وهو القرن الذي لا نعتقد أنا كنا جافينا الحقيقة حين دعوناه "العصر الذهبي للثقافة العربية الإسلامية في بلاد شنقيط"[5]. ذلك أن صاحبنا كان فقيها كبيرا، وقاضيا معروفا، وشيخا بارزا من مشائخ التصوف، ومؤلفا سيال القلم في مجالات عديدة، وشاعرا مكثرا مجيدا...

---

(1) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، 105.

(2) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 5، ابن انبوجه : ضالة الأديب، 113.

(3) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، 105.

(4) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، 105.

(5) ولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 171.

I. 2. الأسرة والنشأة

لم نقف على تحديد دقيق لتاريخ ميلاده، وإن كنا نستنتج على وجه الحدس والتخمين من معطيات شتى أنه قد ولد قريبا من مطلع القرن الثالث عشر الهجري.

ومن القرائن المشيرة إلى ذلك عندنا أن محمدي بن سيدينا قد ذكره في صدر المخاطبين بكتابه "نفحة المنان، في اعتقاد الإخوان"، ووصفه بالتقدم في العلم والجلالة.

وإذا لاحظنا أن كتاب نفحة المنان قد ألف بعد وفاة الشيخ التجاني (1230هـ)، وقبل وفاة الشيخ محمد الحافظ (1247هـ)، علمنا أن من كان إذ ذاك عالما معروفا قد انتشرت شهرته من تيشيت إلى بلاد التراررة، حتى بدا أشهر أهل تيشيت في عصره، فإنه يبعد أن يكون مولودا بعد 1210هـ، لأن ذلك يؤدي إلى بلوغه هذا المبلغ العظيم من الشهرة قبل الثلاثين من العمر.

هذا من حيث الحد الأدنى، وأما من حيث الحد الأقصى، فإننا لم نعثر على ما يشير أن صاحبنا قد أدرك نهاية القرن الثاني عشر، فهو حين تحدث عن وفاة جده محمد بن الحاج محمد الملقب ابن انْبُوجَه، المتوفى في آخر القرن الثاني عشر، قد اعتمد على النقل عن والده، مما يدل على أنه لم يدركه[1].

ثم إنه لم يأخذ مباشرة عن المشائخ الأعلام الذين كانت تزخر بهم بلاد شنقيط في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، بل كان أخذه عنهم بواسطة الجيل الموالي لهم من تلاميذهم، فلم يأخذ النحو عن المختار بن بونا الجكني (ت 1220هـ)، بل عن أحمد بن عبدى بن الحاج أحمد ومحمذن فال بن امباريگي (ت 1269هـ)، ولا التصوف عن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1226هـ)، بل عن ابنه وخليفته الشيخ سيدي محمد (ت 1241هـ)، ولم يأخذ عن سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم (ت 1233هـ) إلا بواسطة، فكان يدعوه "شيخ أشياخنا"[2].

وإذا صح ما نفترضه من أن شيخ صاحب الديوان في الفقه ـ المختار اسرى بن حمى الله بن بوز الحاجى ـ قد توفي سنة 1226هـ، فإن ذلك يدل على أنه قد بدأ حياته الدراسية بالفقه، كما هي العادة في أهل منطقته، وذلك مما يدعم افتراضنا بأنه ولد قريبا من مطلع القرن.

وينتمي صاحبنا إلى أسرة آل انْبُوجَه، وهي أسرة من قبيلة إيدوعلي، المعروفة في بلاد شنقيط بالعلويين، كما ساق المؤلف نسبها في ضالة الأديب.

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 96، نقلاً عن صاحب الديوان في الظل الممدود.

(2) ابن انبوجه : الجيش، ص 88.

وقد نفى صاحب الوسيط انتسابهم إلى إيدوعلي، فقال في ترجمة صاحب الديوان : «والصحيح أن له خؤولة فيهم، وأما أبوه فإنه من قبيلة أخرى شرفاء غير هذه»[1]، وكل هذا مبني في رأينا على خلط صاحب الوسيط بين سيدي محمد بن محمد الصغير العلوي وأحمد الصغير بن حمى الله المسلمي كما أسلفنا.

وقد هاجرت هذه الأسرة إلى تيشيت[2] في تاريخ لم نجد له تحديدا، قادمة من تجكجه على ما يدل عليه كلام ابن حامد[3]، غير أننا نرجح أن استقرار هذه الأسرة بتيشيت يرجع إلى صدر القرن الثاني عشر الهجري على أقرب تقدير.

ومن دلائل ذلك ما أورده المؤلف من أنهم قد أضاعوا سلسلة النسب التي تربطهم بالجد الجامع للقبيلة، وعلل ذلك بأن «أهل المدن غير مواظبين على حفظ الأنساب»[4].

ومن السهل أن نتصور اندماج آل انْبُوجَه في زوايا تيشيت، خاصة المجموعتين الرئيستين المتحالفتين، وهما الشرفاء وأهل محمد مسلم، الذين يبدو لنا من خلال ضالة الأديب أنهم قد احتضنوا هذه الأسرة العلوية المهاجرة.

---

(1) الشنقيطي : الوسيط، ص 86.

(2) تيشيت : مدينة موريتانية، تقع في الجنوب الشرقي من البلاد، على بعد حوالي 250 كلم إلى الشرق من مدينة تجكجه، عاصمة ولاية تكانت الراهنة، كانت منذ تأسيسها أحد أبرز المراكز الثقافية والتجارية في بلاد شنقيط، ويعزى تأسيسها إلى الشريف عبد المؤمن بن صالح، أحد تلامذة القاضي عياض، وذلك في القرن 6هـ/12م.

قال محمدو بن أحمد الصغير في إنارة المبهم (على ما نقله ابن حامد : شرفاء تيشيت، ص 1) : «جاء عبد المؤمن إلى وادان مع الحاج عثمان جد بعض إيدو الحاج. وكانا قرأ على القاضي عياض، فنزلا تيشيت، فعزم عبد المؤمن على البناء بها، وكان موضعها أكماً مرتفعاً بجانبه جبل عظيم على جهة الشمال على بعد فرسخ، وعلى اليمين على أربعة أميال معدن ملح لا نظير له في المعمور، وعن جوانبه معادن الحجارة والطين، وكان كثير المياه لإصلاح النخل، وكان السكان يومئذ أهل أخصاص على قدر فرسخ في جهة الجنوب من موضع القرية، فندبهم عبد المؤمن للبناء فلم يساعدوه، فارتحل إلى موضع القرية واستصحب معه بنائين وآلات، فبنى المسجد وداره وذلك في أول القرن السادس زمن بناء وادان».

وقد تقدم ولد عبد الله (الحياة الفكرية، ص 51) بافتراض وجيه مؤداه أن استقرار الشريف عبد المؤمن بن صالح وذريته بتيشيت قد يكون هو الذي عناه الشريف الإدريسي بقوله في نزهة المشتاق : «إن بني صالح بن عبد الله بن الحسن قد أخضعوا غانة وصار له هناك ملك ودولة».

ومهما يكن من أمر فقد كانت تيشيت محطة تجارية هامة وثيقة الصلة بالمغرب العربي وبلاد السودان، ومركز حياة علمية مزدهرة أنجبت عدداً هاماً من العلماء المؤلفين المدرسين. وقد رسمنا في آخر هذه المقدمة خريطة تبين موقع تيشيت وتحدد الإطار المكاني العام لحياة صاحب الديوان والمؤلف.

راجع الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 115، ومواطن أخرى (وهو أقدم مصدر ورد فيه ذكر تيشيت على ما علمنا) وكذلك الشنقيطي : الوسيط، ص 459. وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 6 (وفيه جلاء لدور الشريف عبد المؤمن خصوصاً وأهل تيشيت عموماً في التاريخ الثقافي الشنقيطي)، وص 198، وابن حامد : شرفاء تيشيت، وابن حامد : أهل محمد مسلم، وولد اباه : الشعر والشعراء في موريتانيا، ص 22، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 69.

(3) ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 204.

(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 93.

نشأ صاحبنا في أسرة تتوارث الصلاح وتدريس القرآن، فكان أبوه محمد الصغير ابن انْبُوجَه «من جملة كمل المقرئين، انتهت إليه رئاسة علوم القرآن بمحروسة تيشيت...، وكان كثير الاعتناء بالقراآت ويحفظ السبعة عن ظهر قلب»[1].

وقد أثنى عليه ابنه صاحب الديوان بالورع والتقوى فقال إنه «كان كثير التورع في تطييب اللقمة، يعزل ما يأخذه من بعض من لا يتقي الشبهات من أولياء تلامذته ويتوقاه حتى لا يدخل جوفه ولا جوف أحد من أولاده»[2].

وقد توفيت أم صاحب الديوان وهو صغير[3]، فارتبط وثيق الارتباط بأبيه، ونشأ قائما بأموره وأمور بيته، كما يصور المؤلف «وقام حفظه الله بأمور بيت أبيه فأقرأ ما كان يقرئ الوالد من الصبيان، ومازال قائما بهموم البيت وتدبيره وتربية إخوته والمريدين منذ توفيت أمه وبلغ سن التمييز حتى توفي والده»[4].

وقد توفي والده «بعد صلاة العصر من يوم السبت في يوم عشرين من المحرم الحرام، ودفن ليلة الأحد حادية عشرين محرم سنة خمسين ومائتين وألف»[5].

وكان جد صاحب الديوان الطالب محمد بن الحاج محمد الملقب ابن انْبُوجَه - وإليه ينسبون - صالحا ذا كرامات مشتهرا بالعبادة والعزلة، توفي - كما أسلفنا - «في آخر القرن الثاني عشر في أوان الثمانين أو التسعين»[6].

وقد صرح المؤلف بأن أهل بيته لم يكونوا مشتهرين بالعلوم الشرعية قبل أبيه، فقال، بعد الثناء عليهم بالعبادة والخمول «وكان أول من اشتهر منهم بمعرفة العلوم الشرعية والدنا المذكور»[7].

وأما إخوة صاحب الديوان الذين قام على تربيتهم بعد وفاة أمه فقد عرفنا منهم سيدي عبيدة الذي كان كما بينا شديد الارتباط به، يدعوه "الشقيق الشفيق"، وأخاله ثانيا دعاه المؤرخون يادَّه بن محمد الصغير بن انْبُوجَه (توفي في آخر ربيع سنة 1285هـ)[8].

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 95.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 95.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 103، نقلاً عن صاحب الديوان في الظل الممدود.

(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 104.

(5) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 96، نقلاً عن صاحب الديوان في الظل الممدود.

(6) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 97.

(7) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 95.

(8) راجع ابن عشاي : حوليات تيشيت، ص 21، وفيه أنه آخر ذرية محمد الصغير ابن انبوجه، ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 204.

وأما بنوه فقد عرفنا منهم المؤلف، وأخاه القاضي محمد (المتوفى سنة 1306هـ)[1].

ولم تمدنا مصادرنا بتفاصيل أخرى عن نشأة صاحب الديوان، إلا ما تعلق بالدراسة والشيوخ.

I. 3. الدراسة والشيوخ والأسانيد

لم يسافر سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه للتعلم خارج تيشيت، التي لم يغادرها مدة حياة والده المذكور[2].

وقد أخذ عن شيوخ متعددين، منهم من عرفنا مأخوذه عنه، ومنهم من نعلم أنه أخذ عنه على سبيل الإجمال، ومنهم من أمدتنا مصادرنا بترجمة له، ومنهم من لم نجد له ذكرا خارج ضالة الأديب. وهذه لائحتهم حسب العلوم التي أخذها عنهم :

I. 3. 1. القرآن وعلومه :

- والده محمد الصغير بن انْبُوجَه العلوي[3].
- محمد الامين بن طوير الجنة الحاجي[4].

وعن هذا الأخير أخذ الإجازة في القراآت السبع، بسند متصل بابن القاضي (ت 1082هـ). وقد اهتممنا، خلال تحقيق المتن، بهذا السند الذي بدا لنا غريبا في بابه، إذ هو - على ما نعلم - أحد الأسانيد الشنقيطية القليلة المتصلة بابن القاضي عن غير طريق سيدي عبد الله التنواجيوي (ت 1145هـ) عن سيدي أحمد الحبيب الفيلالي اللمطي (ت 1165هـ).

وقد حاولنا التعريف بمشائخ هذا السند، فلم نفلح في الوقوف على تراجم المشائخ الستة الذين يصلون بين محمد الامين بن طوير الجنة الحاجي الوادانى - شيخ صاحبنا المباشر - وابن القاضي.

أما رجال السند بعد ابن القاضي فقد بذلنا وسعنا في مراجعة تراجمهم والإحالة عليها في مصادرها الأصلية، وهو مبحث قد سبق إليه فوفاه حقه الأستاذ الدنيجه بن معاوية في كتابه الهام : "واضح البرهان، في تراجم مشائخي في القرآن".

---

(1) ابن عشاي : حوليات تيشيت، ص 23، ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 204.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 104.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 98. وقد ترجم له في صاحب الديوان في مقدمة كتابه الظل الممدود، شرح البحر المحيط بهم المعدود، راجع هذه المقدمة، ص 30.

(4) راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 98.

بيد أنا، بالرجوع إلى مصادر ربما لم تكن متاحة لهذا الباحث الجليل، قد أضفنا تدقيقات واستشكالات نرجو أن تثري مبحث تاريخ القراآت في الغرب الإسلامي عموماً.

I. 3. 2. الفقـــه :

المختار اسري بن حمى الله بن أحمد بن بوز الحاجي[1] وقد رثاه بقصيدة مطولة[2] وأخذ عنه مختصر خليل، بسند بيته في كتابه "الركب المنتصر الجليل، في آثار من أنكر تقليد الشيخ خليل"، ونقله عنه مؤلف ضالة الأديب[3].

ويحق لنا أن نعتبر سياق هذا السند كما أورده صاحبه وثيقة نادرة، عظيمة الأثر في التاريخ الثقافي لبلاد شنقيط عموما، إذ قدم فيه صياغة واضحة متكاملة لشبكة الأسانيد الفقهية في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر للهجرة، فأرجعها إلى شيخ واحد، هو سيدي أحمد أبد القاسم الحاجي الواداني، وبين كيف تفرعت منه المدارس الفقهية في كل من وادان وولاته ومدينة شنقيط، وغيرها من البوادي.

وبمقارنة هذا النص بالمعلومات المتداولة إلى حد الآن في الموضوع، واستثماره في تمحيصها، تجلى لنا ما يتميز به من دقة وفائدة، فحاولنا بالاعتماد عليه تصحيح جملة من الأخطاء، وجلاء عدد من الأوهام، وإضافة إضاءات جديدة حول شخصيات وأحداث غير قليلة.

وإن أهم نتيجة أفضى بها إلينا هذا البحث الشيق هي ضرورة إعادة تحقيق كتاب "فتح الشكور، في معرفة أعيان علماء التكرور" لابن بنان البرتلي، إذ اتضح لنا أن أخطاءه الطباعية أو الخطية هي أكبر مصدر لاضطراب المعلومات عن فترة من أهم وأخصب فترات التاريخ الثقافي الشنقيطي، أي الفترة الممتدة من القرن العاشر إلى صدر القرن الثالث عشر الهجريين.

ونحن، رغم تنويهنا بأهمية شبكة الأسانيد التي نقلها صاحب ضالة الأديب عن أبيه، نرى لزاما أن ننبه إلى أنها ليست وحيدة ولا شاملة، بل لابد، عند صياغة التاريخ الإجمالي لأسانيد الفقه، من إدماجها في شبكة أوسع مستقاة من أكبر قدر ممكن من المصادر والمراجع.

ومع ذلك فهي تبدو لنا بالغة الأهمية، ومصدرا أساسيا لاستكمال الشبكات المصوغة إلى حد الآن بالاعتماد على "فتح الشكور"، وأهمها تلك التي أنجزها الدكتور

---

(1) راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 103.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 162.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 113.

محمد المختار ولد اباه[1]، ثم عربها الأستاذ الخليل النحوي[2]، وتلك التي أنجزها المستشرق الألماني أوسوالد[3].

ويصور الجدول رقم 1 شبكة الأسانيد الواردة عند ابن انْبُوجَه.

وفيما بين أحمد المسك ـ والد أحمد بابا التينبكتي، وشيخ سيدي أحمد الفازازي الحاجي الواداني ـ والشيخ خليل صاحب المختصر يبدو هذا السند غريبا، إذ هو غير السند المعروف لأحمد المسك، والذي ساقه ابنه في نيل الابتهاج[4]، وغير السند الذي كان يجيز به ابن الأعمش، ونقله عنه صاحب فتح الشكور[5].

وبتتبع المرحلة الموالية من السند بدا لنا أغرب، إذ هو المحاولة الأولى ـ على ما نعلم ـ لوصل سند بين الشيخ خليل والإمام مالك عن طريق الرواية المتسلسلة، وقد لاحظنا فيه إعضالاً بين ابن القويع (664هـ-738هـ)، وابن فرج مولى ابن الطلاع (404-497)، وهي فترة تشمل القرن السادس كله وصدر السابع، فكان المفروض أن يمر السند فيها بالقاضي عياض (ت 544) فابن رشد الجد (ت 520).

وأما الشيخ الوحيد المذكور في هذه الفترة، أي محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس، فمجهول عندنا رغم ورود ذكره في ترجمة ابن القويع، معدودا من شيوخه، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود.

ومن المعلوم أن وصل السند بين المنوفي شيخ الشيخ خليل والإمام مالك قضية مطروحة على المالكيين من قديم الزمان، وقد صرح بانعدام السند المتصل بينهما البدر القرافي، بناء على سؤال وجهه ناصر الدين اللقاني إلى معاصريه[6]، وهو ما دعا أحمد المنجور إلى التوسع في وصل سنده الفقهي بالإمام مالك، بعد أن لاحظ عجز المشارقة عن وصل السند بعد المنوفي شيخ خليل[7]، ولكنه إنما وصل ذلك السند عن طرق أخرى غير طريق المنوفي.

وكان الدكتور محمد المختار ولد اباه قد وصل هذا السند بين الشيخ خليل والإمام مالك[8]، وذلك عن طريق المنوفي فابن الحاج صاحب المدخل، معتمدا في ذلك

---

(1) محمد المختار ولد اباه : La Littérature, p. 41

(2) النحوي : بلاد شنقيط، ص 201.

(3) R. Osswald : Die Hendesstad der Westsahara, p. 481

(4) التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 173.

(5) البرتلي : فتح الشكور، بيروت، ص 116، تونس، ص 50.

(6) القرافي : توشيح الديباج، ص 98.

(7) المنجور : الفهرس، ص 21.

(8) محمد المختار ولد اباه : La Littérature, p. 26

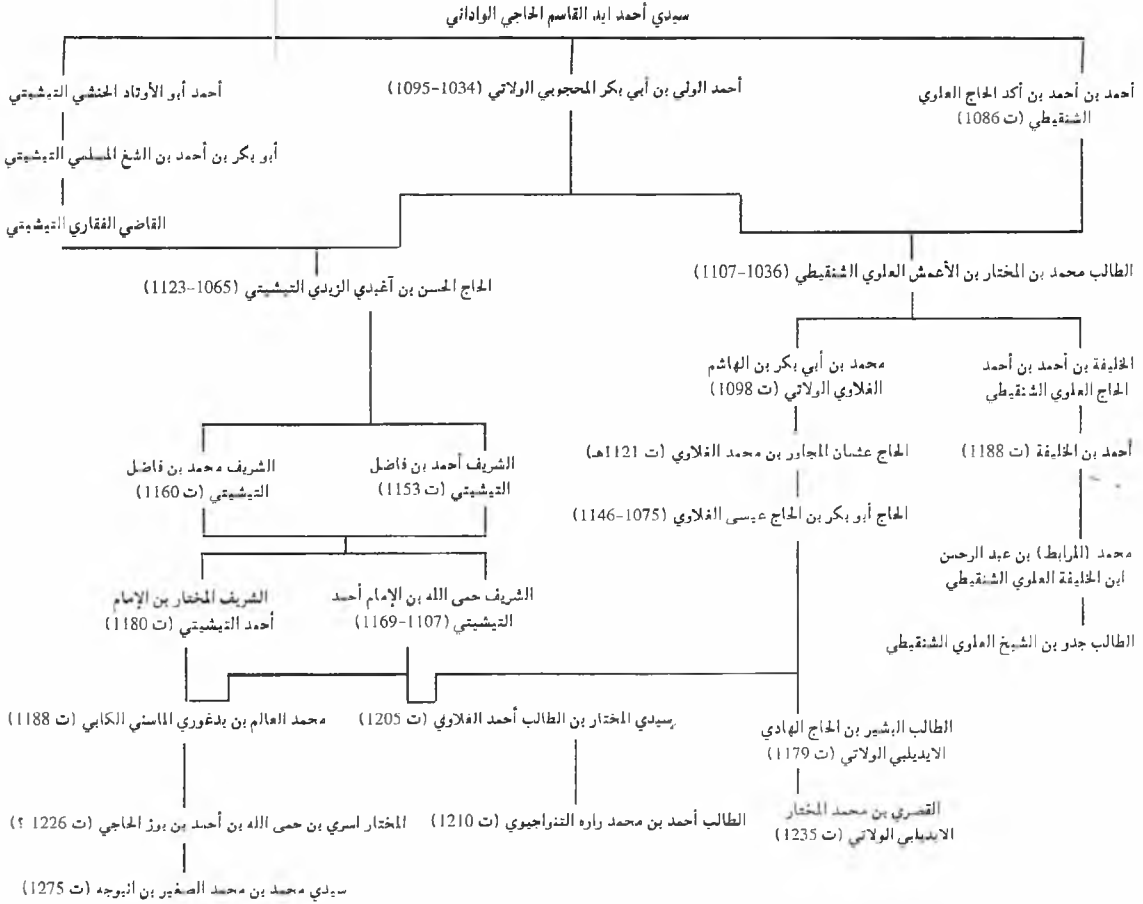
سيدي أحمد ابد القاسم الحاجي الوادائي
أحمد أبو الأوتاد الحنشي التيشيتي
أحمد الولي بن أبي بكر المحجوبي الولاتي (1034-1095)
أحمد بن أحمد بن أكد الحاج العلوي الشنقيطي (ت 1086)
أبو بكر بن أحمد بن الشيخ المسلمي التيشيتي
القاضي الفقاري التيشيتي
الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي التيشيتي (1065-1123)
الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (1036-1107)
الخليفة بن أحمد بن أحمد الحاج العلوي الشنقيطي
محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي الولاتي (ت 1098)
الشريف أحمد بن فاضل التيشيتي (ت 1153)
الشريف محمد بن فاضل التيشيتي (ت 1160)
أحمد بن الخليفة (ت 1188)
الحاج عثمان المجاور بن محمد الغلاوي (ت 1121هـ)
محمد (المرابط) بن عبد الرحمن ابن الخليفة العلوي الشنقيطي
الحاج أبو بكر بن الحاج عيسى الغلاوي (1075-1146)
الشريف حمى الله بن الإمام أحمد التيشيتي (1107-1169)
الشريف المختار بن الإمام أحمد التيشيتي (ت 1180)
الطالب جدو بن الشيخ العلوي الشنقيطي
محمد العالم بن بدغوري الماسني الكابي (ت 1188)
سيدي المختار بن الطالب أحمد الغلاوي (ت 1205)
الطالب البشير بن الحاج الهادي الايديلبي الولاتي (ت 1179)
المختار اسري بن حمى الله بن أحمد بن بوز الحاجي (ت 1226 ؟)
الطالب أحمد بن محمد راره التنواجيوي (ت 1210)
القصري بن محمد المختار الايديلبي الولاتي (ت 1235)
سيدي محمد بن محمد الصغير بن انيوجه (ت 1275)

الجدول رقم 1

على الترجمة التي وضعها خليل لشيخه المنوفي، وقد اطلع عليها التنبكتي ونقل منها. بينما لم يطلع عليها اللقاني ولا المنجور.

ولكن الطريق التي سلكها صاحب الديوان في وصل هذا السند طريقة أخرى.

فمن أين إذن استقى صاحب الديوان هذا السند الغريب الذي كاد يتصل اولا فقرة واحدة ؟

أستقراء من كتب التراجم ؟ أم نقلا عن مصدر لم يصلنا ؟

ذلك مبحث مايزال مفتوحاً.

I. 3.3. الندو :

ـ أحمد بن عبدي بن الحاج أحمد العلوي[1].

ورغم أننا لم نقف على ترجمة هذ الشيخ، ولا عرفنا سنده المباشر، فإن الكتب التي درسها عليه صاحب الديوان تنبئ قطعا بانتمائه إلى مدرسة ابن بونا الجكني (ت 1220هـ)، بل نرى من المحتمل جدا أن يكون أحد تلاميذه المباشرين، وإن لم نجد على ذلك نصا.

ويزيدنا سياق ضالة الأديب في هذا الموطن اطمئنانا إلى ما نعلمه من أن جامع ابن بونا ـ أي ألفيته الحمراء التي أضافها إلى ألفية ابن مالك وشرحه عليهما ـ قد انفرد منذ ظهوره بساحة الدراسات النحوية الشنقيطية.

ولعل هذا السياق أقدم وأصرح نص على ذلك، إذ يقول المؤلف متحدثا عن علاقة والده بشيخه هذا «قرأ عليه خلاصة ابن مالك وألفية ابن بونا الحمراء وطرة الكل، وهو الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة، المعروف الآن بطرة ابن بونا الذي عكف عليه الطلبة في هذه الأزمن، واشتغلت به الفكر والأفهام، وصار الناس فيه ما بين شارح له ومختصر ومقتصر ومبين لنكته، وما بين مشتغل به حفظا وتدريسا»[2].

ـ أحمد بن محمد بن حمى الله المسلمي[3].

---

(1) لم نقف على ترجمته.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 102-103.

(3) راجع الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 103.

I. 3. 4. شيوخ لم يحدد ما أخذ عنهم :

- الطالب أحمد بن طوير الجنة[1].

- سيدي محمد بن الحاج أعمر[2].

- محمذن فال بن امباريكي الألفغي[3].

وكنا أشرنا آنفا إلى أنه قد دعا سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم "شيخ أشياخنا"، ولا نعلم أسماء الوسائط بينه وبينه، كما لم نعرف أسماء الوسائط بينه وبين محنض بابه ابن عبيد الديماني (ت 1277هـ). وقد دعاه كذلك "شيخ أشياخنا"[4].

ومع هؤلاء المشائخ الذين درس عليهم "العلوم الرسمية"، كان للجانب الصوفي أثره البعيد في حياة صاحبنا ونشاطه العلمي والأدبي.

I. 4 الانتماء الصوفي

لقد انتمى صاحب الديوان، أول حياته، إلى الطريقة الصوفية القادرية، عن طريق أكبر مشائخها المعاصرين له في منطقته، وهو الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1241هـ)، وقد مدحه بقصائد حفظها لنا صاحب ضالة الأديب[5]، ثم انتسب إلى الطريقة التجانية، وهي التي بقي عليها إلى آخر حياته، وأصفاها كثيرا من إنتاجه العلمي والشعري.

وكانت هذه الطريقة قد بدأت تنتشر في بلاد شنقيط على يدي الشيخ محمد الحافظ ابن المختار بن الحبيب العلوي (ت 1247هـ)[6] الذي أخذها عن الشيخ أحمد التجاني (ت 1230هـ)[7]، واستقر في بلاد الترارزة، أقصى الجنوب الغربي من بلاد شنقيط. ولم يأخذ صاحب الديوان هذه الطريقة عن الشيخ محمد الحافظ مباشرة أول الأمر، بل أخذها عن باقو ابن حم ختار الحاجي الواداني[8] عن سيدي مولود فال اليعقوبي[9] عن الشيخ محمد الحافظ.

---

(1) راجع الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 98.

(2) لم نقف على ترجمته، راجع ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 103.

(3) راجع الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 103.

(4) ابن انبوجه : الجيش، ص 88.

(5) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 180، 182، 185.

(6) راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 108.

(7) راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 107.

(8) راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 148.

(9) راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة ضالة الأديب، ص 149.

ويبدو لنا، دون أن نجد في المصادر نصا على ذلك، أن بامو كان يتردد على تيشيت، وأنه أول من أخذ عنه أهلها الطريقة التجانية، ولم تلبث أن قامت صلات مباشرة بين "الجالية التجانية" في تيشيت والمركز الأصلي لانتشار الطريقة في بلاد الترارزة، إذ جرت المراسلات بين هذه الجالية والشيخ محمد الحافظ وتلميذيه محمدي بن سيدينا وسيدي مولود فال.

ومن الواضح أن صاحب الديوان لم يلبث أن احتل موقع الصدارة في الجالية التجانية التيشيتية، كما يدل عليه ذكر محمدي بن سيدينا له مفتتحا به أسماء مخاطبيه في كل من نفحة المنان[1] والأجوبة التيشيتية[2]، وكما صرح به المؤلف إذ قال متحدثا عن مؤلفات اديميجه الكمليلي «فبلغ أحدها مدينة تيشيت، وكبير من بها من الطائفة التجانية الوالد حفظه الله»[3].

وقد حرص صاحب الديوان على الاستكثار من الاتصال بمقدمي هذه الطريقة والأخذ عنهم. وقد استقرأنا أسانيده إلى الشيخ التجاني كما أوردها المؤلف[4] فبلغت ستة يصورها الجدول رقم 2.

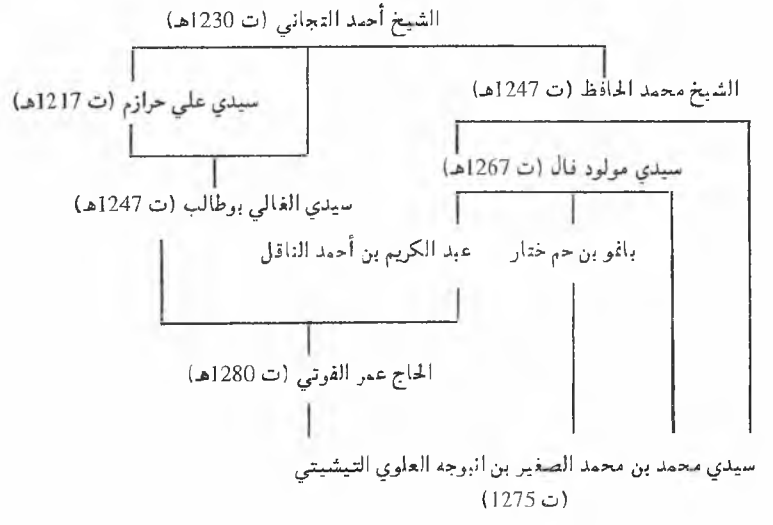

الجدول رقم 2

(1) ابن سيدينا : نفحة المنان، ص 1.
(2) ابن سيدينا : الأجوبة التيشيتية، ص 1.
(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 109.
(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 148.

وسنعود إلى تفصيل صلات صاحب الديوان بهؤلاء المشائخ عند الحديث عن صلاته بأعلام معاصريه، كما سنعود على وجه التفصيل إلى صلته بالحاج عمر الفوتي.

I. 5 التأليف والنشاط العلمي

لقد كان صاحب الديوان متمتعا بشخصية علمية عصامية فذة، وكان على عكس كثير من معاصريه ميالا إلى التأليف المستقل، بل يخيل إلينا أن اعتماده على المطالعة والبحث والتأليف كان أكثر من اعتماده على الدراسة والتلقي من أفواه المشائخ، وهو ما يشير إليه قول أخيه وابنه : «ولم تتوجه همته حفظه الله تعالى إلى فن إلا وضع فيه تقييدا يحسن رونقه، ويروق سندسه وإستبرقه، ليكون تذكارا وذكرى، إما نظما وإما نثرا... ولا ينشرح صدره لما لم يتصرف فيه من العلوم بتقاييد تحقيقية، موهبة إلهية، ومنحة اختصاصية»[1].

وقد كانت مؤلفاته الكثيرة محل إقبال وتداول، في شرق البلاد وغربها، وتجاوز إشعاعها بلاد شنقيط إلى بلاد المغرب الأقصى والسودان الغربي، مما جعله يبرز من بين معاصريه بكثرة التأليف والإجادة فيه. ولذلك قال سيدي عبيدة «وله تآليف لاح شعاع الانتفاع بها في البلاد، واستوى في قبولها ذوو الإتقان من أهل الحواضر والبواد»[2].

وقد اشتهر أساسا بسبب كتابين له هما : البحر المحيط في معدودات القرآن، والجيش الكفيل بأخذ الثار، ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار.

ويعتبر الكتاب الأول سبقا رائدا ومتميزا في مجال ما يدعى اليوم "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم".

فقد ضمنه المؤلف إحصاء للألفاظ والتراكيب المتكررة في القرآن الكريم مع تبيان عدد ورود كل لفظ أو تركيب ومواطنه، والتمييز الدقيق بين المتشابه من الآي التي يرد فيها، مما يدل أوضح دلالة على ملكة صاحبه الاستقرائية الفائقة، وتمكنه من القرآن الكريم حفظا وتدبرا واستنباطا.

وقد انتشر هذا الكتاب في كثير من المدارس القرآنية بالبلاد، وكان ومايزال متنا دراسيا معتمدا فيها، مستعانا به على حفظ القرآن الكريم، والجمع بين نظائره، والفرق بين متشابهه.

---

(1) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4. ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 105.

(2) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4. ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 105.

وأما الكتاب الثاني، وهو الذي سنعود إلى سبب تأليفه إن شاء الله، فقد انتشر بين التجانيين خاصة، واعتبر مرجعهم الأساس في رد التهم التي وجهها إليهم خصومهم، وبه عرف مؤلفه بينهم حتى صار يدعى "صاحب الجيش"[1].

وقد بلغ انتشار هذا الكتاب مدى كبيرا في حياة مؤلفه، كما يصوره صاحب ضالة الأديب إذ يقول عنه : «وقد تلقاه بحمد الله تعالى الناس بالقبول... وتفرقت نسخه في نواحي البلاد التكرورية، وفي مدن المغرب الفاسية والمراكشية والمكناسية»[2].

وبالإضافة إلى هذين الكتابين الشهيرين تنوعت مؤلفات صاحب الديوان في موضوعاتها من علوم القرآن إلى الفقه إلى التصوف إلى النحو إلى السير والتاريخ... وتنوعت في أشكالها نظما ونثرا، واستقلالا وشرحا وتقريرا وجدلا...

وقد سعينا إلى ضبط لائحة هذه المؤلفات بالاعتماد أساسا على المصادر التالية :

- ميزاب الرحمة الربانية.
- ضالة الأديب.
- فهرس المكتبة العمرية.
- فهرس المؤلفين الموريتانيين للمختار بن حامد[3].

وهذه لائحة مؤلفاته التي وصلنا إليها مرتبة على المجالات العلمية، وقد ذكرنا المصادر التي أشارت إلى الكتاب، مع إيضاح موطن وجوده إن كان.

والملاحظ المؤسف أنه لم يصلنا له - على ما نعلم - إلا ستة كتب من أصل ثلاثين أو أكثر، هي ذات الأرقام 1، 2، 15، 16، 17، 18 فلعل تقدم البحث يفضي إلى اكتشاف مخطوطات أخرى.

I. 5. 1. في علوم القرآن :

1. تفسير للقرآن الكريم[4].
2. البحر المحيط بهم المعدود[5].

---

(1) ابن السائح : بغية المستفيد، ص 355، سكيرج : كشف الحجاب، ص 364.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 111.

(3) وقد نشرت من هذا الفهرس نسختان تعتبر ثانيتهما صيغة منقحة ومزيدة من الأولى، ووردت أولاهما ملحقة بكتاب د. محمد المختار ولد اباه la littérature ha، ووردت الثانية في كتاب الخليل النحوي : بلاد شنقيط.

(4) فهرس المكتبة العمرية، ص 136، تحت رقم 3 a-204، 5579، ونحن نستغرب إهمال مؤلف ضالة الأديب إياه، ونخشى أن يكون واضعو الفهرس قد تساهلوا في العبارة، وأن يكون الأمر يتعلق بنسخة من البحر المذكور بعده.

(5) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 111، النحوي : بلاد شنقيط، ص 584. وتوجد منه نسخة مخطوطة بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 1805.

3. الظل الممدود، شرح البحر المحيط بمهم المعدود[1].

4. نظم الإتقان، في علوم القرآن، للسيوطي[2].

5. نظم المحذوفات من ألفات القرآن[3].

I. 5. 2. في الفقه :

6. تعليق على مختصر خليل[4].

7. الدرر المختصرة، في نظم التبصرة[5].

8. الركب المنتصر الجليل، في آثار من أنكر تقليد الشيخ خليل[6].

9. تحرير الأحكام بتنقيح المقالة، في حكم المكتسب تحت الإيالة[7].

10. الإصابة، في وجوب قتل أهل الحرابة[8].

11. العصا، لذب من عصى[9].

12. نور القلب والعين، في جواز بيع الغائب بالدين، ومقمعة المتعصبين، على أن ذلك نسيئة للطرفين، وأن فيه شغل ذمتين[10].

13. هداية الغاوي، بما المخصم من الدعاوي[11].

14. تقرير الأشواط المسمعة، لحقيقة مضمن المقمعة[12].

---

(1) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 112، وورد في فهرس مكتبة هارون بن الشيخ سيدي ذكر كتاب لصاحب الديوان بعنوان "طرة على مقدمة البحر"، تحت رقم 45، فهل هو الظل الممدود ؟ نرجو ذلك.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 112.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126.

(4) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 112، النحوي : بلاد شنقيط، ص 584.

(5) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، (وسماه نظم تبصرة ابن فرحون). ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 112.

(6) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4-5، (وسماه الركب فقط). ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 112. ولد ابا : La littérature، الملحقات، ص 117 (وسماه كتاب الانتصار لخليل ومقلديه)، النحوي : بلاد شنقيط، ص 584 (وسماه كسابقه).

(7) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 121.

(8) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 121.

(9) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 121.

(10) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 5، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 123، النحوي : بلاد شنقيط، ص 584 (وسماه نور القلب والعين في جواز بيع الغائب بالدين فقط)، وفي طريقة طباعة ميزاب الرحمة ما يشير إلى أن نور القلب والعين ومقمعة المتعصبين كتابان منفصلان، وقد نص المؤلف على أنه كتاب واحد.

(11) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 123.

(12) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 123.

I. 5. 3. في التصوف :

15. الجيش الكفيل بأخذ الثار، ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار[1].

16. سرية الجيش[2].

17. نسخة السلوك، إلى حضرة ملك الملوك[3].

18. النفحة القدسية، لسالكي نهج المحمدية، (نظم منهاج العابدين للغزالي)[4].

19. سيف الله، على من كذب أولياء الله[5].

20. نظم إعانة المتوجه المسكين، على طريق الفتح والتمكين، لزروق[6].

21. أرجوزة[7].

22. نظم حظوظ العبد من أسماء الله الحسنى[8].

23. نظم التوسل بأسماء الله الحسنى[9].

24. أراجيز نظم بها مواضع متفرقة من إحياء علوم الدين للغزالي[10].

---

(1) طبع على الحجر في فاس سنة 1319، وطبع بالقاهرة على هامش بغية المستفيد لابن السائح د. ت. وطبع بالقاهرة مستقلاً سنة 1938م. راجع ماسياتي، ص 107. ذكره ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4 وسماه "الجيش الكبير في الرد على جموع النكير"، وابن السائح : بغة المستفيد، ص 259 وسماه "الجيش الكبير"، وابن مخم : روض الشمائل، ص 20، والشنقيطي : الوسيط، ص 89 وص 369، وسكيرج : كشف الحجاب، ص 364، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 584، وسماه "منظومة الجيش"، وهو سبق قلم جلي. راجع : Abu Nassr The Tijaniyya, p. 171

(2) طبعت في نهاية الطبعة المصرية من الجيش على هامش البغية وذكرها ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، وابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 111، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 584. وأورد الشنقيطي : الوسيط، ص 89، استشهاداً منها وسماها "الجواب المسكت"، وهو خطأ إذ الجواب المسكت كتاب لأكنسوس في الرد على الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 105.

(4) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 105، ولد اباه : La littérature، الملحقات، ص 117، النحوي : بلاد شنقيط، ص 584، وتوجد منه نسخة مصورة على الميكروفيلم بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

(5) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 107.

(6) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 111.

(7) فهرس المكتبة العمرية، ص 280 تحت رقم 49b-64b، 5716، ووصفها أصحابه بأنها "أرجوزة في التصوف مع مقدمة مسجوعة"، فهل هي إحدى الأراجيز التي ذكرها صاحب ضالة الأديب أم غيرها ؟

(8) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 5، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126.

(9) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 5، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126.

(10) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 5، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 151، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 584.

I. 5. 4. في النحو :

25. المصباح، وهو نظم لباب الأدوات من مغني اللبيب لابن هشام[1].

26. فيض الفتاح، شرح المصباح[2].

27. شرح الآجرومية[3].

28. مقدمة على نمط الآجرومية[4].

I. 5. 5. في السير والتاريخ :

29. اختصار خميس الدياربكري[5].

I. 5. 6. في علوم الأوفاق :

30. نظم في علم الجداول[6].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن واضعي فهرس المكتبة العمرية قد نسبوا إلى صاحب الديوان كتاب "خزانة الأدب، في معرفة أنساب العرب"[7]. والصواب أن عنوان هذا الكتاب "خزانة الأرب، في معرفة أنساب العرب"، وهو من تأليف ابنه سيدي عبد الله مؤلف ضالة الأديب، كما صرح بذلك أكثر من مرة، كقوله متحدثا عن بعض المصادر المتعلقة بمنزلة الشعر في الثقافة العربية الإسلامية : «وكلام الجميع جمعته في خزانة الأرب، في معرفة أنساب العرب، واختصرت منه هنا ما يليق بهذه الضالة الأدبية»[8].

ذلك وقد أوهم أبو النصر عزو كتاب "المدد الباهر في التمييز بين الخواطر" إلى صاحب الديوان، والصواب أنه لأخيه سيدي عبيدة[9].

---

(1) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126، النحوي : بلاد شنقيط، ص 584، وعده مستقلاً عن نظم أدوات مغني اللبيب، وهو هو كما صرح بذلك ابنا انبوجه.

(2) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، (ولم يذكر عنوانه بل سماه شرح المصباح)، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 584 (راجع الهامش السابق).

(3) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 65، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 584.

(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126.

(5) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126.

(6) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 126.

(7) فهرس الخزانة العمرية، ص 32 وص 95 وص 292.

(8) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 90.

(9) راجع : Abu Nassr : The Tijaniyya, p. 191، وقد عد سيدي عبيدة نفسه هذا الكتاب من المؤلفات التي أهداها إلى سيدي العربي بن السائح (راجع سكيرج : رفع النقاب، ج 2، ص 110)، وتوجد منه نسخة منسوبة إلى سيدي عبيدة، ولعلها نسخة السيد ابن السائح، وهي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : د 2422.

ومن استعراض عناوين هذه الكتب، وما وصلنا من نصوصها، يبدو لنا صاحب الديوان عالما متبحرا، قوي الشخصية، مستقل الرأي، ميالا إلى الابتكار في الترتيب، قوي العارضة في الجدل والمناظرة، رابط الجأش عند المباحثة، بالغ الثقة بنفسه وعلمه، وهي السمات التي حددت منزلته في عصره.

I. 6 منزلته في عصره وعلاقاته بأعلامه

يبدو الرجل في عصره مرجعا علميا جليلا معترفا به لا في مدينته أو أحوازها فحسب، بل في سائر بلاد شنقيط وما جاورها من المغرب الأقصى وبلاد السودان.

أما في مدينته، فقد كان عالمها الكبير، وقاضيها المهيب، إذ تولى قضاءها سنة 1252هـ[1] ولاشك أن اختياره لهذا المنصب الحساس، مع ضعف عصبيته القبلية في المدينة، دليل آخر قوي على ما كان يحظى به من تقدير بين ساكنيها وإجلال.

وتدلنا قائمة كتبه على أن نشاطه القضائي لم يخل من مجادلات ومنازعات أثارتها أحكامه، وهو أمر كان مألوفا في بلاد شنقيط إذ ذاك، حيث يقوم نظام القضاء على التعيين والتراضي العرفيين، دون استناد إلى السلطة السياسية تعيينا ولا تنفيذا ولا ترتيب صلاحيات، كما صوره لنا قول ابن الأمين «إن القاضي في شنقيط الأغلب فيه ألا يكون مولى من أحد، وإنما كيفية توليه أن يشتهر بمعرفة الأحكام... وليس للقضية رسوم تدفع عند رفعها، ولا للقاضي شيء سوى تعبه... فإذا حكم القاضي فإن الحكم نافذ بنفسه لا يقدر المحكوم عليه أن يمتنع إلا إذا أوعز إليه أحد العلماء بأن ذلك الحكم غير صحيح، فإنه يطلب نقضه، وربما مكثت القضية بهذا سنين حتى يتفق رأي العلماء فيها»[2].

وفي هذه المجادلات الفقهية، يطلق صاحبنا العنان لقلمه السيال في نقض حجج مخالفيه، وتسفيه آرائهم، بأسلوب عنيف فيه تقريع وتبكيت يستشفان بوضوح من العناوين التي يختارها لكتبه، ومنها "العصا، لذب من عصى" و"نور القلب والعين، في جواز بيع الغائب بالدين، ومقمعة المتعصبين، على أن ذلك نسيئة للطرفين، وأن فيه شغل ذمتين".

ومن خلال النصوص القليلة التي أسعفنا الحظ بأن انتقاها لنا صاحب ضالة الأديب من مقدمات هذه الكتب يتجلى هذا الطابع القوي الصارم، الذي يدل صاحبه بتفوق علمي كبير، ويسخر من مخاطبيه أمر سخرية.

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 104.

(2) الشنقيطي : الرسيط، ص 531.

ورغم أنا لم نعرف أسماء مخالفيه ولا مخاطبيه في هذا الجدل الفقهي القضائي، فإن النماذج القليلة التي وصلتنا من آثاره تضيف عناصر هامة إلى صورة الحياة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرن الثالث عشر الهجري، وما كان يعتمل فيها من تيارات مختلفة واتجاهات متباينة.

وفي هذا الصدد يكتسي كتاب "الركب المنتصر الجليل، في آثار من أنكر تقليد الشيخ خليل" أهمية قصوى، إذ هو يدل على استمرار الدعوة إلى الاستغناء عن كتب الفروع الفقهية، والرجوع مباشرة إلى الأصلين الكتاب والسنة، فقد ألفه صاحبه "في الرد على بعض المنكرين على الشيخ خليل، بل على كافة من قلده وترك الأخذ من القرآن والسنة"[1].

فمن هو يا ترى هذا الداعية السلفي في بلاد شنقيط خلال بحر القرن الثالث عشر الهجري ؟

إننا نستبعد أن يكون صاحبنا قد أدرك المجيدري اليعقوبي (ت حوالي 1203هـ)، خاصة أن صاحبي ميزاب الرحمة الربانية وضالة الأديب متفقان على أن الداعية السلفي المذكور قد توفي خلال تأليف صاحبنا كتابه في الرد عليه، وفي كلامهما ما يشير إلى أن ذلك كان بعد تأليفه كتاب الجيش، ومعلوم أن الكتاب الأخير قد ألف بعد وفاة الشيخ محمد الحافظ (1247هـ)[2].

ورغم أن هذا الكتاب قد يدل على أن صاحبنا كان فيه تعصب لخليل ومختصره، فإنه، في مقدمة كتاب "العصا لذب من عصى"، قد انتقد فقهاء عصره الذين يقصرون النظر والفتيا على هذا الكتاب، دون فقه عميق بمقاصده ومصادره، فقال : «يدعون معرفة خليل، وما شموا له رائحة منديل،... ينفرون الطلبة عما سواه، ويقصرون العمل بمضمونه عما عداه، حمية لأرض وطؤوها، وأنفة عن أرض لم يطؤوها، يحسبون من جمود القرائح ألا نص إلا منه، بل خفي عنهم وجه الفرق من النص والتأويل فصرفوا عنه، وفيهم من له شروح، كالقروح، أدهى على النصوص، من اللصوص، وطرر، كالشرر، أدهى على النص، من داء المص،... »[3].

وقد كانت لصاحبنا ولاشك صلات متعددة متينة بأعلام عصره، من أصحاب السلطان والعلماء والمشائخ، سواء منهم أهل بلدته تيشيت، أو غيرهم من الشناقطة أو سكان المغرب الأقصى وبلاد السودان.

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 112.

(2) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 4، ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 110.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 112-113.

أما صلاته بسكان مدينة تيشيت فهي واضحة من خلال آثاره المختلفة، خاصة ديوان شعره.

وتتركز هذه الصلات على مجموعتي الزوايا الكبريين في المدينة: أي الشرفاء وأهل محمد مسلم، وهم الذين احتضنوا أسرة المؤلف ـ على ما أسلفنا ـ وبادلوها ودا بود وإجلالا بإجلال.

ويتضمن باب المراثي من الديوان نماذج معبرة عن هذه الصلات، إذ رثى صاحبنا أربعة أعلام من سكان تيشيت هم الشريفة الحسنية بنت فاضل وهي بنت بيت كريم من الشرفاء وأم بيت كريم من أهل محمد مسلم[1] والمختار بن محمد بن حمى الله المسلمي[2]، وحمى الله الصغير بن فاضل الشريف[3] ومحمد بن الشريف سعدي[4].

وبالإضافة إلى صلات المودة والإجلال التي كانت تربط صاحب الديوان بسكان تيشيت، حفظ لنا صاحب ضالة الأديب نصا فريدا يصور الصلة بين والده وبعض أصحاب السلطان السياسي العسكري في المنطقة، ونعني قبيلة أولاد امبارك الحسانية المغفرية، التي كانت قد أسست رئاسات ذات صيت عظيم في الجنوب الشرقي من بلاد شنقيط، وعاصر صاحب الديوان أخريات أيامها.

وتتضمن هذه القصيدة المطولة شكوى الشاعر مما كان يمارسه بعض معاصريه من أبناء هذه القبيلة من إسراف في فرض الإتاوات على قوافل أهل تيشيت، القادمة من بلاد السودان، فاستهلها بقوله:

سبحان ربِّك رزَّاق المساكيـــــن من أهل تيشيتَ في أرض السوادين
كم دون أرزاقهم من مَهْمَهٍ قَذَفٍ ودونها من أبي سيف وهنَّون[5]

وقد صور الشاعر بتفصيل دقيق ما تلقاه القوافل من عنت السلب والابتزاز، وجادل في أصله المتمثل في نظام "الغفر"، وهو الإتاوة التي تدفعها قبائل الزوايا للقبائل المحاربة مقابل تأمين تجارتها.

ورغم ما تضمنته القصيدة من شكوى مرة، وإنكار لسلوك المعنيين، فإن مؤلف ضالة الأديب قد تساهل ـ على ما يبدو لنا ـ حين صنفها في باب الهجاء، وعنونها بأنها في "هجاء الغربان أبناء امبارك".

---

(1) راجع ترجمتها والقصيدة في ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 159.
(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 168.
(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 172.
(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 174.
(5) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 207.

فهي ليست هجاء كلها، بل فيها مدح كثير، واستعطاف ودعاء، وقد ختمها صاحبها مصرحا بأنها مدح، ومطالبا بجائزته مقابلها.

فالشاعر ناقم ولاشك على فئات معينة من معاصريه من هذه القبيلة، ولكنه يثني على الأماجد من سلفها، ويدعو الخلف إلى الاقتداء بهم:

كانت فحول بني الفحفاح صاعقة ... على العدى وربيعاً للمساكين
أيامهم يوم صيد منه رزقهم ... ويوم حرب من أموال العرابين
إذ رزقهم تحت أغراس المدافع أو ... حد الظبي والعوالي والسكاكين
لكل مستضعف ضاق الزمان به ... عند الكرام عطاء غير ممنون
الله أكبر كانوا ظاهرين على ... أعدائهم بتحاميهم ذوي الدين
والغفر كان هدايا يتحفون بها ... عن طيب نفس من أعيان الطلابين
وذلك الغفر ما يعطى لصبيتهم ... من الثمار وطيب للنساوين
يسير في ظل ذاك الغفر متئداً ... لا يختشي من ظلوم كل مسكين
أضاع سيرتهم من بعدهم خلف ... لا يرجعون إلى عقل ولا دين[1]

ولم يقصر الشاعر ثناءه على السالفين من أولاد امبارك، ولاعم بانتقاده معاصريه منهم كافة، بل سمى من هؤلاء قوما سائرين على منهاج أولئك، فقال:

ما رابكم يا بني الفحفاح من سلف ... كانوا السلاطين أبناء السلاطين ؟
ماذا بدا لكم في أخذ سبلهم ... كما حذا حذوه مُّ بن هَنون
خليفة العم عثمان الفتى ابن أبي ... سيف ووالده خير العرابين
كذا الكريم فتى فات الذي عقدت ... له السيادة في كل الميادين
أعني الفتى البطل المختار إذ حلفوا ... بالله عن شد رحل للمساكين
وخير أبناء حمُّ البيض من حمدت ... مسعاه في دهره كل الأراضين
أعني قريع العلى محمد بن علي ... وعمه الكور جحجاح العثامين
أولئك القوم إن يلقوا يسر بهم ... وإن يجيروك يعطوا كل تأمين[2]

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 210.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 211-212.

وقد ختم القصيدة بالدعاء للمعنيين، والإقرار بمشروعية الغفر رغم إبداء التحفظ على طريقة أخذه، وصرح بأن قصيدته مدح :

فالله يصلح قوماً في صلاحهم ... صلاح الإسلام قولوا ألف آمين
وغفرهم خير غفر غير أنهم ... مطالبون بتحقيق وتبيين
إذ قد يزاد بما لا يشعرون به ... وقد يشدد في بعض الأحايين
ولا أقول اتركوه بل أقول خذوا ... فأخذه فيه خير للمساكين
إذ هم لما كان من ظل ومن حرم ... لكم محاويج يا خير العرابين
وتسألون غدا عنهم إذا سئلت ... عن الرعايا سلاطين الأراضين
هذا المديح وحق المدح يعرفه ... كل الكرام وعند الله مسنوني[1]

وفي مدينة ولاته كانت تربط صاحب الديوان صلة صداقة وإعجاب متبادل بالفقيه القاضي المؤرخ المشهور محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري[2]، وقد ساق مؤلف ضالة الأديب قطعة له في التنويه بفتوى لصاحب الديوان، وقرنه فيها بالأئمة المجتهدين :

رأيت كثيراً من فتاوي مشائخي ... ولم أر فتوى مثل فتوى محمد
سمي أبيه المنتمي بانتمائه ... إلى انبوجَ جد الألمعي المؤيد
أتانا بفتوى كالصباح صحيحة ... كفتوى الإمام الشافعي المجدد
وفتوى إمام المالكية مالك ... ونعمان والليث بن سعد وأحمد[3]

وقد رد صاحب الديوان جميل القاضي الولاتي، فخاطبه مرات، منها قوله مثنيا على ورعه إذ رجع عن حكم حكم به بعدما تبين له خطأه :

جزى الله عنا صالحاً برجوعه ... إلى الحق لما لاح ضوء شموعه
وأحيا به شرعاً محا الجهل رسمه ... وخيم في أطلاله وربوعه
وأجزل في التوفيق والعدل حظه ... وما كل قاض نال فضل كروعه
فدىً لك ولاج القضاء ومالـه ... من العلم إلا ملء نقرة كوعه
يري منه زند الحكم قبل اقتداحه ... ويسمع قول الخصم قبل شروعه
ويفديك رجاع بأول لائح ... وآخر يلقى الموت قبل رجوعه[4]

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 213.
(2) راجع ترجمته في الفصل الثاني من مقدمة هذا الكتاب، ص 97.
(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 151.
(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 247.

ورغم أن صاحبنا قد تحول من الطريقة القادرية إلى الطريقة التجانية، فإنه قد احتفظ بصلات مودة مع آل الشيخ سيدي المختار الكنتي، مشائخه السابقين، فتبادل المدائح مع الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار[1]، ومدح أخاه خطاري[2].

ويتجلى احتفاظه بصلات المودة والتقدير مع الزاوية الكنتية بعد تحوله من القادرية إلى التجانية في كثرة عزوه إلى مؤلفات الشيخين سيدي المختار وسيدي محمد في كتاب الجيش، إذ لا تكاد صفحة منه تخلو من إحالة إلى "جذوة الأنوار" أو "الكوكب الوقاد" أو "فقه الأعيان" أو "الطرائف والتلائد" أو غيرها من مراجع المكتبة الكنتية. بل إننا وجدنا صاحب الديوان يستشهد في مبحث صوفي دقيق بما يرويه شفاها عن الشيخ سيدي محمد ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي[3]، وهو أمر بليغ الدلالة على الانسجام الذي طبع العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية في المراحل الأولى من تعايشهما.

وفي ضالة الأديب قصيدة خاطب بها صاحب الديوان عبد الله بن سيدي محمود الحاجي (ت 1255)[4]، وهي تنضح ثناء وإجلالا، وتدل على إعجاب بهذا العالم والزعيم العسكري كبير، يقول في بدايتها :

إلى الحكم المشهور بالعلم والتُّقَى ... سلام يباري المسك إما تَفَتَّقَا
سـلام بأسـلاك الـوداد مـنظَّم ... يفوق الرحيق البابلي المعتَّقَا[5].

وقد اطلعنا على حظ ذي بال من صلاته بأعلام ربطه بهم انتماؤه الصوفي التجاني أو أسهم في ذلك. فقد ربطته صلات وثيقة بأعلام التجانيين في كل من مدينتي وادان وشنقيط، وبلاد الترارزة، والمغرب الأقصى، وبلاد السودان. فقد أسلفنا أن شيخه الأول في التجانية كان بافو بن حم ختار الحاجي الواداني، بيد أنه لم يلبث أن طلب علو السند في هذه الطريقة، فأخذها (مراسلة على ما نرجح) عن شيخ شيخه سيدي مولود فال، ثم راسل شيخ هذا الأخير، وتلميذ الشيخ سيدي أحمد التجاني المباشر، ألا وهو الشيخ محمد الحافظ.

ومن المراسلة بين الجالية التجانية التيشيتية، ومركز التجانية الشنقيطية إذ ذاك، أي حضرة الشيخ محمد الحافظ، وصلنا أثران هامان، أحدهما "نفحة المنان، في تأييد

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 150، 220.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 198.

(3) عبد الله بن سيدي محمود الحاجي : راجع ترجمته، ص 161 من هذا الكتاب.

(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 226.

اعتقاد الإخوان"، وهو عبارة عن رسالة كتبها محمدي بن سيدينا إلى تجانيي تيشيت ووادان في حياة الشيخ محمد الحافظ وعن إذنه، ويتضمن هذا الكتاب "تقديم" الشيخ محمد الحافظ لصاحبنا أي إذنه له في تلقين الأوراد التجانية.

والأثر الثاني هو الأجوبة التيشيتية، وهو عبارة عن أجوبة على أسئلة طرحها تجانيو تيشيت على الشيخ محمد الحافظ، فشرع في الإجابة عليها، ثم توفي فأكملها تلاميذه وخليفته محمدي بن سيدينا. وهو الذي كان صاحب الديوان يدعوه "كبير إخوتنا"[1].

ومن خلال هذه العلاقة الوثيقة، وصلت إلى صاحبنا أنباء السجال الدائر بين التجانيين وادبيجه الكمليلي، الذي حمل لواء الإنكار عليهم، وأطلق فيهم لسانه شعرا ونثرا. وقد ألزم الشيخ محمد الحافظ أتباعه بالإعراض عنه، فأطاعوه. حتى إذا توفي الشيخ رأوا أن يردوا عليه، فكان محمدي بن سيدينا شاعرهم في ذلك، حتى سماه التجانيون "حسان الطريق"، اقتباسا من قوله :

وإني لحسان الطريق وأهلها أذود أبا جهل النكير وأزجر[2].

وقد ساهم صاحب الديوان في الجانب الشعري من هذه المعركة، وحفظ لنا المؤلف قصيدة من شعره في ادبيجه[3]، غير أنه برز في مجال الرد العلمي، فألف كتاب الجيش، الذي أشرنا آنفا إلى أثره البالغ في شهرته، ومكانته العظمى عند معاصريه ومن بعدهم، وهو كتاب جدير بدراسة مستقلة تبين منزلته في تاريخ الثقافة الشنقيطية، نرجو أن يتاح له من يفرده بها.

وقد كان كتاب الجيش ومنظومة السرية مصدر شهرة لمؤلفهما وإجلال كبير عند جميع التجانيين في بلاد شنقيط، كما عبر عن ذلك "كبير إخوته" محمدي بن سيدينا، مبتهجا بلقائه بعد أن عرفه من خلال كتابيه المذكورين فقال :

أحمد الله غير ذي تقصير أن أراني محمد بن الصغير
باعث الجيش والسرية في نصرة شيخ الهدى التيجاني الكبير
يا لها من سرية وخميس تبرا الزور أيما تتبير
أقبلت وهي تقدم الجيش حتى صيحت خيلها جموع النكير
تركت زورهم كرهط حيي مودعاً في خنادق وحفير
أجهز الجيش بعدها بالدعاوي فجلاها جلاء رهط النضير...[4].

---

(1) ابن ادبوجه : الجيش، ص 97.
(2) الشنقيطي : الوسيط، ص 31.
(3) ابن ادبوجه : ضالة الأديب، ص 206.
(4) ابن ادبوجه : ضالة الأديب، ص 153.

وقد استمرت صلة المراسلة بين صاحب الديوان والجماعة التجانية في بلاد التوارزة بعد وفاة الشيخ محمد الحافظ ومحمدي بن سيدينا، كما تدل على ذلك أبيات صاحبنا التي خاطب بها الشيخ أحمدو بن الشيخ محمد الحافظ (ت 1325هـ)[1]، وهو ابن الأول وابن أخت الثاني، ومطلع الأبيات :

سلام على وجه أغر كريم يوافيه من رب أبر رحيم
على أحمد ابن الشيخ حافظ عصرنا وملجئنا في دفع كل رجيم...[2].

ومن خلال كتاب الجيش عرف صاحبنا بين التجانيين في المغرب الأقصى، وأبرز من نعرف من مراسليه منهم الفقيه أگنسوس، الذي كان قوي الصلة الثقافية ببلاد شنقيط عموما، متابعا لما يجري فيها من مناظرات ومجادلات.

وقد حفظ لنا صاحب ضالة الأديب رسالة مطولة من صاحب الديوان إلى أگنسوس، تضمنت ثناء عطرا مستفيضا، وإجازة له ردا على طلب منه بذلك.

وتمثل هذه الرسالة التي ساقها المؤلف على طولها ووصفها بأنها "تأليف مستقل"[3]، نموذجا فريدا لإنشاء صاحب الديوان نثرا. وهو يتميز، كغالب معاصريه، بالإيغال في السجع، والإغراب في اللفظ، والإغماض في دقائق الصور البلاغية القائمة على الاستعارة التخييلية المناسبة للمعاني الصوفية المجردة التي يروم الكاتب التعبير عنها، مع الإكثار من الاقتباس والاستشهاد، فقد ورد فيها - على سبيل المثال - سبعة عشر استشهادا من شعر المتنبي، مما يدل على درجة تمكن صاحبنا من ديوانه واستحضاره إياه.

وهذا نموذج من هذه الرسالة في الثناء على المخاطب بها، أي الفقيه أگنسوس :

«ولقد سعدت نفوس كنت ثروتها، وفازت قداح فئة مازلت حظوتها، ونقلت تابعة لخطوتك خطوتها، وصحت سماء فتح أنت طلعة لوحها، ورافع سمكها بإيقان نفوذ فتوحها، آمنة من كسوف أنوارها، واثقة بمدرار أمطارها، على أقطارها، فسحت على حجرها ومدرها، وسالت أودية بقدرها، فأغنت عن الاستسقاء، طول البقاء :

فما بفقير شام برقك فاقةٌ ولافي بلاد أنت صيبها محل»[4].

وقد حصلنا من مكتبة الفقيه أگنسوس الخاصة على رسالة الاستجازة التي وجهها الفقيه المراكشي إلى صاحبنا، وبالغ فيها ثناء عليه، سالكا نفس المسلك، فمن ذلك قوله في وصف مخاطبه، وهو يدل على عظيم قدره عنده :

---

(1) الشيخ أحمدو بن الشيخ محمد الحافظ : راجع ترجمته، ص 225 من هذا الكتاب.
(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 225.
(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 129.
(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 144.

«عالم الدين والدنيا وعبارة لسانهما، ومالك عصم حسانهما، وبارق ديم إحسانهما، وواسم صفحات الدهر وراقم حاله، وصاحب شقائه ورئيس علله، وصدر صدوره وزين محافله، ضياء أعاليه وأسافله، ومصدر فرائضه ونوافله، مراد الأدب الغض اليانع، السالم من الموانع، والأخلاق الدمائث، والمناطق السائرة الساحرة المنافث، والتوحد بالفنون الفائقة للإدراك، المنزه انفراده بها عن الإشراك، والرواية الطامية التيار، والدراية الصافية المعيار، والإمتاع العذب المغاثير، والمحاضرة الثابتة الأصول والدساتير، والمزايا التي تكاثر النجوم الساريات، والمناقب التي تسابق الرياح الذاريات، رجاحة وقار في قبول وإقبال، لا تزول أو تزول الجبال،

ورقة أخلاق كما رف زاهر ... من الروض أو دارت معتقة صرف

تحل حبى الأحلام هزا كأنما ... لسامعها في كل جارحة عطف»[1].

وحفظ لنا صاحب ضالة الأديب كذلك جزءا من رسالة جوابية من أگنسوس يشكر فيها صاحبنا على ما أسدى إليه من نعمة الإجازة.

ولسنا نشك في أن صاحبنا قد راسل أعلاما آخرين من التجانيين وغيرهم بالمغرب الأقصى، الذين كانت تربطه بهم أقوى الصلات، وقد صرح بذلك المؤلف إذ قال، في سياق حديثه عن رسالة كتبها إلى أبيه الفقيه أگنسوس : «وله مكاتبات إليه كثيرة مثل أعلام الطائفة التجانية المراكشيين والفاسيين والمكناسيين وغيرهم من الأئمة»[2].

ومن ذلك أن صاحبنا قد راسل كذلك السلطان العلوي بالمغرب الأقصى مولاي عبد الرحمن بن هشام، ولكن هذه الرسالة - مع الأسف - لم تصلنا منها إلا مقدمتها، التي لم نستطع منها تبين موضوعها، وهي دليل آخر على الصلات القوية التي كانت تربط بلاد شنقيط عامة، ومدينة تيشيت، خاصة، بالدولة العلوية.

وفي صدر هذه الرسالة يقول :

«إلى الإمام الذي نشر جناح العدل في العالمين، وحمى حمى الملة والدين، الجامع لسيرة أنامت الرعايا في مهاد الأمان، وسيرة تكفلت أياديها بكف عوادي الزمان، سلطان البسيطة، وإمام الخليقة، حسنة الزمان، وناصر الإيمان، وجامع كلمة الإسلام، وقامع عبدة الصلبان والأصنام، القائم بالجهاد وفرضه، الصادق عليه "السلطان ظل الله في أرضه"، سيدي ومولاي عبد الرحمن...»[3].

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 256.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 151.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 128.

وقد أشرنا سابقا إلى الصلة التي ربطت صاحبنا بسيدي العربي بن السائح، عن طريق أخيه وتلميذه سيدي عبيدة.

أما في بلاد السودان، فقد ارتبط صاحبنا ارتباطا قويا بالحاج عمر بن سعيد الفوتي[1].

ويتضح لنا السياق العام الذي تندرج فيه الصلة بين صاحب الديوان والحاج عمر إذا اعتبرنا ما أشار إليه المستشرق الأمريكي روينسون بقوله : «إن الفوتيين، بالإضافة إلى علاقاتهم المضطربة بالشناقطة الأقوى منهم عسكريا، قد أقاموا صلات أدوم مع بعض

---

(1) الحاج عمر بن سعيد تال الفوتي : (1210/1796-1280هـ/1864م). عالم جليل ومجاهد كبير ذو دور حاسم في التاريخ الديني والثقافي والسياسي والعسكري للسودان الغربي المسلم خلال بحر القرن 13هـ/19م.

قام خلال سنوات 1268هـ/1852م-1280هـ/1864م بحركة جهادية شملت مناطق واسعة من حوضي نهري السنغال والنيجر، واستهدفت توحيد السكان المسلمين لتحقيق هدفين رئيسيين :

1. نشر الإسلام في المناطق الوثنية المتاخمة للبلاد الإسلامية مع القضاء على جيوب الوثنية التي تتخلل بلاد المسلمين.
2. مقاومة النفوذ الاستعماري الفرنسي الآخذ في الهيمنة انطلاقاً من مدينة سانلويس على مصب نهر السنغال.

وقد حقق الحاج عمر سلسلة من الانتصارات العسكرية الحاسمة، على طريق هدفيه هذين، وأقام دولة إسلامية مرهوبة الجانب، أقضت مضجع الفرنسيين وحدت من سرعة توسعهم ونشرت الإسلام في ربوع كثيرة لم يدخلها من قبل، وبقي فيها حتى الآن.

واصطدم "الجهاد العمري" بقوى عديدة منها الفرنسيون والوثنيون، والمسلمون الذين تحالفوا مع هؤلاء أو أولئك لأسباب تاريخية شتى.

وواصل خلفاؤه بعد موته ترسيخ دعائم الدولة وحمل راية الجهاد ضد التوسع الاستعماري الفرنسي، فكان ما يدعوه الفرنسيون "إمبراطورية التوكولور" واحدة من أقوى قلاع المقاومة في غرب إفريقيا، وتطلب القضاء عليها عدة عقود.

وكان الحاج عمر، إضافة إلى خصاله العسكرية والسياسية الفذة، عالماً ضليعاً غزير التأليف متنوع مجالاته، ما تزال أكثر آثاره مخطوطة.

وإنه لمن الغريب ندرة الدراسات العربية المهتمة بهذا العلم البارز من أعلام المسلمين علماً وجهاداً، وضعف الاهتمام به في الحقل الثقافي العربي، وحسبك مثالاً على ذلك أن الزركلي على سعة اطلاعه وغنى مصادره لم يفرده بترجمة في الأعلام، وأهم ما نشر عنه بالعربية حسب علمنا كتاب وفصل من آخر، هما :

أ) محمد الحافظ التجاني المصري : الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية.

ب) د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المسلمون والغزو الأوروبي لإمبراطورية التوكولور. وهو الفصل الثاني من كتابه القيم : المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا. أما باللغات الأوروبية فقد تناولت دراسات عديدة حياة الحاج عمر وجهاده وآثاره، نذكر منها على سبيل الخصوص اثنتين، نعتبرهما أبرزها وأكثرها تلخيصاً لما سواهما وهما :

a) David ROBINSON : The Holy war of Hajj Umar.

وقد رجعنا إلى ترجمته الفرنسية تحت عنوان : La Guerre Sainte d'Al Hajj Omar

b) Madina Ly Tall : Un Islam militant en Afrique de l'Ouest au XIXe siècle, la Tijaniyya de Saiku Umar Futiyu contre les pouvoirs traditionnels et la puissance coloniale.

العلماء والتجار، خاصة في كبريي مدن الحوض أي ولاته وتيشيت، فقد كانت هاتان المدينتان قائمتين على الطريقين الرئيسيين الرابطين بين النيجر الأوسط (من جهة)، ومعادن الملح في (سبخة) الجل، وميناء الصويرة المغربي (من جهة أخرى). وكان في كلتيهما أعلام من أتباع الطريقة التجانية، أخذوها ابتداء أو تجديدا عن (الحاج) عمر. وكانوا كثيرا ما يزورون نيورو وسيگو...

«وكان لأبناء تيشيت مكانة كبيرة في العلاقات التجارية للدولة (العمرية). فقد التحق بعض التجار منهم بـ "الحاج عمر" في نيورو خلال حملة كأرتا، وبقي بعضهم في العاصمة. وأسسوا فيها حيا يدعى "تيشيت كندا"، حيث أنشأوا مدارس ونظموا رحلات القوافل»[1].

ولم تسعفنا مصادرنا بنص على بداية الصلة بين الرجلين، بيد أننا نستنتج في غير عسر أنها كانت فعلا في هذه الفترة، فترة ما يدعوه المختصون في الدراسات العمرية "المرحلة الوسطى من الجهاد"، وهي المتميزة بفتح البلاد الوثنية في منطقة "كأرتا"، بلاد بمباره المجاورة جنوبا لبلاد شنقيط، والمرتبطة، مع مدينة تيشيت خاصة، بصلات تجارية وسياسية متينة. وهذه المرحلة من مراحل الجهاد العمري هي التي «بلغ فيها أقصى تأثيره شمالا، وتوغل أكبر توغله المباشر في مجال بلاد شنقيط ومراعيها وتجارتها»[2].

والإشارتان الوحيدتان المحددتان تاريخيا في هذا الموضوع تؤكدان ما ذهبنا إليه، وهما قول المؤلف إن أباه قد أخذ الورد التجاني عن الحاج عمر: «لما لقيه في سفره الذي توجه إليه فيه سنة 1273»[3]، وقول مارتي أنه «قدم على الحاج عمر منتجعا إبان مروره بنيورو، ثم خاب أمله فعاد إلى تيشيت»[4]. ونحن نشك أقوى شك في ما زعمه الإداري الاستعماري المعروف بحقده على الحاج عمر وأضرابه من العلماء المجاهدين، من أن ابن انْبوجَه قد زاره طالب جدوى وعاد من عنده خائبا، وهو مناقض لما نعرفه عن الزائر من زهد في الدنيا، وعن المزور من بذل لها غير خائف إقلال.

وقد أبرز العلاقة الروحية بين الرجلين أحمد بن بدي بقوله في سياق عدّ الأعلام الذين أقروا بفضل الحاج عمر وألقوا إليه القياد: «وهكذا الشيخ النحرير والعلامة الكبير،

---

(1) راجع: ROBINSON : La guerre sainte d'Al Hajj Umar, pp.4-343

(2) راجع: ROBINSON : La guerre sainte d'Al Hajj Umar, pp.343

ولاحظ أننا نستعمل كلمة "بلاد شنقيط" و"شناقطة" مقابلين عربيين لكلمتي le Maures، le pays maure، لأن المدلول عندنا واحد.

(3) ابن انبوجه: ضالة الأديب، ص 149.

(4) P. Marty : Les tribus maures du Sahel et du Hodh, p. 69

سيدي محمد بن محمد الصغير، وكان ممن جمع بين الحقيقة والشريعة، فلما اجتمع به اتسلخ من علمه وجدد له البيعة وكان له خديما، وتمنى أن يكون له نديما، ومدحه نظما ونثرا وحلاه من شعره ذهبا ودرا »[1] ومن خلال ديوان صاحبنا يبدو إعجابه بالمجاهد الفرتي عظيما، إذ يشيد بعلمه وخلقه وسياسته، ويتبنى مشروعه السياسي الديني تبنيا لا هوادة فيه، فيدعو إليه ويبشر به اعتمادا على ما يراه في المجاهد الفوتي من خصال العلم والشجاعة والزهد والإخلاص، مما يؤهله ليكون بالفعل نموذج القائد الإسلامي الذي يطمح إليه صاحبنا وأمثاله.

ويتجلى هذا، على سبيل المثال، في المقارنة التي يعقدها بين الحاج عمر وغيره من "سلاطين الدنيا" فيقول :

فهمهم جمع الذخائر للغنى ... وهمك تفويق الذخائر للأجر
وفخرهم بالمال إذ يجمعونه ... وفخرك بالتقوى وبالعمل الحر
وهم ينفقون المال في شهواتهم ... ولا يتقون الله في البذل والحجر
وأنت تعد المال لا لك إنما ... ليصرف في أهليه في سبل البر
ومطلبهم ملك القلوب بجاههم ... ومطلبك الأسنى رضى ربك البر
وعزك بالله الذي جل ذكره ... وعز ملوك الأرض بالجند والوفر
وهم أعبد الدنيا وأنت لربها ... ورحمانها عبد تعبد بالشكر[2]

ونحن نعتقد أن هذا "الانخراط الكامل" في الحركة العمرية يفسره، بالنسبة لصاحبنا، عاملان مترابطان:صوفي وسياسي.

أما العامل الصوفي، فانتماء الرجلين المشترك إلى الطريقة التجانية التي كان الحاج عمر يعتبر أحد أكابر مشائخها، فنال بسبب ذلك إجماع معاصريه من أتباعها على إجلاله والإقرار بتقدمه، والدفاع عنه في وجه خصومه. ومعلوم أن التجانية الشنقيطية قد تبنت حركة الحاج عمر تبنيا كاملا، فالتحق بها بعض أعلامها كأحمد بن محم، وناصرها بعضهم بأقلامهم، كأحمد بن محمدي بن سيدينا (ت 1322هـ)، مؤلف الكتاب الهام "الدرع والمغفر، في الرد عن الحاج عمر".

وأما العامل السياسي، وهو يتجاوز إطار الانتماء الصوفي، فهو ما اشترك فيه أعلام متعددون من علماء بلاد شنقيط من تحمس لجهاد الحاج عمر، باعتباره مؤذنا بقيام

---

(1) أحمد بن بدي : الدرع والمغفر، ص 18، ولاحظ أن محققه قد خلط في الهامش بين صاحب الديوان وأخيه سيدي عبيدة.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 194.

دولة إسلامية، تقوم على مبدأي الجهاد ضد الكفار والعدل بين المسلمين، مشكلة بذلك نقيضا للوضع السياسي القائم إذ ذاك في بلاد شنقيط، وهذا شأن الشيخ محمد المامي - على سبيل المثال - الذي مدح الحاج عمر رغم أنه لم يكن تجانيا بقصيدة مطولة تنضح بهذا المضمون مطلعها.

سَلامٌ على من نَورُ مَغْنَاهُ فَائِحُ ومن نُورُهُ للشمس والبدرِ فَاضِحُ

وفيها يقول :

فنحمد ربَّ العرش إذ خص قطرنا بمن هو للأمصار هادٍ وفاتحُ
ولا ضاع بين الدَّولتين مـــدارسٌ لهم همـمٌ في المكرمات سوابحُ[1].

وكان صاحب الديوان يرى في حركة الحاج عمر بعدين متكاملين : جهادا ضد الكفار، وإصلاحا لأوضاع المسلمين، وقد اتفق لقاؤه بالمجاهد الفوتي - كما أسلفنا - في أوج انتصاره في الجهاد ضد الوثنيين، فسيطر ذلك الانتصار على مشاعره ورؤاه تجاهه، ولكنه كان في الوقت نفسه يتطلع إلى أن يبسط المجاهد الفوتي سلطانه على بلاد شنقيط نفسها في المرحلة التالية، ليخلصها من فوضى المكوس والإتاوات.

ويتجلى لنا ترتيب الأولويات هذا في سياقات متعددة، من أصرحها قوله متحدثا عن الحاج عمر :

إمـام أتـــى والأرض دولـة كـافـر ودولـة مـكاس تـطاول في الظلم
فـقـام بـإذن اللـــه بالجـد بـادئاً بالأولى فالأولى آخذاً سنن الحزم
فـحكم في الكـفر الصميم سـيوفه فـأرجـفه رجفاً بـرجم عـلى رجـم
وأمـا أمـور المـكس فـهي مـنوطة بلقيا نهار منه مختلط الهـم
فـلا بـعـده كـسرى يـكون وقـيـصر ولا سطوة تخشى لمكس ولا غرم
رجونا بـه التحرير من مكس عربنا وشيكاً وأن نلقى مفازاً عن الهضم
فنكسى ثياب الأمن من خالص الأذى وتبدو رسوم الشرع رسماً إلى رسم[2].

وهو في سياق آخر يرجو لعرب البلاد توبة تمنعهم أن يفعل بهم الحاج عمر ما فعل بكفار بنباره فيقول مخاطبا إياه :

ولم تبق من أقيال مَاصَ مُلَّكًا ولا مِنْ سواهم من جبابرة الكفْرِ
وإن لم يَتُبْ عُرْبُ البلاد وينتهوا أذقتهمُ ماذاقت الحُمْسُ في بدر[3].

---

(1) راجع الشيخ محمد المامي : الديوان، ص 75.
(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 148.
(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 193.

وقد أنشأ صاحبنا قصيدة مفردة تقوم بمثابة البيان الديني السياسي الموجه إلى مواطنيه من سكان بلاد شنقيط، لتحمل إليهم صورة الحاج عمر وجيشه وتبلغهم دعوته إلى الدخول في سلطانه قبل أن يحل بهم ما حل بغيرهم من أعدائه، وهي التي ذكر المؤلف أنه قالها «يمدح الشيخ عمر ويذكر جيشه الذين جاهدوا معه، وينصح من خالفه من معشر البيضان»[1] وأولها :

عن شأن هذا الشَّيخ يا مُسْتَعْظِم ... سلْني وسلني أيُّها المتَهَضِّمُ
أخبرُكُمَا عن مستطاب خِلالِه ... وخلال عسكره التي تُتَنَسَّمُ

....

أما الخليفة فَهْوَ أكبر آيةٍ ... في الوقت منصبُهُ أجَلُّ وأفْخَمُ
هوفي عُلًى عن فحش غمص الغامصينَ وفوقَ ما يستعظم المستعظمُ
هُديَ الصراطَ المستقيمَ فمَا لَـه ... بسوى الصراط المستقيم تَهَمُّمُ
ومُنَاهُ من دنياهُ أن تفنى الدُّنَى ... وملاكها الدين الحنيف القَيِّمُ

وفيها يقول متحدثا عن جنود الحاج عمر :

قصموا بإذن الله كل معاند ... للشيخ من سود الجلود وهدَّمُوا
وأخاف يا بيضَ الجلود عليكمُ ... إن لم تَفيئُوا عاجلا أن تُغنَمُوا[2].

وتشير المصادر الفرنسية، والسودانية[3] إلى أن صاحبنا قد رحل إلى الحاج عمر وهو كبير السن، وكان ذلك، كما أسلفنا سنة 1273هـ ثم عاد إلى تيشيت، وفيها توفي.

I. 7. الشعر والشاعر

إن المفاجأة الكبرى التي يحملها، على ما نعتقد، اكتشاف ضالة الأديب هي الجانب الأدبي منها، أي ديوان الشاعر، وهو الهدف الرئيس من تأليفها، كما صرح بذلك صاحبها، إذ قال معرفا بها في المقدمة : «هذه نبذة غريبة المثال، آتية على أحسن منوال، مخترعة من غير سبق مثال... جمعت فيها ما سمح الدهر به من شعر ونظم الوالد، أتت على الطارف من مكنون شعره والتالد»[4].

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 199.
(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 199.
(3) المنتقي تال : أخبار الحاج عمر، P. Marty : Les tribus maures du Sahel, p. 69
(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 74.

وإنما دعونا اكتشاف ديوان الشاعر مفاجأة كبرى لأنه يؤدي إلى تصحيح الصورة التي كانت سائدة في تاريخ الشعر الشنقيطي، ويكمل ملامحها في مستويين : شخصي وجهوي.

أما الشخصي فمتعلق بالشاعر نفسه، إذ كان معروفا بوصفه فقيها ومتصوفا ومؤلفا ناثرا ناظما، وأما وصفه شاعرا فمجهول تماما عند المختصين من المشتغلين بهذا المجال فضلا عن غيرهم.

ويكفي دليلا على ذلك أن رائد التدوين في مجال الشعر الشنقيطي، ونعني صاحب الوسيط، قد قال في ترجمته «لم نعرف له شعرا»[1]، وهو حكم بات صادر عن رواية متبحر، قريب من المعني زمانا، منتم وإياه إلى نفس القبيلة والطريقة الصوفية.

وعلى هذا النهج درج اللاحقون من المترجمين للرجل والدارسين في مجال الشعر الشنقيطي، فأهملوا الحديث عن شعره تماما، ونعني على وجه الخصوص ابن حامد[2] وولد اباه[3] والنحوي[4].

أما نحن فلم نعرض له أصلا في أطروحتنا حول الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري[5]، إذ اعتمدنا في استقرائنا لشعراء هذا القرن على المصادر المتاحة لنا إذ ذاك، وأهمها وسيط الشنقيطي وموسوعة ابن حامد وكتاب الشعر والشعراء لمحمد المختار ولد اباه فكنا كأصحاب هذه الكتب لا نعرف له شعرا. ولا شك أنه لو كانت ضالة الأديب بأيدينا لأدرجناه في صدر قائمة الشعراء الذين درسناهم في الأطروحة المذكورة، ولن يزال البحث العلمي الجاد يراجع نفسه على ضوء التقدم المطرد في اكتشاف الوثائق وتأويلها ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾.

والغريب أن هؤلاء الباحثين - ونحن منهم - لم تلفت نظرهم الإشارة البالغة الأهمية على اقتضابها الواردة في ميزاب الرحمة الربانية لسيدي عبيدة بن انْبُوجَه، وهي قوله متحدثا عن أخيه شيخه «وله من رقيق الشعر ما لا يحصر»[6]، ولم ينتبهوا إلى نص أحمد ابن بدي على أنه مدح الحاج عمر «نظما ونثرا وحلاه من شعره ذهبا ودرا»[7] كما أن

---

(1) الشنقيطي : الوسيط، ص 89.

(2) ابن حامد : الحياة الثقافية.

(3) ولد اباه : الشعر والشعراء في موريتانيا.

(4) النحوي : بلاد شنقيط.

(5) ولد الحسن : الشعر الشنقيطي.

(6) ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 5.

(7) ابن بدي : الدرع والمغفر، ص 18.

الشنقيطي لم يفطن إلى التناقض بين قوله في ترجمته إنه «لا يعرف له شعرا»[1] وقوله في ترجمة خصمه اديبجه الكمليلي «وهجا أحمد الصغير ابن انْبُوجَ، وهجاه هو»[2]، فكيف يصدر الهجاء ممن لم يكن شاعرا ؟ ولو قال في السياق الأول «لا أحفظ له شعرا» لأمكن الجمع، ولكنه نفى هنا ما أثبته هناك، فاعجب !

وعلى عكس ما كنا نعرف عن الرجل قبل اكتشافنا ضالة الأديب، بدا لنا من خلالها شاعرا مجيدا مكثرا متفننا.

وهو، إلى ذلك، شاعر مبرز في بيئته، حتى كان عرضة لسرقة الشعراء الآخرين الذين تناهبوا شعره فادعوه لأنفسهم، وجعلوا ذلك لهم مزية وفضلا.

يقول المؤلف في تعداد الدواعي التي دفعته إلى جمع ديوان والده «ومنها - وهو أعظمها - أن بعض المنتمين من اللسن المتفنن في العربية، والإعرابات والمعربات والمبنيات والأبنية، تسور على قصائد له رضي الله عنه فعزاها لنفسه، ترفعا بانتمائها إليه على أبناء جنسه، تسور الأسد الضاري، على الفتك بالمتغاقل الساري، فافتخر بها غاية الافتخار، على من شآه من شعراء الأعصار»، بل يبدو أن شعر صاحب الديوان كان مصدرا أساسيا لحركة شعرية في تيشيت، تناهبه شعراؤها، برضى منه أو غير رضى، كما يقول المؤلف في السياق نفسه : «وكم من قصيدة من أشعار أهل الوقت لولا تصحيحه وترتيبه لم يتضح لها صباح، ولا ظفر صاحبها بفلاح، فهي له نسجا وترتيبا، ولصاحبها عزوا وتقريبا، وكم من قصيدة هذبها وأعمل فيها الفكرة، على لسان غيره فنسبت له شهرة... ومن استقرأ جوامع الأشعار الوقتية، وتملك ملكة شعره القوية، عرف شعره فيها شمسه تلوح، وإن كان يرقق عن صبوح»[3].

وبالإضافة إلى هذا الجانب الشخصي المتعلق باكتشاف بعد هام من أبعاد شخصية صاحبنا، تسد ضالة الأديب فراغا أساسيا في التوزيع المكاني والزماني للشعر الشنقيطي.

ذلك أن أكثر المعروف من هذا الشعر ،وخاصة في القرن الثالث عشر الهجري، هو لشعراء عاشوا في الجنوب الغربي من البلاد، أي في بلاد الترارزة وما جاورها.

وهذا أمر يطرح سؤالين ملحين :

كيف ولماذا ينحصر الشعر في منطقة واحدة من البلاد؟ وأين شعر المناطق الأخرى، خاصة المناطق الشرقية التي كان لها الدور الرائد تاريخيا في نهضة البلاد الثقافية ؟

---

(1) الشنقيطي : الوسيط، ص 89.

(2) الشنقيطي : الوسيط، ص 369.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 249.

لقد اختلفت الإجابات المفترضة لهذين السؤالين، ولعل من أسيرها وأيسرها اتهام الرواة والمدونين والباحثين المشتغلين بالشعر الشنقيطي بالتحيز الجهوي لمنطقة من البلاد على حساب أخرى.

وقد كنا، أيام اشتغالنا بالبحث والتدريس في هذا المجال، نبرأ من هذه التهمة الموجهة إلينا وإلى أساتذتنا الأجلاء، ونؤكد أن الباحث في مثل هذه الأمور أسير الوثائق، وأن الإجابة العلمية على مثل هذه الأسئلة ينبغي أن تكون مزيد البحث والتنقيب والتحقيق والتمحيص، بغية استخراج دفائن المخطوطات، وإحياء موات الكتب.

ونحن نحمد الله أن ساق على يدينا اكتشاف ضالة الأديب، ومن خلالها إضافة اسم بارز إلى لائحة أكابر شعراء بلاد شنقيط في القرن الثالث عشر الهجري.

ولاشك أن ديوان هذا الشاعر يحتاج بحثا نقديا مفردا يستجلي خصائصه الفنية والأسلوبية ويثري بنتائجه التاريخ العام للشعر الشنقيطي، وهو ما نرجو أن يتيسر قريبا على يدينا أو أيدي غيرنا من زملائنا الباحثين.

بيد أننا، في انتظار ذلك، نلقي عليه نظرة عجلى، نستجلي بها أبرز خصائصه شكلا ومضمونا.

تضمن الديوان 1388 بيتا موزعة على 66 نصا، شديدة التفاوت طولا، من البيت الواحد إلى القصيدة التي تناهز المائتين. وقد رتبه المؤلف حسب الأغراض على ثلاثة أبواب وخاتمة، فخصص الباب الأول للمراثي والثاني للمدائح والثالث للهجاء، وجمع في الخاتمة ما سوى هذه الأبواب الثلاثة، ثم قسمها إلى ثلاث مجموعات، تناولت الأولى الإخوانيات ("ما قاله في السلام والتحية") والثانية شعر الابتهال والمناجاة ("ما قال في التضرع إلى الله والدعاء والتوسل إليه وما يجري مجراه من التسليم للقضاء") وأدرج في المجموعة الثالثة ما لم يندرج في إحدى المجموعتين ("جامع بقية الأشعار مرتبا على الحروف").

ويصور الجدول رقم 3 توزيع أشعار الديوان على أبوابه، وتوزيعه على البحور العروضية.

وبالتأمل في هذا الجدول تتضح لنا بعض الخصائص النقدية لشعر صاحبنا، ومن أهمها انحصار شعره في الأغراض الدينية أو القريبة منها، حيث لا نجد له أي نص غزلي مستقل، وهو ما يؤكد خضوعه لسلطان الرقابة الفقهية، وكان قويا في ولاته وتيشيت كما أوضحنا ذلك سابقا، فحظر على الشعراء من أغراض الشعر أشدها إرابة للفقهاء[1].

---

(1) ولد الحسن: الشعر الشنقيطي، ص 125.

وقد صور الشاعر تصويرا دقيقا هذا الصراع الذي يعتمل في نفسه خلال العمل الإبداعي، بين الألفاظ والمعاني، يطلب جيدها ويأبى رديئها، وبين النفس الجموح توشك إن أرخي لها الزمام أن تحوم حول الحمى، ومقتضيات التقوى تزجر عن الوقوع في محظورات الكلام:

وأعجب شيء والأعاجيب جمة ... عراك المعاني والعبارات في الصدر
كأن المعاني الوحش والفكر صائد ... والألفاظ شص والمقاصد كالوذز
أو الفكر ريح والمعاني جداول ... والألفاظ مزن والمقاصد كالقطر
وما الشعر إلا ما تناسب لفظه ... جواهر ياقوت ومعناه كالدر
وشيبت معانيه بحلواء حكمة ... وسحر بيان في بيان من السحر
وفي مذود المنطيق منه ذرابة ... على حسب الطبع الذي قاده تجري
ومن يرخ للنفس الجموح زمامها ... يحم فيه أحوال الحمى وهو لا يدري
ومن يتق المولى يسدد ويقتصد ... ففي كل قول ما يباح وذو حظر[1].

ولاشك أن هذا الإشكال الأساس المتعلق بشرعية الشعر في الثقافة الشنقيطية - وهي التي كانت في الوقت نفسه تنفيه وتقتضيه - هو الذي دفع المؤلف إلى تخصيص الفصل الأول من المقدمة لتأصيل الشعر في حقل الشرعية الدينية، مما سنعود إلى تفصيله لاحقا إن شاء الله.

وإذا تجاوزنا هذا الإطار العام المتعلق بانحصار شعر صاحبنا في الأغراض الدينية الجادة - وهو إطار يشاركه إياه نخبة من كبار الشعراء الشناقطة في القرن الثالث عشر الهجري[2] - ألفينا شعره منسجما مع الصورة العامة التي سبق أن استخلصناها من دراسة شعر معاصريه.

فهو شعر فصيح اللغة إلى جزالة واضحة، باستثناء قصيدته في أولاد امبارك التي أكثر فيها من استعمال الألفاظ والتراكيب العامية الحسانية اعتبارا لمقتضيات الحال، فكان بذلك أحد رواد المدرسة الشعبية في الشعر الشنقيطي.

وأما سائر شعره، فهو شعر قوي متون القوافي، خال من أشكال التكلف اللفظي والعبث الشكلي، منتسب صحيح الانتساب إلى عصور الفحولة في تاريخ الشعر العربي، بعيد كل البعد من الخصائص الفنية لما يدعوه مؤرخو الشعر العربي "عصور الانحطاط".

---

(1) ابن ازبوجه : ضالة الأديب، ص 229.

(2) ولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 191.

البحر / الغرض	الطويل	الكامل	البسيط	الرجز	الخفيف	السريع	الرمل	المتقارب	المجموع
الرثاء	112	145	00	00	00	00	00	00	257
المديح	227	201	00	01	34	00	00	00	463
الهجاء	071	00	119	00	00	00	00	00	190
الخاتمة	78 = 1	00	13	29	00	00	00	00	120
	56 = 2	041	91	38	00	00	04	26	256
	27 = 3	002	35	00	05	33	00	00	102
المجموع	571	389	258	68	39	33	04	26	1388

الجدول رقم 3

I. 8 الوفاة

لقد تعرض لتاريخ وفاة صاحب الديوان مصدران معاصران له، حوليات تيشيت لابن عشاي[1] ومنح الرب الغفور للمحجوبي[2]، واتفقا على أنها كانت سنـــة 1275هـ. وهو منسجم مع ما نص عليه ابنه المؤلف من أنه قد أكمل تأليف ضالة الأديب يوم السبت 6 ذي الحجة 1274هـ (9 يوليو 1858)، وأبوه إذ ذاك حي يرزق[3].

ولذلك يبدو لنا ما ذكره أحمد بن محم[4] من أنه توفي سنة 1274هـ وهما مقاربا.

---

(1) ابن عشاي : حوليات تيشيت، ص 17.

(2) المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 125.

(3) ابن ازبوجه : ضالة الأديب، ص 249.

(4) ابن محم : روض الشمائل، ص 21.

II. ترجمة المؤلف

لقد كانت رحلتنا في طلب مظان ترجمة مؤلف ضالة الأديب، سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه، أشد عناء وأقل غناء من رحلتنا في البحث عن مظان ترجمة أبيه.

ذلك أن ضالة الأديب كانت أول وثيقة نبهتنا إلى وجود مؤلفها، الذي ليس له في المصادر المتعلقة بالتاريخ الثقافي الشنقيطي أثر ولا عثير، فلم يذكره الشنقيطي ولا ابن حامد فضلا عن غيرهما.

وقد انطلقنا في بحثنا عنه من المعطيات التي أخذناها شفاها عن الشيخ الهادي تيام، إمام الزاوية التجانية الأخضرية بباماكو، وملخصها أنه قد التحق بالحاج عمر نيابة عن أبيه الذي أقعده الكبر، ثم اختص بأحمدو بن الحاج عمر (ت 1309هـ) وخليفته، حتى توفي وهو معه في مدينة سيگو، قبل احتلال الفرنسيين إياها. وترك ابنا يدعى أحمد التجاني (ت 1381هـ)، وهوالشيخ الذي أخذ عنه الهادي تيام، ومنه انتقل إليه مخطوط ضالة الأديب.

II. 1. المصادر

وقد وصلنا، بعد استفراغ الجهد بحسب الوسع، إلى أربعة مصادر تضمنت نتفا مختصرة من المعلومات المتعلقة بهذا الرجل، منها اثنان بدوا لنا قطعيين في موضوعهما، واثنان بدوا لنا ظنيين، وإن كان ظنا راجحا.

أما المصدران القطعيان فهما :

أ) أخبار الحاج عمر، لحفيده الشيخ المنتقى تال (وهو عميد أسرة آل تال بالسنغال الآن).

وقد تضمن - في عد ذوي العلاقة بالحاج عمر - فقرة موجزة حول صاحب الديوان والمؤلف، تواطأت مع ما رويناه شفاها عن الشيخ الهادي تيام، فيما يعني علاقة المؤلف بالحاج عمر وابنه أحمدو، ووفاته في سيگو دون تحديد تاريخ.

ونظرا لقيمة هذه الفقرة فقد أدرجناها في ملحقات ضالة الأديب(الملحق رقم 4).

ب) كتاب "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان[1]، للإداري الاستعماري الفرنسي بول مارتي PAUL MARTY.

وقد تحدث، في عد أعيان السودان الغربي في بداية القرن الميلادي العشرين، عن ابن للمؤلف يدعى محمد سيبي، كان تاجرا في مدينة باماكو (عاصمة مالي الحالية).

واستطرد ذكر جده (صاحب الديوان) سيدي محمد، فأشار - كما أسلفنا - إلى أنه قدم على الحاج عمر بنيورو منتجعا فعاد خائبا ثم قفل إلى تيشيت، وتعلق ابنه عبد الله، والد محمد سيبي، بالحاج عمر فتبعه إلى سيگو. ومات فيها بعد أن خدم الحاج عمر وابنه وخليفته أحمدو.

وقد عربنا هذه الفقرة وأدرجناها كسابقتها في ملحقات هذا العمل (الملحق رقم 5).

أما المصدران الظنيان فهما :

أ) فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور.

وقد عده واضعو فهرس المكتبة العمرية مجهول المؤلف[2]، غير أن أخانا الأستاذ ددود ولد عبد الله قد أهدانا صورة منه، ولفت انتباهنا إليه، مرجحا أن يكون من تأليف سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه، وذلك اعتمادا على قرائن أهمها تماثل خط كاتبه مع خط المؤلف في ضالة الأديب إلى حد التطابق، وذكره تفاصيل تشير إلى شخصيته.

وقد أولينا هذا المخطوط في شكله ومضمونه حظا غير قصير من تأمل وإمعان، فبدا لنا رأي الأستاذ ددود راجحا، وإن كانت لنا في شأن هذا الكتاب إيرادات نرجو أن نفردها ببحث لاحق إن شاء الله.

وقد تضمن هذا المخطوط إشارات مقتضبة إلى حياة مؤلفه، وهو صاحبنا على ما نرجح، سنستثمرها في إبانها بإذن الله.

---

(1) P. Marty : Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan (II : Les tribus maures du Sahel et du Hodh, p. 69).

(2) فهرس المكتبة العمرية، ص 36 وص 385.

ب) رحلة إلى السودان الغربي، للرحالة الفرنسي أوجين ماج[1] Eugène Mage، وقد تضمن هذا الكتاب في مواطن عديدة منه إشارات إلى رجل كان أحد المستشارين المقربين في بلاط أحمدو بن الحاج عمر بسيگو. وكان ماج يدعوه "سيدي عبد الله التيشيتي"، ووصفه مرة بأنه "شنقيطي من تيشيت، أستاذ اللغةالعربية"[2].

وإذا وضعنا هذه المعطيات في سياق معلوماتنا القطعية السابقة وما تؤكده من استقرار المؤلف في بلاط أحمدو بن الحاج عمر بسيگو، بدا لنا راجحا جدا أن يكون سيدي عبد الله التيشيتي الذي عناه ماج هو ذاته سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَه العلوي التيشيتي، مؤلف ضالة الأديب.

وهو الافتراض الأساس الذي ننطلق منه لاستثمار نص الرحالة الفرنسي في ترجمة المؤلف التيشيتي.

ولاشك أن ضالة الأديب نفسها تمثل مصدرا رئيسا لترجمة مؤلفها، وإن كانت المعطيات المباشرة حوله نادرة فيها، كما سنستعرض بتفصيل إن شاء الله.

II. 2. المولد والنشأة

ولد سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير سنة 1247هـ، على ما صرح به في فتح الرب الغفور، إذ قال في عد أحداث هذا العام "وفيه ولدت كما أخبرتني الوالدة"[3].

ولم تسعفنا مصادرنا بأي معلومات حول ظروف نشأته، ولا اسم والدته ولا أسرتها، وإن كنا نعتقد أنه قد نشأ في بيت أبيه، مما يسمح بتصور البيئة العلمية والدينية الراقية التي ترعرع فيها، وأثر ذلك في نفسه وشخصيته.

---

(1) Eugène Mage : Voyage au Soudan Occidental (1863-1866).

وكان ماج قد قدم من سان لويس إلى سيكو يوم 1864/2/28م (شعبان 1280هـ)، جاسوساً سفيراً من قبل الجنرال فيديرب، والي السنغال الفرنسي، مكلفاً بمهمة استطلاع وتفاوض مع الدولة العمرية، وأقام لدى أحمدو ابن الحاج عمر، (وكان أمير سيكو نيابة عن أبيه الذي كان إذ ذاك يحارب في ماسنة، حيث توفي)، وبقي ماج في سيكو أكثر من سنتين (غادرها يوم 1866/5/6م/ذو الحجة 1282هـ)، فارض فيهما وراوغ أحمدو بن الحاج عمر حتى توصلا (يوم 1866/5/3م) إلى توقيع اتفاق ينظم العلاقات بين الفرنسيين والدولة العمرية، فقفل إلى سان لويس.

(2) Eugène Mage : Voyage au Soudan Occidental, p. 134.

(3) ابن انبوجه : فتح الرب الغفور، ص 119.

II. 3 الدراسة والشيوخ

لاشك أن المؤلف اعتمد في الدراسة على والده صاحب الديوان. فتعلقه به، وإجلاله إياه، واطلاعه الوثيق على حياته العلمية وآثاره، كل ذلك دليل على تتلمذ له صريح، وإن كنا مع الأسف لانملك تفاصيل دقيقة حول العلوم والمتون التي درسها عليه. وقد ذكر، إضافة إلى والده، ثلاثة رجال، نعت كلا منهم بقوله "شيخنا"، مما يدل على أنه تتلمذ له، دون أن نعلم بالضبط متى ولا كيف، وهؤلاء الرجال هم :

1. محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري الولاتي[1].
2. رحمة الله بن عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله الغلاوي[2].
3. أحمد المعروف باهمار اسري بن محمد بن حمى الله المسلمي التيشيتي[3].

ورغم أننا نجهل تفاصيل دراسة المؤلف، فإن من الواضح أنها قد شملت أهم المعارف الدينية واللغوية المتاحة في عصره وقطره، وأنه قد نبغ شابا، فاشتغل بنسخ أمهات الكتب[4]، واتجه كأبيه إلى التأليف المبكر[5] مما يوحي بشخصية علمية متميزة.

II. 4 المؤلفات

لم تسعفنا مصادرنا بلائحة كاملة لمؤلفاته، ولكننا نسوق ما وصلنا ذكره منها :

1. خزانة الأرب، في معرفة أنساب العرب[6].
2. ضالة الأديب، الذي نشتغل بتحقيقه.
3. فتح الرب الغفور، في تواريخ الدهور[7].

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 79 و151، راجع ترجمة محمد صالح في الفصل الثاني من المقدمة، ص 97.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 96، لم نقف على ترجمته نصاً. راجع المقدمة، ص 96.

(3) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 103.

(4) لقد تضمن فهرس المكتبة العمرية ذكر عدد من الكتب بخط المؤلف منها الزهر البسام في من حوته عمدة الأحكام (رقم 5361، ص 70-96، وقد كتبه سنة 1266، أي وهو ابن 19 سنة)، وقرة العيون على رسالة ابن زيدون (رقم 5488، ص 210-249، وقد كتبه سنة 1267، أي وهو ابن 20 سنة).

(5) لقد أكمل تأليف فتح الرب الغفور سنة 1266، أي وهو ابن 19 سنة.

(6) لقد بينا سابقاً (ص 32 من هذه المقدمة) أن واضعي فهرس المكتبة العمرية قد نسبوا هذا الكتاب خطأ إلى صاحب الديوان، وهو المؤلف كما صرح بذلك مرات، ويوجد منه جزآن مخطوطان بالمكتبة العمرية بباريس، رقماهما 124-1 5397 و2100 و10 و5510.

(7) راجع رأينا في هذا الكتاب (ص 54 من هذه المقدمة).

4. تحفة المسترشد، في ذكر ما للدين من مجدد[1].

5. تاريخ الحاج عمر[2].

6. نزهة الأذهان، في ضبط ورد الشيخ التجاني[3].

II. 5 الشعر

لم يذكر أي من مصادرنا أن المؤلف كان شاعرا، بيد أنه أورد في ضالة الأديب[4] بيتين نسبهما لنفسه في تقريظ سند أبيه في الفقه المالكي، وهما يدلان على ملكة نظمية متوسطة.

II. 6 الانتماء الصوفي

يبدو جليا أن المؤلف قد نشأ بعد أن أخذ أبوه الطريقة التجانية، فانتسب إليها على يديه[5]، وأخذها عن مقدمين آخرين عديدين لم يبين أسماءهم[6]، وإن كنا نعتقد أن من أهمهم الحاج عمر الذي ارتبط به وبابنه إلى آخر حياته.

II. 7 العلاقة بالحاج عمر وابنه أحمدو

لقد تواطأت المصادر على أن المؤلف التحق بالحاج عمر في نيورو[7]، ولكننا نخالف ما أشار إليه تال وتيام تصريحا، ومارتي تلميحا، من أن هذا الالتحاق قد تم في حياة والده[8].

وسبب اعتقادنا العكس ما أشرنا إليه سالفا من أن المؤلف قد أكمل وضع ضالة الأديب بتيشيت في بداية شهرذي الحجة سنة 1274 وأبوه حي يرزق، ثم توفي أبوه في السنة الموالية أي 1275 كما أسلفنا[9].

---

(1) مخطوط في المكتبة العمرية بباريس تحت رقم 5615.

(2) ذكره المنتقي تال : أخبار الحاج عمر ولم يشر إلى مواطن وجوده إن كان موجوداً، فهل هو الذي ذكره روبنسون بين مصادره وعده مجهول المؤلف، وسماه Segu 2/anonyme ؟ أم هو أصله على الأقل ؟ راجع : Robinson La guerre sainte, p. 30.

(3) مخطوط مصور على الميكروفيلم بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي تحت رقم 1059، راجع : (4) Rebstock Sommuling arabischen handschriften ans mauretaniein, p. 86.

(4) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 121.

(5) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 149.

(6) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 149.

(7) راجع ص 53 من هذه المقدمة.

(8) تال : أخبار الحاج عمر، تيام (القابلة الشقوية) و MARTY : Les tribus, p. 19

(9) راجع ص 52 من هذه المقدمة.

وبناء على ذلك فإن الغالب على ظننا أن يكون سيدي عبد الله قد رحل إلى الحاج عمر بعد وفاة والده، أي خلال سنة 1275هـ/9-1858م أو بعيدها، وهو أمر ميسور الفهم إذا اعتبرنا الصلات المتينة التي انتسجت بين الرجلين من قبل، وذكرنا الإعجاب الكبير الذي كان يحظى به المجاهد الفوتي بين سكان تيشيت، والدور الكبير الذي قاموا به في دولته، وما كان يعلقه علماء بلاد شنقيط - تجانيين وغير تجانيين - على حركته من جسيم الآمال[1].

ويبدو لنا أثر انتقال سيدي عبد الله بن انْبُوجَه إلى الحاج عمر واضحا في فهرس المكتبة العمرية، إذ تضمنت هذه المكتبة عددا هاما من ذخائر مكتبة آل انْبُوجَه[2]، وغيرها من المكتبات التيشيتية، مما نعتقد أن صاحبنا حمله معه.

ومن الراجح جدا أن يكون المؤلف قد رحل مع المجاهد الفوتي من نيورو إلى سيگو سنة 1276هـ/1859م، ثم بقي في هذه المدينة مع أحمدو بن الحاج عمر الذي خلف أباه أميرا عليها، بعد أن خرج المجاهد الفوتي مشرقا لحرب الماسنيين سنة 1278هـ/1862م[3].

ولم تلبث أن قامت صلات وطيدة بين المؤلف وأحمدو بن الحاج عمر، وهو أمر يسهل فهمه بالنظر إلى تقاربهما في السن والتكوين، ولذلك عينه إماما للجمعة في سيگو[4]، وهو منصب ديني وعلمي لا تخفى أهميته البالغة.

وتدلنا رواية ماج على أن سيدي عبد الله كان في الفترة الحرجة التي سبقت وتلت وفاة الحاج عمر، أحد أقرب المستشارين إلى ابنه أحمدو.

فهو أحد الثلاثة الذين يحضرون دائما لقاء أحمدو بالسفير الفرنسي[5]، وقد استشفع به الأخير مرات لقضاء حاجاته عند الأمير الفوتي[6]، بل إن الأمير يرسل في طلبه حين تطرح عليه قضية سياسية خطيرة[7]، ويستبقيه في مجلسه حين يطرد جميع الحاضرين للتشاور في قرار حاسم[8].

---

(1) راجع ص 44 من هذه المقدمة.

(2) راجع على سبيل المثال المخطوطات ذوات الأرقام : 1-17 ,5293 و77-5361,65 و96-5361,70 و107-5361,102 و124-5397,1 و41-5409,82 و249-5450,210 و120b-5484,117b و379,5488 و210a-5510,1a و97b-5588,89a.

(3) حول خروج الحاج عمر من سيكو إلى ماسنة، راجع : Robinson : La guerre sainte d'Al-Hajj Umar, p. 268

(4) تال : أخبار الحاج عمر.

(5) Mage : Voyage au Soudan, p. 249.

(6) Mage : Voyage au Soudan, p. 246.

(7) Mage : Voyage au Soudan, p. 249.

(8) Mage : Voyage au Soudan, p. 270.

وهو، أي سيدي عبد الله، أحد الرجال الثلاثة الذين حضروا توقيع الاتفاق بين أحمدوو وماج[1].

وإليه رجع السفير الفرنسي لاستصدار الإذن له بالعودة بعد توقيع الاتفاق[2].

II. 8 الوفاة

لقدتوفي سيدي عبد الله في سيگو، وهي إذ ذاك عاصمة دولة أحمدو بن الحاج عمر[3] ومع أننا لم نجد نصا دقيقا على تاريخ وفاته، فإننا يمكن أن نحزره تخمينا، ذلك أن أحمدو بن الحاج عمر قد بقي في سيگو أميرا عليها، واتخذها عاصمة بعد وفاة أبيه سنة 1280هـ/1864م، حتى خرج منها سنة 1302هـ/1885م[4]، ليتحول إلى نيورو عاصمة ملكه الجديدة.

وإذا تذكرنا أن ماج خرج من سيگو سنة 1282/1866، وسيدي عبد الله حاضر فيها، أمكننا أن نفترض أن وفاة المؤلف كانت قبيل خروج أحمدو من سيگو إلى نيورو، أي قريبا من نهاية القرن الثالث عشر الهجري (1300/1882)، فيكون قد توفي عن حوالي خمسين سنة تنقص أو تزيد قليلا.

---

(1) Mage : Voyage au Soudan, p. 271

(2) Mage : Voyage au Soudan, p. 277

(3) راجع تال : أخبار الحاج عمر.

(4) راجع : Robinson : La guerre sainte d'Al-Hajj Umar, p. 223

III. بنية المخطوط ومنهجنا في تحقيقه

III. 1. البنية

يقع مخطوط ضالة الأديب في 96 صفحة من الحجم الكبير، ومتوسط عدد سطور الصفحة الواحدة 23 سطرا، وهو بخط مغربي جيد غاية، مضبوط بالشكل في أكثر كلماته، مضافة إليه على الهوامش وبين السطور حواش كثيرة، وهي شروح للكلمات الواردة في متنه.

وهو كما أسلفنا بخط مؤلفه، إذ قال في آخره :

«وكتبه جامعه العبد الفقير، إلى رحمة العلي الكبير، عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انْبُوجَ، سامحهم الله تعالى آمين، ووافق انتهاء تصنيفه وكتابته ضحوة السبت السادس من ذي الحجة الحرام من عام أربع وسبعين ومائتين وألف عرفنا الله خيره، ووقانا ضيره، وقد كنت جمعت منه نبذة في عام أربع وستين، ثم زدت عليها نبذة في عام إحدى وسبعين، ثم لخصت المجموع وهذبته الآن نفع الله به»[1].

وقد اعتمد المؤلف على نصوص شعر والده التي كان يدونها، وأخذ عنه ضبط الأعلام والمعلومات الواردة في الكتاب كله، كما قال : «وما نقلت منه حرفا إلا من خطه، ولا قصيدة ولا خبرا إلا بضبطه، فليس لي فيه إلا محض الترتيب والاقتناص، وجمعه وضبط العام منه الخاص»[2].

ويتألف كتاب ضالة الأديب من الأجزاء المبينة في الجدول رقم 4.

ولقد تعرضنا من قبل إلى مضمون الفصل الثاني من المقدمة (خلال استثمارنا إياه في ترجمة صاحب الديوان) وألقينا نظرة على الشعر الذي تضمنه الديوان، فبنا الآن أن نقف، ولو عجالا، على ما يمكن أن نستفيده من الفصل الأول من المقدمة.

---

(1) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 249.

(2) ابن انبوجه : ضالة الأديب، ص 249.

إن هذا الفصل، على قصره النسبي، يبدو لنا بالغ الأهمية إذا نزلناه في سياقه الثقافي والفكري الخاص به، وهو سياق كنا دعوناه "المعركة المتعلقة بشرعية الشعر في الثقافة الشنقيطية"، وهي الثقافة التي وصفناها بأنها "تنفي الشعر وتقتضيه"[1].

وبيان ذلك عندنا أن ثقافة الزوايا «كانت تنفي الشعر لما قامت عليه من فقه متشدد وورع زاهد موروثين عن عبد الله بن ياسين وأشياعه، ولم تزدهما تجارب القرون إلا صلابة عود، وكانت تقتضيه لأن التراث اللغوي والأدبي العربي قد أصبح جزءا منها صميما، ولأن حملتها قد تعربوا إلى غير رجعة، واتخذوا الثقافة العربية الإسلامية بغيتهم المنشودة تجمع لهم في حالهم ومآلهم الحسنيين»[2].

وقد سلك المؤلف في سعيه إلى تأصيل الشعر في حقل الشرعية الإسلامية مسلكا متدرجا، بدأه بالاستدلال بالحديث الشريف: «إن من الشعر لحكمة»[3].

وأتبعه بما روي من الحث على تعلم الشعر وتعليمه عن الصحابة رضوان الله عليهم، وإثبات إنشائهم أو إنشادهم إياه، كعمر وعائشه ومعاوية[4].

وعرج على الحديث الذي يفهم منه التنفير من الشعر وهو «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه خير له من أن يمتلئ شعرا»، فنقل تأويلات الفقهاء والمحدثين له، بحيث يكون عاما أريد به خاص، فلا يعترض به على الشعر بإطلاق[5].

وبعد نقل كلام عديد من الفقهاء والمحدثين والمتصوفة في الترغيب في الشعر والتنويه بشأنه، خلص إلى النتيجة المركزية التي بني الاستدلال ليفضي إليها، وهي قوله: «ومما تقدم يظهر أنه اليوم علم مفيد يعسر الاكتفاء بدونه، وهو أحد فنون العلم الشرعي، والناس اليوم أحوج إليه منهم في الزمن الأول»[6].

إن هذه المرافعة القوية كانت - على ما نرجح - جزءا من معركة فكرية ماتزال دائرة في تيشيت، وفي مناطق متعددة من بلاد شنقيط خلال القرن الثالث عشر الهجري، بعد أن حسمت في مناطق أخرى خلال القرن الثاني عشر الهجري[7].

---

(1) ولد الحسن: الشعر الشنقيطي، ص 128.
(2) ولد الحسن: الشعر الشنقيطي، ص 128.
(3) ابن انبوجه: ضالة الأديب، ص 81.
(4) ابن انبوجه: ضالة الأديب، ص 82-83.
(5) ابن انبوجه: ضالة الأديب، ص 84.
(6) ابن انبوجه: ضالة الأديب، ص 87.
(7) ولد الحسن: الشعر الشنقيطي، ص 196.

العنوان		المضمون	الحيز في المخطوط	الحيز في المطبوع
مدخل(*)		غرض تأليف الكتاب ودواعيه	3-1	78-73
المقدمة	الفصل الأول فيما ورد في الشعر	إثبات شرعية الشعر والاحتجاج لفضله	6-3	90-79
	الفصل الأول في نبذة من خبر الوالد	نسب صاحب الديوان وترجمة أبيه وجده ـ شيوخه وأساتيذه نشأته وأخلاقه ـ مؤلفاته ـ رسائله	35-6	154-91
الباب الأول في المراثي الرائقة، والدرر البهية الفائقة		مقدمة حول أغراض الشعر + مراثي صاحب الديوان	47-35	175-155
الباب الثاني في الأمداح الشريفة، والأشعار الرائقة المنيفة		مقدمة حول غرض المدح + مدائح صاحب الديوان	68-47	202-177
الباب الثالث في هجاء من يستحق، بالمقال الصدق والقول المحق		مقدمة حول غرض الهجاء + أهاجي صاحب الديوان	76-68	216-203
خاتمة الكتاب في بيان تتمة الأبواب الجامعة لغير ما تقدم بأتم بيان	ما قاله في السلام والتحية	إخوانيات صاحب الديوان	81-76	227-219
	ما قاله في التضرع إلى الله	الابتهال والإلاهيات	91-81	240-228
	جامع بقية الأشعار مرتبة على الحروف	متفرقات	95-91	248-241
	خاتمة الخاتمة(*)	وصف الكتاب ومنهج تأليفه وتاريخ انتهائه	96-95	249

الجدول رقم 4

(*) هذه العناوين من اقتراحنا.

ولئن لم تصلنا آثار الطرف الثاني في هذه المعركة، فإننا يمكن أن نتصورها امتدادا للموقف الواضح منطوقا ومستندا، الذي صاغه البرتلي مؤلف "فتح الشكور"، إذ قال في معرض الثناء على أحد أشياخه : «ولم يقل من الشعر إلا نحو قصيدتين اتباعا السنة، ولما قال ابن أبي زيد في الرسالة ولا ينبغي أن يكثر منه ومن الشغل به»[1].

فهل كان ضياع ديوان ابن انْبُوجَه الأب وانطماس صورته شاعرا يرجع - ولو جزئياً - إلى أنه كان رائدا متميزا في سياق ثقافي محلي لم تكن فيه قضية شرعية الشعر قد حسمت تماما ؟ ربما !

ولقد اعتمد المؤلف في هذا الفصل الحجاجي على جملة مصادر، أهمها :

1. تحفة الأريب لأبي مدين الفاسي[2].
2. المحكم، في الأمثال والحكم لأبي مدين كذلك[3].
3. بغية الآمل، بترتيب الكامل[4].
4. نزهة الألباب، الجامعة لفنون الآداب للكميلي[5].

وأشار مرات إلى كتابه الهام خزانة الأرب، في معرفة أنساب العرب، وهو الذي يبدو هذا الفصل اختصارا له.

III. 2. المنهج

أما المنهج الذي سلكناه في تحقيق الكتاب، فقد اتبعنا فيه الخطوات العلمية المعهودة في هذا الباب وأهمها :

1. إخراج النص صحيحا واضحا. وهو أمر سهله اعتمادنا على مخطوط المؤلف، بيد أنا قد اعتمدنا تقسيم النص إلى فقرات منفصلة بحسب المعنى، واستعملنا إشارات التنقيط المعاصرة، وأضفنا بعض العناوين الداخلية فميزناها بمعقوفين [ ]، والتزمنا هوامش المؤلف فميزناها بالأرقام الهندية (١، ٢، ٣...) عن هوامشنا

---

(1) البرتلي : فتح الشكور، بيروت، ص 65.

(2) راجع ترجمة أبي مدين في الهامش رقم 1 من الفصل الأول من المقدمة، وتوجد من تحفة لأريب نسخة في المكتبة العمرية (رقم 190-154 و5452)، ولا يبعد عندنا أن تكون نسخة المؤلف، ومنها مخطوطات متعددة في الخزانة العامة بالرباط (منها د 1401 وك 1691 وك 3226).

(3) من المحكم عدة مخطوطات في الخزانة العامة بالرباط (منها د 2574 وج 405).

(4) لم نقف على ذكرها هذا الكتاب في مصادرنا، ومنه في الخزانة العمرية نسخة مجهولة المؤلف (192-1,5702) ولا يبعد عندنا أن تكون نسخة صاحبنا.

(5) لم نقف في مصادرنا على ترجمة مؤلف بهذا الاسم، وتوجد من نزهة الألباب عدة مخطوطات في الخزانة العامة بالرباط (منها ك 1742 وك 1675).

التي رتبناها بالأرقام العربية (1، 2، 3...). وقد أضفنا شروحا لبعض الكلمات التي لم يشرحها، معتمدين في ذلك على أمهات المعاجم العربية المتداولة.

2. تخريج الاستشهادات الواردة في المتن، وهي كثيرة متفرقة، من آيات وأحاديث وأشعار وأخبار.

وقد حاولنا الرجوع إليها في مصادرها الأصلية مطبوعة ومخطوطة، فوفقنا في ذلك بالنسبة لأكثرها، وندت عنا مع ذلك شواذ قصر عنها علمنا، ونأمل أن يكون نشر الكتاب مدعاة إلى اكتشافها من قبل غيرنا من الباحثين.

3. التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في النص، وهم جم غفير ينتمون إلى الثقافة العربية الإسلامية في مختلف أقطارها وأعصارهاوقد التزمنا عند التعريف بالأعلام جملة من الضوابط أهمها :

- إقامة علاقة عكس مطرد بين شهرة العلم والتوسع في ترجمته، فكلما كان العلم أشهر كانت ترجمته عندنا أقصر، والعكس صحيح. بيد أنا أحلنا، في كل ترجمة، إلى أمهات مصادرها المعتمدة.
- الرجوع في التراجم إلى أمهات المصادر مباشرة وتحري أحدث الطبعات عهدا وأحسنها ضبطا، وهو ما دعانا إلى عدم الاقتصار على ما هو وارد في المراجع الحديثة المتداولة على فائدتها العظيمة، كأعلام الزركلي ودائرة المعارف الإسلامية، فيما ينفعان فيه، بل سعينا دائما إلى العزو المباشر، متوخين الدقة ما وجدنا إليها سبيلا.
- التبسط، على وجه الخصوص، في تراجم أعلام الشناقطة، نظرا إلى ندرة المراجع المتعلقة بهم، وما يعلق بأسماء كثير منهم من غموض واضطراب.
- الترجمة لكل علم عند أول ذكر له في الكتاب، وأيما علم ورد ذكره غفلا من ترجمة فليستعن بفهرس الأعلام للرجوع إلى أول ذكر له فذلك مظنة ترجمته.
- ترقيم النصوص الشعرية الواردة قي الديوان ترقيما متسلسلا باستخدام الأرقام الرومانية، إبرازا لوحدة الأثر ومكوناته الكبرى.

4. وضع عدد من الفهارس الشاملة للكتاب (وهي فهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والكُتب، والقبائل والأماكن) وذلك بغية إعانة الباحثين على حسن استغلال النص مع الاقتصاد في الوقت والجهد.

وحق علينا في هذا المقام أن نزجي الشكر جزيلا عاطرا إلى كل من أعاننا في هذا البحث الشاق، ونخص بالذكر أستاذنا الدكتور محمد المختار ولد اباه الذي وضع تحت

تصرفنا مكتبته الغنية بنفائس المراجع، وأستاذنا الدكتور أحمد التوفيق، الذي احتضن هذا المشروع بصدر رحب وتشجيع كريم، وأخانا الأستاذ محمد عبد الله بن محم إمام جامع النباغيه، الذي أنجدنا ببحث مدقق في تخريج عدد كبير من الاستشهادات بعدما أعيتنا طلبا، وأخانا الأستاذ سيد أحمد بن أحمد سالم الذي كان له، بالإضافة إلى فضل إعانتنا في البحث نفسه، فضلٌ فذ في طباعة النص وتصحيحه، وإخوتنا الأساتذة محمود الزبير، وأحمد بن محمد يحيى، ومحمد المصطفى بن الندى، ومحمد الحافظ بن السالك، وددود ولد عبد الله، ومحمد المختار ولد السعد، والخليل النحوي، ومحمد الحافظ بن الدنبجه، والمرابط بن محم، ومحمد الصوفي بن محمد الأمين، ومحمد الأمين بن أحمد، ومحمد الأمين بن أكتوشني، كل باسمه ووسمه،

وإياك واسم العامرية إنني أغار عليها من فم المتكلم

هذا، ومعلوم أن المحقِّق غير مسؤول عن مضمون النص المحقَّق بل عمَّا يبذله من جهد في ضَبط متنه وجلاء غوامضه.

وإنا لنرجو أن يكون هذا العمل أداة عمل نافعة للباحثين، ومدعاة لهم إلى مزيد الجهد في سبيل التعريف بتراثنا المجيد الدفين، والله تعالى نسأل أن يجعله لنا عنده سبحانه لا علينا، وأن يحسن وفادتنا عليه يوم يقوم الحساب.

رباط الفتح، 15 جمادى الثانية 1414هـ
30 نوفمبر 1993م

د. أحمد ولد الحسن

الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

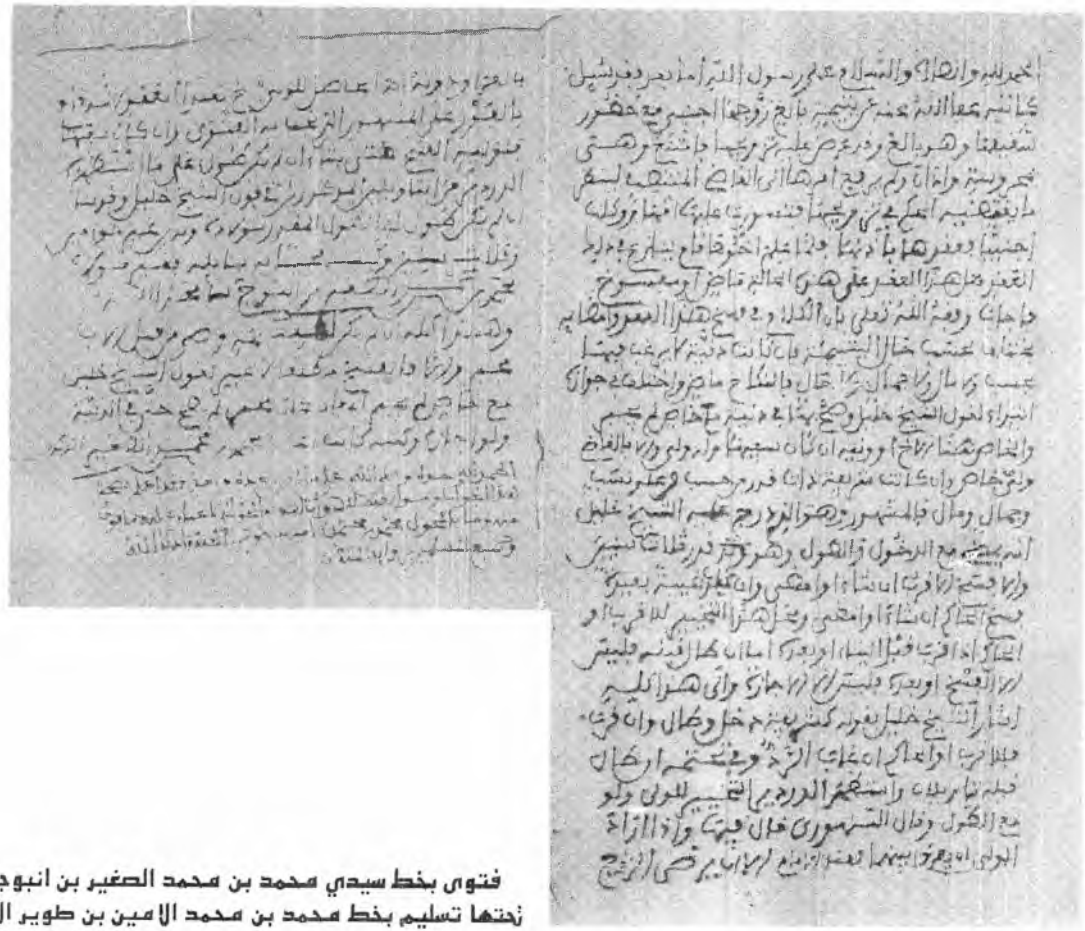

فتوى بخط سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه
تحتها تسليم بخط محمد بن محمد الامين بن طوير الجنة

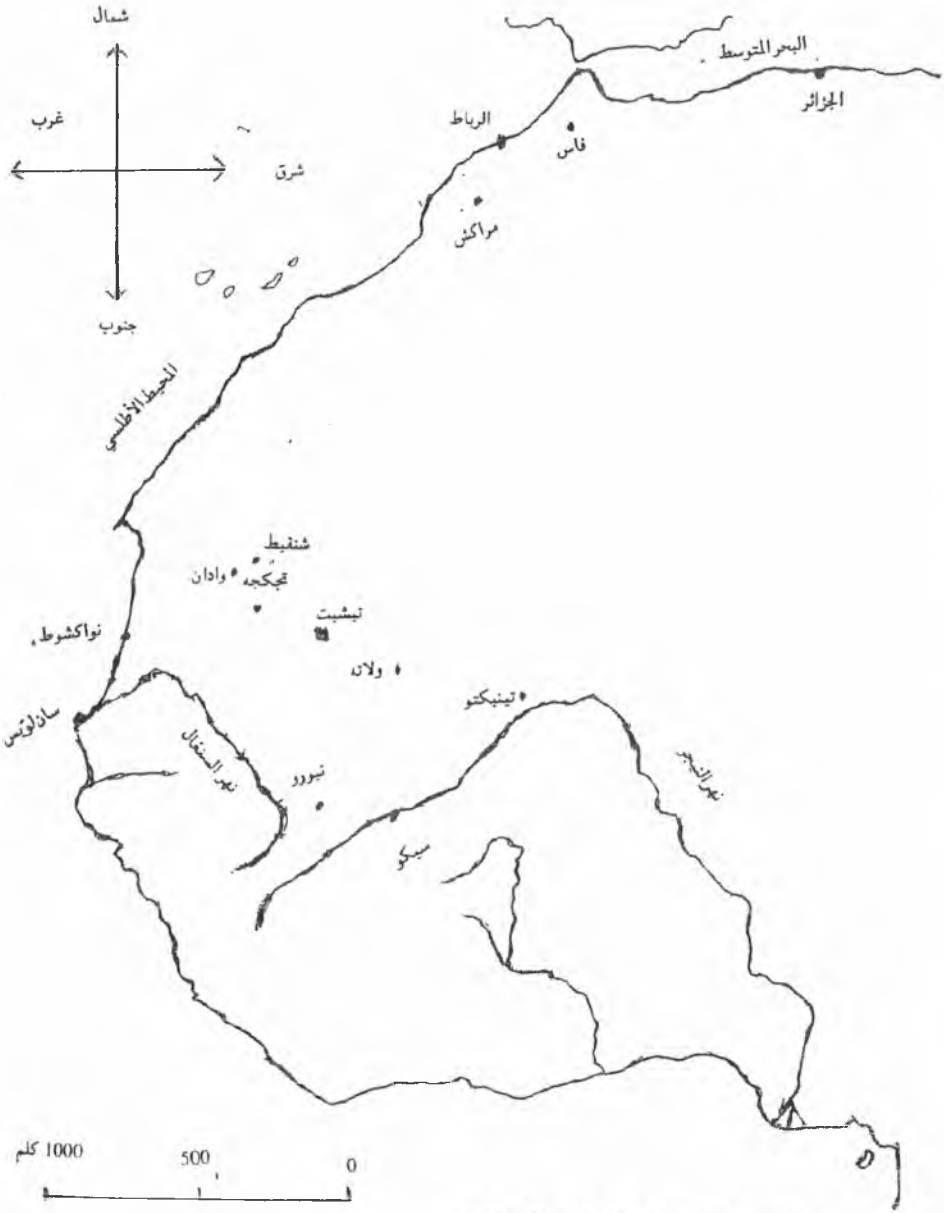

خريطة توضح الإطار الجغرافي العام
الذي عاش فيه صاحب الديوان والمؤلف

النص محققا

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه اللهم عونك يا معين

مدخل

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره و مقداره العظيم

الحمد لله الذي جعل الأدب أشرف بضاعة يكتسبها العاقل، وأربح صناعة[1] يقتنيها الأريب[2] الفاضل، وصيره آخذا من العلوم من كل فن، وسالكا منها[3] في كل سهل وحزن[4].

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي جاء بالوحي والتنزيل، والقرآن الجليل، من ذكره وشرفه لا يحصى، وفخره ومجده لا يستقصى. [كامل]

لا يُستطاعُ مديح من أوصافه ... قد طرَّزَ[5] القرآن بعض حلاهَا

وإذا امتريت فإن ﴿ سبحان الذي ... أسرى ﴾ به ليلاً كفاك و﴿ طه ﴾[1]

وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، وشموس المجد وبدور الاهتدا، صلى الله عليه وعليهم وتابعيهم وسلم أجمعين.

---

(١) صناعة : ككتابة، الحرفة.

(٢) الأريب : العاقل.

(٣) أي العلوم.

(٤) حزن : الصعب.

(٥) طرز : حسن.

(1) لم نعرف قائلهما.

أما بعد، فهذه نبذة غريبة المثال، آتية على أحسن منوال، مخترعة من غير سبق مثال، ومُلحة[1] وطُرفة[2]، ونزهة وتحفة، تحتوي على أشعار فائقة، وموشحات رقيقة رائقة، وأراجيز صادفة، وفوائد كثيرة عجيبة، ونوادر أخبار غريبة. [طويل]

مباحث لو فوق النحور تجسدت لأزرت[3] بدرٍّ في عقود وعقيان[4]

جدير لها طيب الثناء لو أنها قديمة عهد أو غريبة أوطان[1]

جمعت فيها ما سمح الدهر به من شعر ونظم الوالد، أتت على الطارف[5] من مكنون شعره والتالد[6].

فأكرم بها من طرفة آخذة[7] بما احتوت عليه، مجامع قلوب طلبة الأدب المتوجهين إليه، وأعظم بها من تحفة علت في سماء الأدب بعيونه، وارتقت في نفنف[8] القريض[9] بأحلى فنونه. [بسيط]

بَديعةُ الحسن قد جادَ الجناسُ لها من المعاني بأفنان[10] وأفيـــاء[2]

وكان سبب جمعي لها عدة مسائل، لتمام الغرض المطلوب وسائل :

منها ما وضع الله في الهمم من اللطائف، وأودع فيها من التشوف إلى الطارف، ومنها اقتطافها[11] ممن بدا أو حضر، لتفرقها في المواطن شذر مذر.

ومنها ـ وهو أعظمها ـ أن بعض المنتمين من اللسن المتفنن في العربية، والإعرابات والمعربات والمبنيات والأبنية، تسور[12] على قصائد له رضي الله عنه فعزاها لنفسه، ترفعا

---

(١) ملحة : الشيء المليح.

(٢) طُرفة : بالضم، الشيء الطريف المستحسن والتحفة، يقال أطرف فلاناً أعطاه ما لم يعطه أحداً.

(٣) أزرت : أدخلت عليه عيباً.

(٤) عقيان : نوع من الجواهر.

(1) لم نعرف قائلهما.

(٥) الطارف : الجديد.

(٦) التالد : القديم.

(٧) آخذة : حال أي متناولة.

(٨) نفنف : جو.

(٩) القريض : الشعر.

(١٠) أفنان : أغصان.

(2) لم نعرف قائله.

(١١) اقتطافها : اجتناؤها.

(١٢) تسور : أجلب وأنهب.

بانتمائها إليه على أبناء جنسه، تسور الأسد الضاري، على الفتك بالمتغافل الساري، فافتخر بها غاية الافتخار، على من شآه[1] من شعراء الأعصار، وحذا حذو الخالديين[2][1] المشهورين مع سري الرفا[3][2]، إذ نهبا شعره ونسباه لأنفسهما قطفا[4]، فقال فيهما سري المذكور يخاطب المفضل بن ثابت الطائي[3] أيام المهلبي[4] :

[كامل]

بَكَرَتْ إليك مُغيرَةُ الأعراب ... فاحفظ ثيابك يا أبَا الخطَّاب

ورد العراق ربيعةُ بن مُكَدَّمٍ[5] ... وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب[6]

أفعندنا شك بأنَّهُمَا هما ... في الفتك لا في صحة الأنساب

جلبا إليك الشعر من أوطانه ... جلب التِّجار طرائف[5] الأجلاب

فبدائع الشعراء فيما جَهَزَّا ... مقرونة بغرائب الكتَّاب

شنًّا[6] على الآداب أقبح غارة ... جرحت قلوب محاسن الآداب

لا يسلُبَان أخا الثراء[7] وإنما ... يتناهبان نتائجَ الألباب

---

(١) شآه : سابقه أو سبقه.

(٢) الخالديان : شاعران معروفان.

(1) الخالديان : الأخوان الشاعران أبو عثمان سعيد أو سعد (ت حوالي 400هـ)، وأبو بكر محمد (ت حوالي 390هـ) ابنا هاشم. ترجمتهما في الثعالبي "يتيمة الدهر" ج 2، ص 183 وترجمة سعيد في ياقوت "معجم الأدباء"، ج 3، ص 1377.

(٣) سري الرفا : شاعر.

(2) السري الرفاء : أبو الحسن بن أحمد الكندي (ت بعد 360هـ) الشاعر المعروف، مدح سيف الدولة ونازع الخالديين، ترجمته في الثعالبي : "يتيمة الدهر"، ج 2، ص 135، والخطيب : "تاريخ بغداد" ج 9، ص 194، وياقوت : "معجم الأدباء" ج 3، ص 1343، وابن خلكان : "وفيات الأعيان"، ج 2، ص 359.

(٤) قطفا : أخذا.

(3) المفضل بن ثابت الطائي : لم نقف على ترجمته.

(4) المهلبي : أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون الأزدي (291-352هـ) وزير معز الدولة بن بويه الأديب الجواد الممدح، ترجمته في الثعالبي : "يتيمة الدهر"، ج 2، ص 223. وياقوت : "معجم الأدباء"، ج 2، ص 976. وابن خلكان : "وفيات الأعيان" ج 2، ص 124.

(5) ربيعة بن مكدم : من بني فراس من كنانة أحد فرسان مضر المعدودين في الجاهلية وشجعانهم المشهورين وهو المعروف بحامي الظعن، ترجمته في الأصبهاني : "الأغاني" ج 16، ص 24.

(6) عتيبة بن الحارث بن شهاب : فارس جاهلي فاتك من بني ثعلبة بن يربوع، مشهور بقيادته غارة قومه على بني كلاب يوم ذي الجونين، وغدره بعدها بحليفه من سليم، وفي ذلك يعيره العباس بن مرداس السلمي بقوله :

كثر الضجاج وما سمعت بغادر ... كعتيبة بن الحارث بن شهاب

راجع الأصبهاني : "الأغاني"، ج 15، ص 278.

(٥) طرائف : جمع طريف : كرائم الأموال.

(٦) شنا : شقا.

(٧) الثراء : المال.

إن عـزَّ موجود الكلام عليهما فأنا الـذي وقـف الكلام بـابي
نظرا إلى شعري يـروق فـتربًا[1] مـنه خـدودَ كـواعـبٍ أتـراب[2]
شربـاه فاعـتـرفا لـه بـعُذُوبَةٍ[3] ولَـرُبَّ عَـذْبٍ عـاد سَـوْطَ عذاب[1]

وقال فيهما أيضا، وقد نهباه ومدحا به الوزير المهلبي : [بسيط]

أشـكو إليك حليفي غارة شهرا[4] سيف الشقاق على نتاج أفكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم لمـزقـاه بـأنـياب وأظـفـار
سلا عليه سيوف البغي مصلتة[5] في جحفل[6] من شنيع الظلم جرار[7][2]

وقد قال الحريري[3] في إحدى مقاماته : «واستراق الشعر عند الشعراء، أفظع[8] من سرقة البيضاء[9] والصفراء[10]، وغيرتهم على بنات الأفكار[11]، كغيرتهم على البنـات الأبكار»[12][4].

وقال طرفة بن العبد الشيباني[5] وليست في ديوانه : [بسيط]

ولا أغِيرُ على الأشعار أسرِقها غَنِيتُ عنها وشر الناس من سَرَقَا[6]

---

(١) تربا : جعلا عليه التراب.
(٢) أتراب : جمع ترب : من ولد معك.
(٣) عذوبة : طيب.
(1) القطعة من القصيدة في السري الرفاء : الديوان، ص 41، وفي الثعالبي : "يتيمة الدهر"، ج 2، ص 145.
(٤) شهرا : سلا.
(٥) مصلته : ماضية، مسلولة، نقية.
(٦) جحفل : جيش.
(٧) جرار : كثير.
(2) الأبيات من قصيدة في السري الرفاء : الديوان، ص 14، وفي الثعالبي : يتيمة الدهر، ج 3، ص 142.
(3) الحريري أبو محمد القاسم بن علي البصري (ت 515 أو 516هـ) صاحب المقامات، ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 4، ص 63، وياقوت : "معجم الأدباء"، ج 5، ص 2202، والسيوطي : "بغية الوعاة"، ج 2، ص257.
(٨) أفظع : أقبح.
(٩) البيضاء : الفضة.
(١٠) الصفراء : الذهب.
(١١) الأفكار : جمع فكر.
(١٢) الأبكار : جمع بكر : ضد الليث.
(4) الحريري : المقامات، ص 224.
(5) طرفة بن العبد : البكري، (وليس من بني شيبان كما ذكر المؤلف بل هو من بني بكر)، الشاعر الجاهلي المشهور، ترجمته في ابن سلام : "طبقات فحول الشعراء"، ج 1، ص 137، وابن قتيبة : "الشعر والشعراء"، ص 103.
(6) البيت معزو إلى طرفة في الشريشي : "شرح مقامات الحريري"، ج 4، ص 208.

فتحرك الباعث مني على جمع شعره وتقوى، إذ ربع الغيرة في قلبي غير أقوى [1]، فجمعتها لتكون في كن[2] مكنون يحويها[3]، ودفتر[4] مصون رائق[5] يؤويها، هذا مع كون الفكرة كليلة، واليضاعة من العلم قليلة، والصوارف متناصرة، والبواعث متقاصرة، والشواغل المانعة من معاودة التنقيح[6] والتهذيب[7]، وضيق الوقت عن اختيار الألفاظ وجودة الترتيب، وضعف الهمم في هذا الزمن عن جوامع الأشعار، الذي هو أشهر من شمس رابعة[8] النهار.

أقوى[9] وأقفر[10] ربع الأدب، وهجره ينسل[11]، من كل حدب[12]. [طويل]

خليليَّ هذا موقف يبعث البكا ... فماذا الذي بالدمع تنتظران ؟

وإن كنتما لا تُسعداني على الأسى[13] ... قِفَا ودَّعَاني ساعةً وَدَعَاني[14]

فإني على دار الحبيب لواقفٌ ... وإن شفَّ[15] قلبي رسمها وشجاني[1]

أجارنا الله من معاند منحرف، ومكابد حاسد يحرف، إنه القدير على الدفع والطرد، والإقصاء والبعد.

وسميتها ضالة الأديب، ونزهة اللبيب، وخزانة العجيب، وتحفة الغريب.

وبنيتها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة :

في المقدمة فصلان : الأول فيما ورد في الشعر، الثاني في نبذة من خبر الوالد.

---

(١) أقوى : خال.

(٢) كن : ستر.

(٣) يحويها : يجمعها.

(٤) دفتر : كتاب.

(٥) رائق : حسن.

(٦) التنقيح : الاختيار.

(٧) التهذيب : بمعناه.

(٨) رابعة : الساعة الرابعة.

(٩) أقوى : خلى.

(١٠) أقفر : بمعناه.

(١١) ينسل : ينصب.

(١٢) حدب : الغلظ والمرتفع من الأرض.

(١٣) الأسى : المرض والحزن.

(١٤) دعاني : اتركاني.

(١٥) شف : انحل وقطع.

(١) لم نعرف قائلها.

الباب الأول في المراثي.

الباب الثاني في الأمداح.

الباب الثالث في هجاء من يستحق، وهو قليل وبه تكمل الأبواب.

وأما الخاتمة، فهي الجامعة لغيرها تقدم من أشعاره، وفيها مضمن أصل الديوان وأسماره.

والله أسال الإعانة على ما قصدت، والقبول والنفع العام لما جمعت، وأن يكون ذخرة مدخرة، منجية من هول الآخرة.

مقدمة

الفصل الأول

فيما ورد في الشعر

اعلم وفقك الله أن الأدب في العرف عبارة عما يكتسبه المرء بالحفظ والتذكار، والنظر والتفكر والاستبصار، كاللغة والأشعار، والنحو ورائق الأخبار،وقد يراد به الشعر فقط وهو الكثير الغالب كما لأبي مدين[1] في تحفته وغيره.

ولاخفاء أن الشعر أعلى مراتب الأدب، ويكفي فيه ما في صحيح البخاري[2] وسنن أبي دواد[3] والترمذي[4] وابن ماجة[5] وابن أبي شيبة[6] عن ابن مسعود[7] مرفوعا : «إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَة»[8].

---

(1) أبو مدين الفاسي : محمد بن أحمد (1112هـ-1181هـ) فقيه أديب من أسرة بني الجد الفاسيين الفهريين، درس على محمد بن عبد الرحمن الفاسي والعربي برد له ومحمد المسناوي وغيرهم من علماء فاس، وألف تحفة الأريب والمحكم في الأمثال والحكم وغيرها. ترجمته في الكتاني : "سلوة الأنفاس" ، ج 1، ص 322، والقادري : "نشر المثاني"، ج 4، ص 181، وحول التحفة راجع مقدمة التحقيق، ص 63.

(2) البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (194هـ-256هـ) أمير المؤمنين في الحديث، صاحب الجامع الصحيح، راجع على سبيل المثال : الخطيب : "تاريخ بغداد" ، ج 2، ص 4. ابن خلكان : "وفيات الأعيان"، ج 4، ص 188. الذهبي : "تذكرة الحفاظ"، ج 2، ص 555.

(3) أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (202هـ-275هـ) الحافظ صاحب السنن، راجع مثلاً الخطيب : "تاريخ بغداد" ، ج 9، ص 55. ابن خلكان : 'وفيات الأعيان" ، ج 2، ص 404، الذهبي : 'تذكرة الحفاظ" ، ج 2، ص 591.

(4) الترمذي : أبو عيسى بن سورة (ت 279هـ) الحافظ صاحب السنن، راجع مثلاً ابن خلكان : "وفيات الأعيان" ، ج 3، ص 278، والذهبي : "تذكرة الحفاظ" ، ج 2، ص 633.

(5) ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (209هـ-273هـ) الحافظ صاحب السنن، راجع مثلاً ابن خلكان : "وفيات الأعيان" ، ج 4، ص 279، والذهبي : "تذكرة الحفاظ" ، ج 2، ص 636.

(6) ابن أبي شيبة : أبو جعفر محمد بن عثمان العبسي (ت 297هـ) الحافظ الكوفي، صاحب المصنف، راجع الذهبي : "تذكرة الحفاظ" ، ج 2، ص 661.

(7) ابن مسعود : أبو عبد الرحمن عبد الله الهذلي (ت 32هـ) الصحابي الجليل، راجع مثلاً ابن قتيبة : "المعارف"، ص 249، ابن سعد : "الطبقات الكبرى" ، ج 3، ص 150، وابن عبد البر : "الاستيعاب" ، ج 3، ص 987، ابن الأثير : "أسد الغابة" ، ج 3، ص 265، الذهبي : "تذكرة الحفاظ" ، ج 1، ص 13، الذهبي : "معرفة القراء الكبار" ، ج 1، ص 32، ابن حجر : 'الإصابة" ، ج 4، ص 129، ابن الجزري : "غاية النهاية" ، ج 1، ص 458.

(8) الحديث أخرجه البخاري (الجامع الصحيح، ج 7، ص 107) عن أبي بن كعب ولفظه : «إن من الشعر حكمة». وأخرجه كذلك "الأدب المفرد"، ص 257 عن ابن عباس ولفظه : «إن من البيان سحراً ومن الشعر حكما». وأخرجه أبو داود (السنن، ج 4، ص 304) عن أبي بن كعب ولفظه «إن من البيان سحراً ومن الشعر حكما». وأخرجه كذلك (الصفحة نفسها) عن ابن عباس ولفظه « إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكما». وأخرجه الترمذي (السنن، ج 5، ص 126) عن عبد الله بن مسعود ولفظه : «إن من الشعر حكمة». وقال الترمذي : «وفي الباب عن أبي بن كعب وابن عباس وعائشة وبريدة وكثير بن عبد الله عن أبيه عن جده». وأخرجه كذلك (السنن، ج 5، ص 126) عن ابن عباس ولفظه : «إن من الشعر حكما». وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح». وأخرجه ابن ماجة (السنن، ج 2، ص 1235) عن أبي بن كعب ولفظه : «إن من الشعر لحكمة». وأخرجه كذلك (السنن، ج 2، ص 1236) عن ابن عباس ولفظه : « إن من الشعر حكما». وقال الحافظ بن حجر (فتح الباري، ج 10، ص 540) : «وقع في حديث ابن عباس عند البخاري في الأدب المفرد، وأبي داود والترمذي وحسنه وابن ماجة بلفظ : «إن من الشعر حكما»، وكذا أخرجه ابن أبي شيبة من حديث ابن ←

قال اليوسي[1] في تفسير الحكمة : «أي كلام نافع يمنع من الجهل والسفه، وأراد المواعظ والأمثال التي ينتفع بها»[2] انتهى المراد من كلامه.

وفي بغية الآمل بترتيب الكامل[3] عن عمر[4] رضي الله عنه أنه قال : «من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم»[5].

وقال أيضا : «علموا أولادكم الرماية وروووهم ما يجمل من الشعر»[6].

وقال معاوية بن أبي سفيان[7] رضي الله عنه : «اجعلوا أكبر همكم الشعر وأكثر آدابكم، فإن فيه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم»[8].

وفي تحفة أبي مدين وأصلها : كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري[9] رضي الله عنهما : «مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على مكارم الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب»[10].

← مسعود، وأخرجه أيضاً من حديث بريدة. قال ولد الحسن : وعليه يتضح لك أن ما أوهمه ظاهر كلام المؤلف من أن أصحاب الكتب المذكورين في المتن قد أخرجوا هذا الحديث كلهم بلفظ واحد عن ابن مسعود ليس على إطلاقه، فقد أخرجه البخاري في الصحيح وأبو داود وابن ماجة عن أبي بن كعب، والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وأبو داود وابن ماجة عن ابن عباس، والترمذي وابن أبي شيبة عن ابن مسعود، وابن أبي شيبة عن بريدة، ولهم فيه ألفاظ ثلاثة متقاربة : «إن من الشعر حكمة»، «إن من الشعر لحكمة»، «إن من الشعر حكماً».

(1) اليوسي : أبو علي الحسن بن مسعود (1040هـ-1102هـ) الفقيه الصوفي الشاعر الناثر المتفنن، أحد أعلام الثقافة بالمغرب في عصره، صاحب المحاضرات، وزهر الأكم وغيرها، ترجمته في القادوي : "نشر المثاني"، ج 2، ص 25، ومخلوف : "شجرة النور"، ج 2، ص 328، والكتاني : "فهرس الفهارس"، ج 2، ص 1154، وكنون : "النبوغ المغربي"، ج 1، ص 285.

(2) اليوسي : "زهر الأكم في الأمثال والحكم"، ج 1، ص 25.

(3) حول هذا الكتاب راجع مقدمة التحقيق، ص 63.

(4) عمر بن الخطاب العدوي القرشي (ت 23) الفاروق ثاني الخلفاء الراشدين، مصادر ترجمته لا تكاد تنحصر منها مثلاً ابن سعد : "الطبقات الكبرى"، ج 3، ص 265، وابن قتيبة : "المعارف"، ص 179، ابن عبد البر : "الاستيعاب"، ج 3، ص 1144، ابن الأثير : "أسد الغابة"، ج 4، ص 52، الذهبي : "تذكرة الحفاظ"، ج 1، ص 5، ابن حجر : "الإصابة"، ج 4، ص 279.

(5) المبرد : "الكامل"، ج 1، ص 75.

(6) المبرد : "الكامل"، ج 1، ص 265.

(7) معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي (ت 60) الصحابي أول خلفاء بني أمية، ترجمته مشهورة، راجع مثلاً ابن سعد : "الطبقات الكبرى"، ج 7، ص 406، ابن قتيبة : "المعارف"، ص 1244، ابن عبد البر : "الاستيعاب"، ج 3، ص 1416، ابن الأثير : "أسد الغابة"، ج 4، ص 385، ابن حجر : "الإصابة"، ج 6، ص 112.

(8) المبرد : "الكامل"، ج 4، ص 68.

(9) أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، من أجلاء الصحابة (ت 42هـ أو 44هـ أو 49هـ أو 50هـ أو 52هـ أو 53هـ) ترجمته في ابن سعد : "الطبقات الكبرى"، ج 4، ص 105، ابن قتيبة : "المعارف"، ص 266، ابن عبد البر : "الاستيعاب"، ج 3، ص 979، ابن الأثير : "أسد الغابة" ج 3، ص 245، الذهبي : "معرفة القراء الكبار"، ج 1، ص 39، ابن حجر : "الإصابة"، ج 4، ص 119، ابن الجزري : "غاية النهاية"، ج 1، ص 402.

(10) الكلام في ابن رشيق : "العمدة"، ج 1، ص 28، وفيه "معالي الأخلاق" بدل "مكارم الأخلاق".

وقال : «تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تنتقى، ومساوئ تتقى»[1].

وقالت عائشة[2] رضي الله عنها : «علموا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم»[3] انتهى.

ومن خزانة الأرب في معرفة أنساب العرب[4] في الباب الرابع من المقدمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر فقال : «حسنه حسن وقبيحه قبيح»[5].

قال المناوي :[6] «ومعناه أن الشعر كالنثر لكن التجرد له والاقتصار عليه مذموم[7].

والحديث عند البخاري في الأدب[8] وأبي يعلى[9] والطبراني[10].

قال النووي[11] : «الشعر كالنثر إن خلا عن مذموم كيفما كان»[12].

---

(1) لم نقف على هذا الكلام معزواً إلى عمر في غير تحفة أبي مدين.

(2) عائشة بنت أبي بكر الصديق : أم المؤمنين (ت 58هـ) ترجمتها في ابن عبد البر : "الاستيعاب"، ج 4، ص 1881، وابن الأثير : "أسد الغابة"، ج 5، ص 501، وابن خلكان : "وفيات الأعيان"، ج 3، ص 16، والذهبي : "تذكرة الحفاظ"، ج 1، ص 27، وابن حجر : "الإصابة"، ج 8، ص 139، وغيرها.

(3) لم نقف على هذا الكلام معزواً إلى عائشة في غير تحفة أبي مدين.

(4) حول هذا الكتاب راجع مقدمة التحقيق، ص 32.

(5) قال ابن حجر (فتح الباري، ج 10، ص 539) : «أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عائشة أنها كانت تقول الشعر منه حسن ومنه قبيح خذ الحسن دخل القبيح ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً» وسنده حسن. وأخرج أبو يعلى أوله من حديثها من وجه آخر مرفوعاً، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً بلفظ : «الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام» وسنده ضعيف. وأخرجه الطبراني في الأوسط وقال لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد. وقد اشتهر هذا الكلام عن الشافعي واقتصر ابن بطال على نسبته إليه فقصر وعاب القرطبي المفسر على جماعة من الشافعية الاقتصار على نسبة ذلك الشافعي، وقد شاركهم في ذلك ابن بطال وهو مالكي».

(6) المناوي : محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المصري (952-1031هـ) محدث متفنن مصنف، صاحب فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي وغيره، ترجمته في البغدادي : "هدية العارفين"، ج 5، ص 510، والكتاني : "فهرس الفهارس"، ج 2، ص 560.

(7) المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج 4، ص 175.

(8) البخاري : الأدب المفرد، ص 256.

(9) أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (210-307هـ) الحافظ صاحب المسند الكبير، ترجمته في الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 707.

(10) الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي (260-360هـ) الحافظ صاحب المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، ترجمته في الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 912، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 2، ص 406، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 311.

(11) النووي : يحيى بن شرف (631-676) المحدث الفقيه الشافعي الجليل المشهور صاحب شرح صحيح مسلم والأذكار والمنهاج وغيرها، ترجمته في الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 1470.

(12) قرر النووي هذا المعنى في شرح صحيح مسلم (ج 15، ص 14) وإن لم يكن فيه هذا اللفظ بعينه، فقد يكون له في سياق آخر لم نقف عليه.

وقال السهروردي[1] : «ما كان منه في الزهد والمواعظ وذم الدنيا والتذكير بآلاء الله ونعت الصالحين وصفة المتقين ونحوه مما يحمل على الطاعة محمود. وما كان من ذكر الأطلال والمنازل والأزمان والأمم مباح، وما كان من هجو أو سخف ونحو ذلك حرام، وما كان من وصف الخدود والقدود والنهود ونحوها مما يوافق طباع النفوس مكروه إلا لعالم رباني يميز بين الوسوسة والإلهام قد ماتت نفسه بالرياضة والمجاهدة»[2] انتهى.

ونقل ابن حجر[3] عن ابن بطال[4] نحوه.

وأما حديث «لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا فَيَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»[5] فحمله ابن بطال وغيره على ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) السهروردي : شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد (539-632هـ) الصوفي المشهور صاحب عوارف المعارف، ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 204.

(2) راجع السهروردي : عوارف المعارف، ص 144، والكلام منقول بتصرف واختصار.

(3) ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، الحافظ علماً (773-852هـ) صاحب فتح الباري، والإصابة، ولسان الميزان والدرر الكامنة وإنباء الغمر ورفع الإصر وغيرها. ترجمته في السخاوي : الضوء اللامع، ج 2، ص 36، وابن فهد : لحظ الألحاظ، ص 326.

(4) ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف البكري القرطبي ثم البلنسي (ت 449) المحدث الفقيه المالكي شارح صحيح البخاري، ترجمته في عياض : ترتيب المدارك، ج 8، ص 160، وابن بشكوال : الصلة، ج 2، ص 394 وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 105. والكلام المعزو إليه هنا قد نقله عنه ابن حجر (فتح الباري، ج 10، ص 540).

(5) الحديث أخرجه البخاري (الجامع الصحيح، ج 7، ص 109) عن ابن عمر ولفظه : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً». وأخرجه كذلك (الصفحة نفسها) عن أبي هريرة ولفظه : «لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً». وأخرجه مسلم (صحيح مسلم بشرح النووي، ج 15، ص 14) عن أبي هريرة ولفظه : «لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً». وفي رواية عن أبي هريرة بحذف "يريه" وأخرجه كذلك (المصدر نفسه، ص 15) عن سعد بن أبي وقاص ولفظه : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً». وأخرجه كذلك (الصفحة نفسها) عن أبي سعيد الخدري ولفظه : «بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً». وأخرجه أبو داود (السنن، ج 4، ص 304) عن أبي هريرة ولفظه : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً». وأخرجه ابن ماجة (السنن، ج 2، ص 1236) عن أبي هريرة ولفظه : «لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً». وأخرجه كذلك (ص 1237) عن سعد بن أبي وقاص ولفظه : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً». وأخرجه الترمذي (السنن، ج 5، ص 129) عن أبي هريرة ولفظه : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعراً». قال الترمذي وفي الباب عن سعد وابن عمر وأبي الدرداء وأخرجه كذلك (الصفحة نفسها) عن سعد بن أبي وقاص، ولفظه : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً».

وتعقبه أبو عبيد القاسم بن سلام[1] وقال إنما يحمل على أن يغلب عليه فيشغله عما هو أهم[2].

قال الحافظ ابن حجر : «قوله شعرا مخصوص بما لم يكن حقا لمدح الله ورسوله وما اشتمل عليه [من] الذكر، والزهد وسائر المواعظ»[3]. انتهى كلامه.

والحديث المذكور أخرجه البخاري ومسلم[4] وأبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان[5] وأبو عوانة[6] والطبراني والطحاوي[7] وغيرهم.

وبالجملة فالشعر بغية مباحة إن سلمت من عوارض، وما من قدوة إلا وله فيه مقام علا أو دنا، فهو محمود لما تقدم، وفوائده كثيرة، ومازال السلف الصالح وتبعهم الخلف الناجح معتنين به كما بسطنا الكلام على هذا المنوال في خزانة الأرب.

وكان عبد الله بن عباس[8] رضي الله عنهما يحفظ ألف قصيدة تبلغ مائة بيت.

وقال عمر رضي الله عنه : «أشعار العرب ديوان الكتاب والسنة ولسان العرب»[9] كان لا يفسر آية إلا استشهد ببيت شعر.

---

(1) أبو عبيد القاسم بن سلام : (ت 222 أو 223 أو 224) المحدث الفقيه اللغوي الكبير صاحب الغريب المصنف وغيره، ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 549، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 4، ص 60، ياقوت : معجم الأدباء، ج 5، 2198، والذهبي : معرفة القراء الكبار، ج 1، ص 170، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 417، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 17.

(2) هذا المبحث مبسوط في ابن حجر : فتح الباري، ج 10، ص 549، والنووي : شرح صحيح مسلم، ج 15، ص 14، وأبي داود : السنن، ج 4، ص 304.

(3) ابن حجر : فتح الباري، ج 10، ص 549.

(4) مسلم : أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت 261هـ) صاحب الصحيح، ترجمته في الخطيب : تاريخ بغداد، ج 13، ص 100، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 5، ص 194، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 588.

(5) ابن حبان : أبو حاتم محمد التميمي الحنظلي البستي (270-345) صاحب المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع، وكتاب الثقات، وكتاب المجروحين والضعفاء، ترجمته في الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 922.

(6) أبو عوانة : يعقوب بن إسحاق النيسابوري ثم الإسفرائيني (ت 316هـ) الفقيه الشافعي المحدث صاحب المسند الصحيح المستخرج على كتاب مسلم، ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 6، ص 313، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 779.

(7) الطحاوي : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي (238-321هـ) الفقيه المحدث صاحب معاني الآثار. ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 1، ص 71، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 808، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 116.

(8) ابن عباس : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (ت 68هـ) حبر الأمة وترجمان القرآن، ترجمته في ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 3، ص 933، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 62، وابن الأثير : أسد الغابة، ج 3، ص 192، والذهبي : معرفة القراء الكبار، ص 451، وابن حجر : الإصابة، ج 4، ص 89.

(9) لم نقف على هذا اللفظ معزواً إلى عمر.

وكان أبو بكر[1] رضي الله عنه من أعلم الصحابة بالشعر وأيام الناس.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليكم الغريب من القرآن فانظروه في الديوان»[2].

وقال الحافظ ابن حجر : «وقد روت عائشة رضي الله عنها من شعر كعب بن مالك[3] أشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا كما في الأدب المفرد للبخاري»[4].

وفي الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر[5] أنها روت للبيد بن ربيعة[6] اثني عشر ألف بيت[7] انتهى.

وقال ابن حجر في أثناء كلام له : «جمع شيخ شيوخنا يعني ابن سيد الناس[8] والله أعلم مجلدا في أسماء من نقل عنه شيء من الشعر من الصحابة متعلق به صلى الله عليه وسلم خاصة»[9] انتهى.

وكان فضلاء الصحابة يروون الشعر ويقولونه كما بسطنا الكلام عليه في الخزانة.

ومن التحفة : قال الأصمعي[10] : «أحفظ منه ستة عشر ألف أرجوزة فيها ما أعد أبياتها المائة والمائتين» انتهى.

---

(1) أبو بكر الصديق : عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي (ت 13هـ) خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. راجع مثلاً ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج 3، ص 169، ابن قتيبة : المعارف، ص 167، ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 3، ص 963، ابن الأثير : أسد الغابة، ج 3، ص 205، وابن حجر : الإصابة، ج 4، ص 101.

(2) كلام ابن عباس في ابن رشيق : العمدة، ج 1، ص 30 مع اختلاف يسير في الترتيب.

(3) كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي السلمي : أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترجمته في ابن سلام : طبقات فحول الشعراء، ج 1، ص 215، ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 3، ص 1323، وابن الأثير : أسد الغابة، ج 4، ص 249، وابن حجر : الإصابة، ج 5، ص 308.

(4) البخاري : الأدب المفرد، ص 265، وابن حجر : فتح الباري، ج 10، ص 1.

(5) ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت 463) الحافظ صاحب التمهيد والاستذكار والاستيعاب وغيرها، ترجمته في عياض : ترتيب المدارك، ج 8، ص 127، وابن بشكوال : الصلة، ج 2، ص 462، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 7، ص 66، الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 1128.

(6) لبيد بن ربيعة الصحابي الشاعر المخضرم (ت 41هـ) ترجمته في ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 3، ص 1353، وابن الأثير : أسد الغابة، ج 4، ص 260، وابن حجر : الإصابة، ج 6، ص 4، والأصفهاني : الأغاني، ج 15، ص 291.

(7) ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 3، ص 1338.

(8) ابن سيد الناس : أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله اليعمري الإشبيلي (557-657) الحافظ صاحب عيون الأثر في فنون المغازي والسير وغيرها، ترجمته في الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 1450، والقرافي : توشيح الديباج، ص 249، والكتاب المذكور هو منح المدح لابن سيد الناس وقد نشر في دمشق سنة 1407هـ/1987م بتحقيق عفت وصال حمزة.

(9) ابن حجر : فتح الباري، ج 10، ص 539.

(10) الأصمعي عبد الملك بن قريب الباهلي (ت 216) اللغوي الراوية المعروف، ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 543، والخطيب : تاريخ بغداد، ج 10، ص 410، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 170، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص 112.

وفي بعض الكتب الأدبية أن الأحول البصري[1] كان يحفظ ألف قصيدة في بحر الطويل وفي البسيط والكامل والوافر والخفيف ماعدا المقطعات التي لا تحصر، وكان البدر الشرهاني[2] يحفظ أربعا وتسعين ديوانا على حدتها ماعدا غيرها. انتهى

ومما تقدم يظهر أنه اليوم علم مفيد يعسر الاكتفاء بدونه، وهو أحد فنون العلم الشرعي، والناس إليه اليوم أحوج منهم في الزمن الأول.

ومن شعر أبي تمام الطائي[3] فيه : [طويل]

ولَمْ أَرَ كالمعروف تُدْعى حقوقه ... مغارمَ في الأقوام وهي مغانمُ

ولا كَعُلَى ما لم يُرَ الشعر بينها ... فكالأرض غُفْلاً[1] ليس فيها معالمُ

ولولا خصالٌ سنَّها الشعر ما درت ... بغاة العلى من أين تؤتى المكارمُ

يُرَى حكمةً ما فيه وهو فكاهةٌ ... ويُرضى بما يقضي به وهو ظالمُ[4]

وقال ابن الرومي[5] من أبيات [طويل]

أرى الشعر يحيي النفس والناس بالذي ... تبقيه أرواح له عطرات

وما المجدُ لولا الشعر إلا معاهدٌ ... وما الناس إلا أعظم نَخِرات[6]

وقال غيره : [بسيط]

إذا جهلت مكان الشعر من شرف ... فأيَّ مفخرة أبقيت للعرب[7]

---

(1) الأحول البصري : عاصم بن سليمان (ت 142هـ) المحدث الزاهد. ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 508، والخطيب : تاريخ بغداد، ج 12، ص 243، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 149.

(2) البدر الشرهاني : لم نعرفه.

(3) أبو تمام : حبيب بن أوس الطائي (190هـ-231هـ) الشاعر المشهور، ترجمته في الأصفهاني : الأغاني، ج 16، ص 303، والخطيب : تاريخ بغداد، ج 8، ص 24، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 2، ص 11 وغيرها.

(1) غفلاً : خالية مستوية.

(4) الأبيات لأبي تمام : الديوان، ص 269-270، وقد تصرف المؤلف أو من نقل عنه في ترتيبها.

(5) ابن الرومي : أبو الحسن علي بن العباس بن جريج (ت 283) الشاعر المشهور، ترجمته في الخطيب : تاريخ بغداد، ج 12، ص 22، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 358.

(6) ابن الرومي : الديوان، ج 1، ص 391، وصدر البيت الأول فيه : أرى الشعر يحيي المجد والبأس والندى.

(7) لم نعرف قائله.

وقال غيره[1] : [رجز]

كم حامل سما به إلى العلى ... بيتٌ مديحٍ من لسان ذلق

مثل بني الأنف[2] ومثل هَرِم[3] ... وكالذي يعرف بالمحلّق[4]

وكم وكم حطّ الهجا من ماجد ... ذي رتبة قعساً وقدر سَمَق

مثل الربيع[5] وبني العجلان[6] مع ... بني نمير[7] جمرات الحُرَق

لو لم يكن الشعر فضلٌ ظاهرٌ ... فوق جدار البيت لم يعلّق

لو لم تكن للآي فيه حجةٌ ... ما علمت مسائل ابن الأزرق[8]

ما هو إلا كالكتابة وما ... فضلها إلا كشمس الأفق

وإنما نُزِّه عنهما النبي ... ليعلم الإعجاز بالتحقق

فحسبه فخراً بذا مسلماً ... من قدح قادح بما لم يَلِقِ

فَقُلْهُ تَصْعَدْ وارْوِهِ تَسْعَدْ وعَلِّ ... مَنْهُ تُحْمَدْ في جميع الفرق[9]

---

(1) هو ابن الونان : أبو العباس أحمد بن محمد المشهور كأبيه بأبي الشمقمق (ت 1187)، الشاعر الفاسي مادح المولى محمد بن عبد الله العلوي وصاحب الأرجوزة المعروفة بالشمقمقية، راجع كنون : النبوغ المغربي، ج 1، ص 316، وكنون : شرح الشمقمقية، ص 4.

(2) بنو أنف الناقة : بنو جعفر بن قريع من تميم كانوا يأنفون من هذه النسبة حتى مدحهم بها الحطيئة فصارت لهم فخراً، راجع ابن رشيق : العمدة، ج 1، ص 50.

(3) هرم بن سنان المري الذبياني : ممدوح زهير بن أبي سلمى، أحد سادات العرب في الجاهلية، راجع أخباره في ترجمة زهير.

(4) المحلق : رجل من بني كلاب أحسن إلى أعشى قيس فمدحه فرفعه، راجع ابن رشيق : العمدة، ج 1، ص 48.

(5) الربيع بن زياد العبسي : وقد وضعه لبيد إذ هجاه عند النعمان بن المنذر فأبعده وكان مكيناً عنده، راجع ابن رشيق : العمدة، ج 1، ص 50.

(6) بنو العجلان : من بني عامر بن صعصعة وقد هجاهم النجاشي فوضعهم، راجع ابن رشيق : العمدة، ج 1، ص 51.

(7) بنو نمير : من بني عامر بن صعصعة كذلك، وكانوا إحدى جمرات العرب فوضعهم جرير بالبائية المعروفة، راجع ابن رشيق : العمدة، ج 1، ص 50.

(8) ابن الأزرق : هو نافع الحنفي (ت 65هـ) زعيم إحدى فرق الخوارج، سأل ابن عباس عن كلمات من القرآن ففسرها له بشواهد من الشعر، راجع المبرد : الكامل، ج 3، ص 222.

(9) راجع كنون : شرح الشمقمقية، ص 121.

وقال غيره [بسيط]

الشِّعْر يحفظ ما أودى [1] الزمان به والشعر أفخر ما ينبي[2] عن الكرم

لولا مقال زهير[3][1] في قصائده ما كنت تعرف جودا كان في هرم[4][2]

وقال ابن رشيق[3] [رجز]

الشعر شيء حسن ليس به حرج

أقل ما فيه ذهـا ب الهم عن نفس الشجي[5]

يُحْكم من لطافة حل عقود الحجج

كم نظرة حسنَّها في وجه عذر سَمِج

وحرقة بردَّهَا عن قلب صب منضج[4]

ورحمة أوقعها في قلب قاس حرج[6]

وحاجة يسرَّها عند غزال غنج

وشاعر مُطَرَّح مغلق باب الفرج

قربهُ لسانه من ملك متوَّج[7]

فعلموا أولادكُمْ عُقَّار[8] طِبِّ المهَجِ[9][5]

---

(١) أودى : ذهب.

(٢) ينبي : يخبر.

(٣) زهير بن أبي سلمى.

(1) زهير بن أبي سلمى : الشاعر الجاهلي المعروف، ترجمته في ابن سلام : طبقات فحول الشعراء، ج 1، ص 51، وابن قتيبة : الشعر والشعراء، ص 69.

(٤) هرم بن سنان

(2) لم نعرف قائلهما.

(3) ابن رشيق : الحسن بن علي القيرواني (390-456 أو 463)، الناقد الشاعر صاحب العمدة، ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 2، ص 85، وياقوت : معجم الأدباء، ج 2، ص 861، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص 504.

(٥) الشجي : المحزون.

(4) أورد المؤلف هذا البيت قبل سابقه. واعتمدنا ترتيب ابن رشيق في العمدة.

(٦) حرج : ضيق.

(٧) متوج : عليه التاج.

(٨) عقار : جمع عقاقير : ما يطب من الأدوية.

(٩) المهج : جمع مهجة.

(5) ابن رشيق : العمدة، ج 1، ص 46.

وبسط هذا المنوال في التحفة والمحكم، كلاهما لأبي مدين الفاسي[1] والبغية وأصلها[2] والكميلي[3]، وكلام الجميع جمعته في خزانة الأرب في معرفة أنساب العرب، واختصرت منه هنا ما يليق بهذه الضالة الأدبية، والله الموفق.

(1) راجع مقدمة التحقيق، ص 63.

(2) غالب الظن أنها بغية الآمل بترتيب الكامل، وأصلها كامل المبرد، راجع مقدمة التحقيق، ص 63.

(3) الكميلي : راجع مقدمة التحقيق، ص 63.

الفصل الثاني

في نبذة من خبر الوالد رضي الله عنه
ونبذة من خبر أسلافه رحمهم الله

فأقول وبالله التوفيق :

نسب صاحب الديوان

لا خفاء أن الوالد رضي الله عنه هو العالم العلامة، القدوة الفهامة، مربي السالكين ومنقذ الهالكين، غوث الأولياء، وقطب الأصفياء، نجم الظلام، وبدر التمام، حامل لواء الشريعة الأحمدية المحمدية، وقطب رحى نجوم الطريقة الإبراهيمية التجانية[1]، شاعر أوانه، وجنيد زمانه، وصالكي أحيانه، وسيبويه أقرانه، من لا تحصر مفاخره، ولا تغاص زواخره، ولا تنحصر مآثره، سيدنا أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الصغير بن الطالب محمد بن الحاج محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد ابن المختار بن خيار بن المصطفى بن عبد الله العلوي وفقه الله تعالى، هكذا وقفت عليه من عمود النسب.

ولا خفاء أنهم علويون من القبيلة المعروفة بإيدوعلي[2] وهم بنو علي بن أبي طالب[3] رضي الله عنه، كما هو مشهور ظاهر لا يحتاج إلى تبيين.

وإذا لم يتأمل لما هو فوقه مما هو بيننا وبين جدنا الأعلى الذي هو جماع إيدوعلي لأن أهل المدن غير مواظبين على حفظ الأنساب، والمدن متلفة لها كما قال العراقي[4] في ألفيته الأثرية :

وضاعت الأنساب في البلدان فَنُسِبَ الأكثرُ للأوطان[5]

---

(1) حول الطريقة التجانية وعلاقة صاحب الديوان بها راجع مقدمة التحقيق، ص 33. وحول سبب تسميتها أحمدية ومحمدية وإبراهيمية، راجع الحاج عمر : "رماح حزب الرحيم"، ج2، ص 140، وابن السائح : "بغية المستفيد"، ص 77.

(2) إيدو علي : قبيلة من أمهات قبائل الزوايا ذات وزن ثقافي واجتماعي هام جداً في بلاد شنقيط، موزعة من بين آدرار وتكانت والكبلة وحول انتساب المؤلف إليها راجع مقدمة التحقيق، ص 26.

(3) علي بن أبي طالب : أمير المؤمنين (ت 40هـ) ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 203 وابن سعد : الطبقات الكبرى، ج 3، ص 19، وابن عبد البر : الاستيعاب، ج 3، ص 1089، وابن الأثير : أسد الغابة، ج 4، ص 16، والذهبي : معرفة القراء الكبار، ج 1، ص 25، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 10، وابن حجر : الإصابة، ج 4، ص 269، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 346.

(4) العراقي الحافظ عبد الرحيم بن الحسين (725هـ-806هـ) صاحب ألفيتي السيرة والمصطلح وغيرهما. ترجمته في ابن فهد : لحظ الألحاظ، ص 230، والسخاوي : الضوء اللامع، ج 4، ص 171، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 382، والسيوطي : ذيل طبقات الحفاظ، ص 380.

(5) العراقي : فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ص 476.

وسبب ضياعها ـ كما قال اليوسي رحمه الله تعالى في المحاضرات له ـ أن «الإنسان إنما احتاج المتمدن للقيام بالمتاجر وغيرها من الحرف التي هي القائمة بأمور المعاش...، ولما كانت المدينة تجمع أخلاط الناس لكونها لا تتيسر الحرف المذكورة إلا بكثرة الناس لحصول عمارة الأسواق صار ساكنها في الغالب غريبا عن نسبه، فإذا نشأ نسله انتسبوا غالبا إلى البلد لا إلى قومهم من وجهين :

ـ أحدهما أنه كثيرا ما ينقطع ما بينهم وبين قومهم فلا يعرفونهم.

ـ الثاني أن الإنسان يعجب ببلده ويتبجح[1] به لثلاثة أوجه :

* أحدها أنه لا يعرف غالبا غيره.

* الثاني أن الله حبب إلى الناس منازلهم ليلازموها فتنتظم عمارة الأرض على ما قدر الله تعالى...

* الثالث الإلف الطبيعي فإن كل واحد يألف تربته كإلفه لأبيه وأمه...

... ثم إذا انتسب إلى البلد ذهب قومه وتنوسيت أسلافه فصار النسب مجهولا لا باعث على حفظه ولا حامل على تعرفه، بخلاف أهل البادية، فإنهم يحفظون أنسابهم إذ لا ملجأ لهم في الانتساب غير قومهم فيبقى الأب الأول محفوظا ويحفظه يتذكر ما بينه وبين آبائه من النسب لأنهم لا قرار لهم في باديتهم فينتسبوا إليه... ولأنهم خالصون من الأخلاط غالبا ومتى خالطهم أحد لم يزل معروفا بكونه ملصقا، وقد يكون من القرى ما يكون كذلك لانقطاع الأخلاط وعدم التمدن كقريش فقد حفظوها مع كونهم في قرية... وقد يكون في المدائن من يحفظ نسبه ولاسيما من له نسب مخصوص كالعلوية...»[1].

ثم قال : «وكون هؤلاء يكتفون بالقرى ويضيعون أنسابهم لذلك غير مختص بهم، فقد وقع للعرب حين دخلوا قرى الشام والعراق والمغرب، فلا تزال تلقى حمصيا أو حلبيا أو غيرهما وهو تميمي أو قيسي في الأصل أو غيرهما، فإذا سألت قال حمصي ونحوه، وكثير منهم لا يرفع نسبه»[2]. انتهى المراد من كلامه مختصرا بحذف كثير.

وكان أهل بيتنا معروفين ببني انبوجه[3]، بهمزة وصل مكسورة ونون ساكنة تقلب ميما للباء التي بعدها وهي مضمومة بعدها واو ساكنة، فجيم مفتوحة، ممنوع من الصرف، لقب لجد الوالد من ألقاب أهل القرى التي لا تشتق، لأنه كثيرا ما ينشأ التلقيب من الصبيان أو من الألسن العجمية فيشتهر صاحبه به بين الناس.

---

(١) يتبجح : يفتخر.

(1) اليوسي : المحاضرات، ص 18-21، وقد نبهنا إلى مواطن الحذف والاختصار.

(2) اليوسي : المحاضرات، ص 21، وفي الاستشهاد اختصار كسابقه.

(3) كتبها في الأصل انبوج، وآثرنا إثبات هاء السكت إيضاحاً لفتحة الجيم.

وكانوا صلحاء أولياء ممن آثر الخمول على الظهور، محتقرين أنفسهم مخافة أن تذكر، «وما صدق الله من أحب الشهرة» كما قال إبراهيم بن أدهم[1] أو إبراهيم النخعي[2]، على خلاف في قائلها رضي الله عنه.

وقال الروياني[3] : «الخمول نعمة وكل يأباه، والشهرة آفة وكل يرضاه» وليس بحديث كما في فتاوى السيوطي[4] رحمه الله تعالى.

وكان أول من اشتهر منهم بمعرفة العلوم الشرعية والدنا المذكور حفظه الله تعالى.

والد صاحب الديوان

أما والد الوالد رحمه الله تعالى فقد ذكر رضي الله عنه في أول الظل الممدود[5] نبذة من التعريف به قال فيها : «أما والد الناظم فقد كان رحمه الله من جملة كمل المقرئين، انتهت إليه رئاسة علوم القرآن بمحروسة تيشيت[6] وانتفع بإقرائه خلق كثير حفظا وأداء، وكان كثير العبادة والملازمة للمسجد، وهو المنتصب لقراءة الحزب به، ويحضر مجالس الحديث فيه ولا يكاد يفوته مجلس منه، وأكثر عبادته تلاوة القرآن في الصلاة وغيرها، ويزيد فيها إذا استهل رمضان يستغرق الليل والنهار، وله ورد غير ذلك مرتب على تحزيب السلف يبدأ ليلة الجمعة ويختم في ليلة الخميس، وله حظ من قيام الليل، وكان كثير التورع في تطييب اللقمة يعزل ما يأخذه من بعض من لا يتقي الشبهات من أولياء تلامذته ويتوقاه حتى لا يدخل جوفه ولا جوف أحد من أولاده، وكان كثير الاعتناء بالقراآت ويحفظ السبعة عن ظهر قلب ويختم في رمضان بكل رواية، وكان من الصالحين». انتهى المراد منه.

قلت وحدثني غير واحد ممن أدركه وقارنه وكان من أترابه[1] وملازميه أنه مكث أربعين سنة ولم يصل فرضا ولا نفلا إلا بوضوء مائي، وأنه نشأ له من ذلك مع التقدير

---

(1) إبراهيم بن أدهم : أبو إسحاق البلخي (ت 140هـ) الزاهد المعروف، ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 1، ص 31.

(2) إبراهيم النخعي : أبو عمران بن زيد الكوفي (ت 95هـ) التابعي أحد الأئمة المشاهير، ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 1، ص 25، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 73.

(3) الروياني : أبو بكر محمد بن هارون (ت 307هـ) الحافظ صاحب المسند، ترجمته في الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 753.

(4) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (849-911هـ) الحافظ المشهور، ترجمته في السخاوي : الضوء اللامع، ج 4، ص 65، والكتاني : فهرس الفهارس، ج 1، ص 316، وج 2، ص 1010، والزركلي : الأعلام، ج 3، ص 301.

(5) الظل الممدود : كتاب لصاحب الديوان، راجع مقدمة التحقيق، ص 39.

(6) تيشيت : حول هذه المدينة راجع مقدمة التحقيق، ص 19.

(١) أترابه : مقاربيه في السن.

الأزلي مرض شديد لم يزل به مدة ثلاثة أعوام أو أربعة وهو لا يخرج إلى المسجد حتى توفي رحمه الله تعالى.

ومثل ذلك يشاهد من ملازم الطهارة المائية في هذه البلدة عمرها الله بالدين والتقوى، إذ مما علم تواترا عدم صحة مائها في الأجساد عافانا الله.

وحدثني شيخنا رحمة الله بن عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله[1] وكان من أصدقاء جدنا ووالدنا معا عليهما رحمة الله ورضوانه، وعفوه وغفرانه، أن جدنا محمد الصغير رحمه الله مكث ثلاثين سنة متوالية وهو يصلي الصبح بوضوء الظهر رحمة الله عليه، وهذه الكرامة أخص من الأولى، وله رحمه الله تعالى كرامات كثيرة غيرها.

قال الوالد متع الله به : «توفي - يعني والده رحمه الله تعالى - بعد صلاة العصر من يوم السبت في يوم عشرين من المحرم الحرام، ودفن ليلة الأحد حادية عشرين محرم سنة خمسين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام».

انتهى كلامه في التعريف به.

جد صاحب الديوان

وأما جد والدنا الطالب محمد رحمه الله تعالى فقال في الظل الممدود :

«أما والده - يعني جدنا محمد الصغير رحمه الله - فقد ذكر - يعني جدنا أيضا - أنه يعني الطالب محمد من الأولياء الخمل، يحب العزلة وربما انعزل خارج المدينة في كثير من الأوقات رغبة في العزلة، وله كرامات لا يطلع عليها إلا خواص أهل بيته.

ولما أغمي عليه في آخر مرضه الذي توفي فيه شاهدوا منه في أوقات الصلاة ما يعرفون به أنه يصليها، فيعدون حركة شفتيه بالتكبير والتسميع والسلام، فإذا انصرف من الصلاة جعل يعد بأصابعه المعقبات، فيعد الآحاد بأصابع يمناه، والعشرات بأصابع يسراه، فإذا تمت تسعة رفع إبهام اليسرى من حنوها ويعقد عقدة التسعين ويشير بسبابته اليمنى كالمتشهد، وأخبرنا الوالد رحمه الله تعالى بذلك وشاهدناه منه هو رحمه الله تعالى لما أغمي عليه في مرض موته وأريناه بعض من حضره من الإخوان». انتهى كلام الوالد في الظل الممدود.

---

(1) رحمة الله بن عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله : لم نقف على ترجمته، والظاهر أنه ابن العالم المؤلف الشهير عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله الغلاوي (ت 1209)، راجع ترجمته في البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 170، تونس، ص 75)، والشنقيطي : الوسيط، ص 91، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 206.

قلت : كان جد والدنا المذكور هو القطب في بلده كما أخبر به ولي وقته الشريف السمان[1] المكي، وهو بالحرم الشريف بعض حجاج أهل تيشيت كما تواتر واشتهر، ومن جملة كلامه له : «أفيكم ولي الله قطب العالم الآن المعروف بابن انبوجه» ؟ فقال : «نعم» فقال السمان : «أقرئه مني السلام واعلم أنه قطب كامل، ولولا ضيق باعه وطيعه لنبت العشب تحت أقدامه».

فلما قدم البعض المذكور إلى أهله أتاه جدنا فاشتغل بالسلام عليه، فلما أراد التكلم برسالته أو نطق بما يدل عليها من تفخيم الجد رحمه الله تعالى أشار إليه جدنا رحمه الله تعالى أن اسكت، فأبى إلا التبليغ، فقام جدنا عنه كالخجل[1] استحياء وانصرف.

وحدثت من غير وجه عن بعض من يوثق به من أهل العلم أنه رآه في حجة حجها يوم النحر بمكة، وهو في ذلك اليوم بتيشيت.

وكراماته كثيرة، وله السياحات العظمى، وتوفي في آخر القرن الثاني عشر في أوان الثمانين أو التسعين، ودفن بمدينة تيشيت، وقبره معروف يزار.

أسلاف صاحب الديوان

وكان أسلافه صلحاء أولياء أقطابا، أخبرني شيخنا محمد صالح بن عبد الوهاب[2] رحمه الله تعالى عن بعض الأكابر أنه قال له : «لا تفرط في آل انبوجه فإنهم أولياء، وفي سلسلة نسبهم خمسة أعلام كلهم اسمه محمد، وكلهم بديل، ومنهم الأقطاب، ولا يخرج منهم العلم». انتهى.

ونرجو من الله تعالى حصول ذلك، والمخبر له ولي كبير.

ولشيخنا المذكور[3] رحمه الله تعالى رسالة في أنساب العلويين المتفرقين في نواحي بلاد التكرور، نحا فيها عند ذكر من تقطن مدينة تيشيت من العلويين منحى ما حدثني به بأبسط مما هنا. فلينظر.

---

(1) الشريف السمان : محمد بن عبد الكريم المدني الشافعي (1130-1189)، أحد أكابر الصوفية في القرن 12هـ، ولد وتوفي بالمدينة وعرف بالقطب. ترجمته في الزركلي : الأعلام، ج 6، ص 216، راجع ذكره في حرازم : جواهر المعاني، ج 1، ص 48، وابن السائح : بغية المستفيد، ص 168.

(١) الخجل : المستحيي.

(2) محمد صالح بن عبد الوهاب الولاتي الناصري (ت 1271هـ) : فقيه شاعر قاض مؤرخ بارز، ذو مكانة متميزة في التاريخ الثقافي لبلاد شنقيط عامة، ولمنطقة الحوض خاصة، من أهم مؤلفاته كتاب "الحسوة البيسانية في عام الأنساب الحسانية"، ترجم له المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 105، والنعوي : بلاد شنقيط، ص 520، راجع عرضاً لكتاب الحسوة ضمن : Norris : The arab conquest of the Sahara, p. 71-76

(3) يعني محمد صالح بن عبد الوهاب، ولم نقف على هذه الرسالة.

صاحب الديوان

وأما والدنا أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الصغير، فهو صاحب الكرامات، والعلوم الرائقة الظاهرة والإشارات.

مازال متع الله بوجوده، وأدام رفعة سعوده، منذ أوجده الله تعالى صبيا رفيع الهمة والشان، متطلعا بشغوف الفكر على معالم الإيمان، متطبعا بخلق السادة الأعيان، حتى بلغ سن الأخذ للعلوم الشرعية، فصدق ما جبل عليه قبل في حال الطفولية، وسبق العناية به الأزلية.

[طويل]

وحدة رأس الشوك يوم بروزه ومن سبقت حسناه لم يخل من سر[1]

شيوخ صاحب الديوان

فأخذ عن عدة أعلام: القرآن وأنواعه بأداء ورسم وما يتعلق بذلك عن والده جدنا محمد الصغير رحمه الله تعالى وهو صغير.

وقرآت السبع برواياتها المتفرعة عن والده، وعن شيخه محمد الأمين بن طوير الجنة ابن عبد الله بن محمد بن الصائم الحاجي الوادانى[2] أخي العلامة صاحب الرحلة المشهورة المعروف بالطالب أحمد بن طوير الجنة[3]، ووالد علامة الدنيا ومنطقيها وبيانيِّها وأصوليها محمد بن محمد الأمين المذكور[4] رحم الله تعالى الجميع بمنه، وأجازه فيها إجازة تامة هي بخط يده عندنا، ونص ما كتبه بعد البسملة والحمدلة وتوابعهما :

«وبعد فليعلم من وقف على هذا الصك من أئمة المسلمين وعلمائهم أني سيدي محمد بن محمد الصغير شهدت له على معرفة قراءة الأئمة السبعة وأجزته وهم نافع[5]

---

(1) هذا البيت لصاحب الديوان من قصيدته المدعوة شمس القصائد الغرر في تهنئة الشيخ عمر، راجع ص 192.

(2) محمد الأمين بن طوير الجنة : شيخ المؤلف في القرآن، ترجم له ابن حامد (ايدو الحاج) وقال أنه يعرف بمحمد، وأثنى على علمه وتدريسه ولم يذكر تاريخ وفاته.

(3) الطالب أحمد بن طوير الجنة الحاجي (ت 2 رمضان 1265هـ) فقيه مؤرخ جليل من مدينة وادان، اشتهر بحولياته المعروفة بتاريخ ابن طوير الجنة، وبرحلته الهامة التي ضمنها مشاهداته في طريقه إلى الحج سنة 1250هـ، ترجم له المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 97، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 519.

(4) محمد بن محمد الأمين بن طوير الجنة (ت 1273هـ) فقيه جليل من أسرة آل طوير الجنة، كان وثيق الصلة بآل انبوجه ترجم له المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 57، وعلى فتوى صاحب الديوان المرفقة تسليم بخطه.

(5) نافع : أبو رويم نافع بن أبي نعيم الليثي مولاهم (ت 163هـ) قارئ المدينة، راجع ابن قتيبة : المعارف، ص 528، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 5، ص 368، والذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 107، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 330.

والمكي[1] والبصري[2] والشامي[3] وعاصم[4] وحمزة[5] والكسائي[6] معرفة تامة كما رواه المروي عنه سالما من الشبه والإهمال والتركيب والقهقرة عن شيخه سيدي محمد بن منصور الدكالي[7] عن شيخه سيدي محمد الملقب بالكرطي[8]، عن شيخه الشريف سيدي محمد بن عبد الرحمن[9]، عن الشريف مولاي عبد الرحمن[10]، عن أبيه مولاي إدريس[11]، عن أبيه مولاي عبد الرحمن[12]، عن قدوة الإسلام ابن القاضي[13]، عن شيخه المفتي[14]، عن

---

(1) المكي : هو عبد الله بن كثير المكي الكناني مولاهم (ت 120هـ)، راجع ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 41، وياقوت : معجم الأدباء، ج 4، ص 1540، والذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 86 وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 443.

(2) البصري : هو أبو عمرو بن العلاء المازني اللغوي القاري (68-154هـ)، راجع ابن قتيبة : المعارف، ص 531، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 1316، والذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 100 وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 288 والسيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص 231.

(3) الشامي : هو عبد الله بن عمر التابعي (ت 118هـ)، راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 86 وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 443.

(4) عاصم : هو ابن أبي النجود الأزدي مولاهم الكوفي القارئ (ت 127هـ)، راجع ابن سعيد : الطبقات، ج 6، ص 224، وابن قتيبة : المعارف، ص 530، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 9، وياقوت : معجم الأدباء، ج 4، ص 1474، والذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 88، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 346.

(5) حمزة : أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي القارئ (ت 156هـ)، راجع ابن سعيد : الطبقات، ج 6، ص 385، وابن قتيبة : المعارف، ص 530، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 2، ص 216، وياقوت : معجم الأدباء، ج 3، ص 1219، والذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 111، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 261.

(6) الكسائي : أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي مولاهم (ت 189هـ)، راجع ابن قتيبة : المعارف، ص545، والخطيب : تاريخ بغداد، ج 11، ص 403، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 3، ص 295، وياقوت : معجم الأدباء، ج 4، ص 1736، والذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 120، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 335، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص 162.

(7) محمد بن منصور الدكالي : لم نقف على ترجمته.

(8) سيدي محمد الملقب بالكرطي : لم نقف على ترجمته.

(9) سيدي محمد بن عبد الرحمن : لم نقف على ترجمته.

(10) مولاي عبد الرحمن : لم نقف على ترجمته.

(11) مولاي إدريس : لم نقف على ترجمته.

(12) مولاي عبد الرحمن : لم نقف على ترجمته.

(13) ابن القاضي : أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم (999-1082)، شيخ القراآت في المغرب في عصره، وعليه معول من بعده، صاحب المؤلفات العديدة، راجع ترجمته في القادري : نشر المثاني، ج 2، ص 194.

(14) المفتي : أبو عبد الله محمد بن علي الشريف الحسني المري (ت 1018هـ)، مفتي فاس، أخذ عن المنجور وغيره وعنه ابن القاضي مباشرة وبواسطة، راجع القادري : نشر المثاني، ج 1، ص 150، ابن القاضي : الإيضاح، ص 32، مخلوف : شجرة النور، ص 296.

الدكالي[1] عن ابن غـازي[2] عن الصغيري[3] عن الهلالي[4]، عن السماتي[5]، عن

---

(1) الدكالي : أبو القاسم بن إبراهيم (896-978هـ) شيخ التفسير وإمام القراء في عصره، من تلاميذه المنجور وغيره، ترجمته في المنجور : الفهرس، ص 65، وابن القاضي : درة الحجال، ج 3، ص 287، وجذوة الاقتباس، ج 1، ص 110.

(2) ابن غازي : أبو عبد الله محمد بن أحمد العثماني المكناسي (858-919هـ) من أبرز علماء المغرب الإسلامي في عصره، ترجمته في القراقي : ترشيح الديباج، ص 176، وابن القاضي : درة الحجال، ج 2، ص 147، وابن القاضي : جذوة الاقتباس، ج 1، ص 203، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 581، والكتاني : سلوة الأنفاس، ج 2، ص 73، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 276، والكتاني : فهرس الفهارس، ج 2، ص 890.

(3) كذا في الأصل والصواب الصغير : أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربي النيجي (803-887هـ)، أبرز شيوخ ابن غازي، وبه بدأ فهرسه (ص 36-69) وقال : «مارأت عيناي قط مثله». وذكر المنجور (الفهرس ص 17) أنه ختم عليه ثلاثمائة مسبع، أي قرؤوا عليه القرآن بالقراآت السبع، وترجم له التنبكتي (نيل الابتهاج ص 554) نقلاً عن ابن غازي، وفيه "ابن جماعة" بدل ابن حمامة، ولعله خطأ طباعي.

(4) كذا في الأصل والصواب الفيلالي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي موسى، كذا نسبه ابن غازي (الفهرس، ص 36، وترجم له التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 166، وقال : «أحمد بن عبد الله بن أبي موسى بن محمد أخذ عنه الأستاذ أبو عبد الصغير وغيره، أكثر ابن غازي النقل عنه في تعليقه على ألفيته وسماه شيخ شيوخنا، ولم أقف على ترجمته».

(5) السماتي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله السماتي الشهير بالفخار (ابن غازي : الفهرس، ص 37)، ولم نصل في ترجمة هذا الرجل - بعد استفراغ الجهد بحثاً - إلى نبإ يقين، إذ لم نجد في مراجعنا تعريفاً به لا لبس فيه، ولم يترجم له محقق فهرس ابن غازي ولا محقق إيضاح ابن القاضي، وقد بذل الأستاذ الدنبجه بن معاوية (واضح البرهان، ص 27) جهداً كبيراً في البحث عن ترجمته، وأفضى به ذلك إلى أن صاغ ترجمة فيها تردد بين رجلين، لا نظن المعني أحدهما، وهما :

أ) أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد المشهور بابن الفخار البيري (ت 754هـ)، وهو معروف جداً، إذ هو شيخ لسان الدين بن الخطيب، وقد ترجم له في الإحاطة (ج 3، ص 35)، وشحن تراجم كثيرة بذكره والثناء عليه، وهو شيخ أبي إسحاق الشاطبي وقد أكثر الثناء عليه والنقل عنه (راجع مثلاً الإفادات والإنشادات، ص 68)، وهو شيخ ابن الجزري بواسطة وقد ترجم له (غاية النهاية، ج 2، ص 200) وترجم له المقري (نفح الطيب، ج 5، ص 355). ولسنا نعتقد أنه المعني لسببين : أحدهما أنه لم ترد في ذكره الكثير عند ابن الخطيب والشاطبي نسبة السماتي، وهي التي حلي بها الشيخ المذكور في فهرس ابن غازي والأسانيد المتفرعة منه، بل كان ابن الخطيب والشاطبي يكثران من تحلية شيخهما بالبيري، نسبة إلى البيرة، المدينة الأندلسية المعروفة، ثم إن المذكور في سند ابن غازي محمد بن عبد الله وهذا محمد بن علي فاختلفا نسبة ونسباً. والسبب الثاني أن شيخ الجماعة "أبا عبد الله بن الفخار" كما كان يدعوه ابن الخطيب والشاطبي، قد أدرك أبا جعفر بن الزبير وكأنه مسام له، فيبعد عندنا جداً أن يكون تلميذاً له بواسطتين هما أبو العباس الزواوي وأبو الحسن الأنصاري القرطبي، ويعضد هذا الإيراد أن شيوخ أبي عبد الله بن الفخار معروفون، ولم يعد فيهم أبو العباس الزواوي وأسانيده محفوظة وليس فيها سند يمر بأبي جعفر بن الزبير، ولم يرد في ترجمة أبي العباس الزواوي ذكر ابن الفخار بين تلاميذه، وجلالته تدعو إلى ذلك عادة.

ب) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الفخار الجذامي الأركشي (ت 728هـ) وترجمته في ابن الخطيب : الإحاطة، ج 3، ص 91، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 280، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص 80، وابن القاضي : درة الحجال، ج 2، ص 83، وكرر ترجمته، ص 126. وهو كما ترى غير صاحبنا إذ يخالفه نسبة فهو أركشي لا سماتي، ونسباً فهو ابن علي لا ابن عبد الله. وغالب الظن إذن أن السماتي الفخار الوارد في سند ابن غازي القرآني شخص ثالث ما نزال في طلاب ترجمته الدقيقة.

الزواوي[1] عن أبي الحسن[2] عن أبي جعفر[3] عن شيخه العطار[4] عن ابن حسون[5] عن ابن بقي[6] عن شيخه ابن العرجاء[7] عن الطبري[8] ..[9] عن ابن سيف[10] عن يوسف

---

(1) الزواوي : أبو العباس أحمد بن محمد (ت 749 غريقاً في أسطول أبي الحسن المريني) شيخ القراآت بالمغرب في عصره، عده ابن خلدون من أشياخه الذين أخذ عنهم لما قدموا تونس صحبة السلطان أبي الحسن المريني سنة 748 (التاريخ، ج 7، ص 513) وترجمته في ابن القاضي : درة الحجال، ج 1، ص 94، وابن القاضي : جذوة الاقتباس، ج 1، ص 122، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 42.

(2) أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي (ت 730هـ)، راجع ابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 32، وابن القاضي : درة الحجال، ج 3، ص 245، وابن القاضي : جذوة الاقتباس، ج 2، ص 473، وابن القاضي : الإيضاح، ص 39.

(3) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم الثقفي الغرناطي (627-708) القارئ المحدث الأصولي المؤرخ المؤلف شيخ الجماعة صاحب ملاك التأويل في المتشابه من اللفظ من التنزيل، والبرهان في ترتيب سور القرآن وصلة الصلة وغيرها، راجع ابن حجر : الدرر الكامنة، ج 1، ص 8، وابن الخطيب : الإحاطة، ج 1، ص 188، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 1484، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 1، ص 188، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص 291، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 32، وابن القاضي : الإيضاح، ص 33، درة الحجال، ج 1، ص 8، ومخلوف : شجرة النور، ص 212، والكتاني : فهرس الفهارس، ج 1، ص 454.

(4) العطار : أبو الوليد إسماعيل بن يحيى الأزدي الغرناطي (ت 668) راجع ابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 170.

(5) ابن حسون : كذا في الأصل، وهو ابن حسنون : أبو بكر محمد بن علي الأندلسي البياسي (ت 604) راجع ابن الأبار : التكملة، ج 2، ص 547، والذهبي : معرفة القراء، ج 2، ص 585، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 205-241. وقد تكرر عليه فترجم له باسمين كما بين ذلك محققو معرفة القراء للذهبي، وابن غازي : الفهرس، ص 37، وابن القاضي : الإيضاح، ص 33.

(6) ابن بقي : أبو محمد عبد الله بن خلف الأندلسي البياسي (ت بعد 540)، راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 508، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 418، وابن غازي : الفهرس، ص 37، وابن القاضي : الإيضاح، ص 33.

(7) ابن العرجاء : أبو علي الحسن بن عبد الله بن عمر، بقي إلى حدود 540هـ، راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 487، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 217، وابن غازي : الفهرس، ص 37، وابن القاضي : الإيضاح، ص 33.

(8) الطبري : أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد (ت 478هـ)، راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 435، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 401، وابن غازي : الفهرس، ص 37، وفيه «عن ابن العرجاء عن أبي معشر الطبري وأبي العباس بن نفيس» وهو خطأ طباعي لا غبار عليه والصواب عن أبي معشر الطبري عن أبي العباس بن نفيس، راجع المصدرين السابقين وابن القاضي : الإيضاح، ص 33.

(9) سقط هنا من السند في الأصل رجلان هما :

ابن نفيس : أبو العباس أحمد بن سعيد المصري الطرابسي الأصل (ت 453هـ)، راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 416، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 56، وابن غازي : الفهرس، ص 37، وابن القاضي : الإيضاح، ص 33.

ابن الإمام : أبو عدي عبد العزيز بن علي (ت 381هـ) راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 346، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 394.

(10) ابن سيف : أبو بكر بن عبد الله التجيبي المصري (ت 307هـ)، راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 231، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 445، وابن غازي : الفهرس، ص 37، وابن القاضي : الإيضاح، ص 33.

الأزرق[1] عن ورش[2] عن نافع[3] عن سليل هرمز[4]، عن أبي هريرة[5]، عن أبي بن كعب[6]، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»[7]. انتهى.

ثم ذكر عدة كتب قرأها، ثم قال آخرها - أعني الإجازة :

«هذا ما في علمي، وبه كتبت شهادتي وإجازتي له في المحرم سنة تسعة وأربعين ومائتين وألف، محمد الأمين بن طوير الجنة بن عبد الله بن أحمد صائم لطف الله بالجميع».

وعلم النحو وغيره عن علامة الزمان، وسيبويه الأوان، أحمد بن عبدي بن الحاج أحمد العلوي[8]، قرأ عليه خلاصة ابن مالك[9]، وألفية ابن بونا[10] الحمراء، وطرة الكل، وهو الجامع بين التسهيل والخلاصة، المانع من الحشو والخصاصة، المعروف الآن بطرة ابن بونا

---

(1) الأزرق أبو يعقوب يوسف عمرو بن يسار المدني ثم المصري (ت في حدود 240هـ) راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 181، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 204.

(2) ورش : أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري (ت 197هـ) أحد راويي قراءة نافع، راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 153، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 394.

(3) نافع : راجع ترجمته في الهامش رقم 23 من هذا الفصل.

(4) ابن هرمز : أبو داود عبد الرحمان الأعرج التابعي المدني (ت 117هـ) راجع الذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 77، تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 97، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 381.

(5) أبو هريرة : عبد الرحمان بن صخر الدوسي الصحابي الجليل المعروف (ت 57 أو 58 أو 59هـ) راجع ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج 4، ص 325، وابن عبد البر : الاستيعاب، ج 4، ص 1768، ابن الأثير : أسد الغابة، ج 5، ص 315، الذهبي : معرفة القراء الكبار، ج 1، ص 43، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 32، ابن حجر : الإصابة، ج 7، ص 199، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 371.

(6) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد النجاري الأنصاري أبو المنذر أقرأ الأمة (ت سنة 19 أو 20 أو 22هـ)، ترجمته في ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 1، ص 65، ابن الأثير : أسد الغابة، ج 1، ص 49، الذهبي : معرفة القراء الكبار، ص 28، وابن حجر : الإصابة، ج 1، ص 16، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 1، ص 31.

(7) لاحظ أن الإجازة في القراآت السبع، بينما اقتصر السند على طريق الأزرق من رواية ورش لقراءة نافع، ويبدو لنا أن أصل هذا السند ما اقتصر عليه ابن غازي في فهرسه تبركاً (ص 37).

(8) أحمد بن عبدي بن الحاج أحمد العلوي من شيوخ صاحب الديوان الذين لم نعثر لهم على ترجمة، راجع مقدمة التحقيق، ص 25.

(9) ابن مالك : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني (600-672) النحوي الشهير، ترجمته في ابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 18، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص 137.

(10) ابن بونا : المختار الجكني (ت 1220) أحد أكابر علماء شنقيط وأعظمهم أثراً في حياتها الثقافية، وهو شيخ علوم الكلام وأصول الفقه والنحو والبلاغة والمنطق، اشتهر بألفيته التي ضمنها زيادات التسهيل على الخلاصة، كلاهما لابن مالك، وتعرف بالاحمرار، وشرحه على الألفيتين ويعرف بالطرة والجميع بالجامع، ترجم له في البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 141، تونس، ص 66) والمحبوبي : منح الرب الغفور، ص 19، والشنقيطي : الوسيط، ص 277، والبغدادي : هدية العارفين، ج 6، ص 423، وكنون : النبوغ المغربي، ج 1، ص 264، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 249، وولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 176، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 490-530، وولد عبد الله : الحركة الفكرية، ص 203.

الذي عكف عليه الطلبة في هذه الأزمن واشتغلت به الفكر والأفهام وصار الناس فيه ما بين شارح له ومختصر ومقتصر ومبين لنكته وما بين مشتغل به حفظا وتدريسا، وتسهيل الفوائد لابن مالك، وغيرها من الكتب النحوية.

وأخذه أيضا عن شيخنا أحمد بن محمد بن حمى الله المسلمي[1] وغيرهما من الأئمة. وتآليفه فيه رضي الله تعالى عنه مفصحة ببلوغه النهاية فيه.

والفقه وما يضاف إليه عن العلامة المختار اسري بن حمى الله بن أحمد بن بوز الحاجي[2] وغيره.

وأخذ رضي الله عنه عن جماعة أخرى من الأئمة الأعلام كالطالب أحمد بن طوير الجنة وسيدي محمد بن الحاج أعمر[3] ومحمذن نال بن المبارك الألفغي[4] صاحب الرعيل الأول، من علم المنطق الأجل، أحد تلامذة المختار بن بونا، وغيرهم من الأعلام رحم الله الكل برحمته الواسعة.

نشأة صاحب الديوان

ونشأ رضي الله عنه بمدينة تيشيت حيث ولد في كفالة أبيه وتمهر في علوم الشريعة وبلغ فيها الغاية، ولم يكابد بحمد الله منها شيئا، بل فتح الله عليه فتحه اللدني، وأفاض عليه سبحانه من فيضه الجلي، وكان كثير البر بوالده رحمه الله تعالى غاية، وتوفيت أمه عليها رحمة الله تعالى وهو صغير، وقام حفظه الله تعالى بأمور بيت أبيه فأقرأ ما كان يقرئ الوالد من الصبيان.

---

(1) أحمد بن محمد بن حمى الله المسلمي: المعروف بأهمار اسري (ت في ذي القعدة 1279هـ)، من شيوخ صاحب الديوان والمؤلف، ينتمي إلى بيت علم وسيادة في تيشيت، ترجم له ابن حامد: الحياة الثقافية، ص 203، وأهل محمد مسلم، ص 16، وقال في المصدر الأخير: «كان عالم زمانه وسخيه وقارئه...، ولم يخلف إلا بنته عائشة».

(2) المختار اسري بن حمى الله بن أحمد بن بوز الحاجي: يبدو أنه أهم شيوخ صاحب الديوان في الفقه، وقد رثاه بقصيدة مطولة (راجع ص 162 من هذا الكتاب) ولم نقف على ترجمته نصاً، إلا أن ابن انبوجه (فتح الرب الغفور) وابن عشاي: (حوليات تيشيت، ص 45) ذكرا في سنة 1226هـ وفاة رجل دعواه العالم ابن بوز فلعله هو.

(3) سيدي محمد بن الحاج أعمر: من شيوخ المؤلف الذين لم نقف لهم على ترجمة إلا قول ابن انبوجه: (فتح الرب الغفور) إنه توفي في سنة 1256هـ وقد استشفى له صاحب الديوان بقصيدة (راجع ص 229).

(4) محمذن فال بن المبارك الألفغي: كذا في المتن، وهو ابن امباريكي، الألفغي نسبة إلى ايد اشفغ من تشمشه، عالم جليل رحالة، عده ابن أحمد الصغير (متن العلي الكبير، ص 7) من أشياخ والده، ووصفه الطالب أحمد بن طوير الجنة بقوله: «شيخنا وشيخ أهل وادان كلهم». راجع ابن امباريكي: نصيحة المقلد، ص 63، وترجم له ابن حامد: الحياة الثقافية، ص 339، وفيه أنه توفي سنة 1296 وهو مستبعد عندنا، فاعل الصواب 1269هـ، وهو جد البشير بن عبد الله بن محمذن نال بن امباريكي العالم المشهور (ت 1354هـ)، ترجمة محمذن فال في ابن امباريكي: نصيحة المقلد، ص 17.

ومازال قائما بهموم البيت وتدبيره وتربية إخوته والمريدين منذ توفيت أمه وبلغ سن التمييز حتى توفي والده رحمة الله تعالى عليه سنة خمسين كما تقدم، وحسبك من بر والده أنه لم يسافر منذ ولد حتى توفي الوالد رحمة الله عليه.

وكان رضي الله عنه يعدُّ له في بعض من الليالي العشاءين والثلاثة والأربعة مراعاة لخاطره، فإن أبى البعض قدم له آخر.

وجميع ما ناله من الرتب والمعارف إنما ناله ببركة بر والده رحمة الله تعالى عليه.

أخلاق صاحب الديوان

alالحسنة وسيرته المحمدية النبوية، وسياسته الشرعية، وطباعه104105وأما أخل الأصلية والفرعية، وصبره على مشاق النوائب، وجبره الخواطر بجميع الغرائب، رضي الله عنه فلا يحيط بها إلا من وضع فيه ما فيه، سبحانه تعالى وتنزه أن يحيط بنعمه ذو تمويه، ﴿ وإن تعدوا نعمة الله ﴾[1].

قضاء صاحب الديوان

وتولى خطة القضاء بمحروسة تيشيت سنة اثنين وخمسين عام 1252 بعدما تعين عليه، وعزل من كان قبله ممن انتصب للإفتاء والقضاء، وهو بها قاض الآن وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه، وجعله ممن تقبل سعيه وارتضاه.

[كامل]

قَاضٍ إذا اختلف الخصومُ كأنَّمَا ... فصلُ القضاء رواه عن دَاوُد

ذو رَاحَةٍ(١) مزبورةٍ(٢) بخطوطها ... آيـاتُ وعـدٍ بُيِّنَتْ ووَعِيد(2)

وكان رضي الله عنه كيسا حاذقا فطنا خبيرا بسياسة القضاء جدا عارفا بلحن قول الخصوم وجليه، كثير الاطلاع على دقائق العلوم، جيد العبارة حسنها، إذا عبر عن شيء استقر أول في الذهن، لا يسمح الدهر بمثلها.

---

(١) ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار ﴾ سورة إبراهيم، الآية 36.
﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفور رحيم ﴾ سورة النحل، الآية 18.

(١) راحة : كف.

(٢) مزبورة : مخطوطة.

(2) لم نعرف قائلهما.

[كامل]

إنَّ الكلامَ إذا من القلب انْبَرَى دخل القلوبَ فتستنير وَتُلْهَمُ[1]

درس العلوم مدة فشغله أمر القضاء عن الاشتغال بالتدريس.

مؤلفات صاحب الديوان

وله تآليف لاح شعاع الانتفاع بها في البلاد، واستوى في قبولها ذوو الإتقان من أهل الحواضر والبواد، ولم تتوجه همته حفظه الله تعالى إلى فن إلا وضع فيه تقييدا بحسن رونقه[1]، وبروق سندسه وإستبرقه، ليكون تذكارا وذكرى، إما نظما وإما نثرا، تحسب فطنته في طلب الصواب جامدة وهي تمرمر السحاب، ولا ينشرح صدره لما لم يتصرف فيه من العلوم بتقاييد تحقيقية، موهبة إلاهية ومنحة اختصاصية، ويقل فن من العلوم إلا وله فيه تقييد، وترتيب مجيد.

ففي التصوف وضع الألفية المعروفة بنسخة السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وهي تزيد على ألف بيت، أبان فيها من علوم المعرفة ما لا يوجد في غيرها، وهي التي أولها :

[طويل]

لقد كان ذاتُ الله والخلق في العدمْ وكان ولاشيءُ مع الله في القدمْ
وأسماؤه سبحانه وصفاته ومظهَرها في حضرة الطمس مُنْبَهَمْ
وفي علمه أعيان الاشيا ثوابتٌ ولكنَّها شبهُ الخيالات في الحُلمْ
وتنظرها من ربِّها عين رحمةٍ وتسأله إخراجها عن عمى العدمْ

والنفحة القدسية لسالكي نهج المحمدية نظم فيها منهاج العابدين للغزالي[2] يزيد على الثلاثمائة وأوله :

[رجز]

حمداً لمن أرسى شوامخ السرورْ بمصطفاه في مناديح الصدورْ
وكَنزَّ عبدبَّته بطاعتهْ ثم عليه وعلى جماعتهْ

---

(1) البيت لصاحب الديوان من قصيدة في مدح الحاج عمر، وسياتي، ص 200.

(1) رونقه : حسنه وتهليل الجمال فيه.

(2) الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد (450-505) الصوفي المتكلم الأصولي الفقيه، حجة الإسلام علماً، أحد أشهر علماء الإسلام. ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 4، ص 216 وغيرها.

من الصلاة والسلام قدرُ مَا ... هم أهلُهُ ما سحَّ ويل وهمى[1]
هذا وإن عقبات البرِّ ... سيْع لفاريها[2] عظيم الظَّفْرِ
أولُها عقبة العلم ولا ... يقطعُها إلا إذا تأمَّلا
وقال : لي رب كريمٌ ذو نعَمْ ... أوجب شكرها عليَّ وحكَمْ
لمن أطاعه بخالد الثوابْ ... والذي عصى بأعظم العقابْ
فعند ذا شمَّر للفرائض ... فحازها في الطرُق الأعارض[3]
ثم انتحَاه[4] فإذا الجرائمُ ... وأنها للبرِّ لا تلائمُ
فاعترضت عقبة التوبة لَهْ ... فجابها[5] ثم انتحى[6] ليفعلهْ
فهب يرنو[7] فإذا عوائقُ[8] ... أربعةٌ وكلها بوائقُ[9]
نفسٌ مريدٌ[10] والدُّنى الخلائقْ ... وهذه عقبة العوائقْ
فاجتابها[11] بالقهر والمحاربَهْ ... وبالتجرُّد وبالمجانبهْ
فرامه فاعترضته أربعَهْ ... رزقٌ وأخطارٌ شدائدُ معَهْ
أنواعُ ما يقضي المعزُّ الخافضْ ... وهذه عقبة العوارضْ
فاحتاج للتفويض والتوكُّلِ ... والصبرِ والرضَى بما قضى العلي
فأمَّهُ فأحجمت[12] عنه الرَّعُوم[13] ... فافتقرت لسائقٍ لما يروم
وزاجرٍ عن المعاصي وهُمَا ... خوفٌ رجاءٌ فاستعان بهمَا
وهذه عقبة البواعثِ ... فجازها[14] بالحزمِ غير عابثِ

---

(١) همى : أمطر.
(٢) فاريها : قاطعها.
(٣) الأعارض : البيض.
(٤) انتحاه : مال إليه.
(٥) جابها : قطعها.
(٦) انتحى : مال.
(٧) يرنو : ينظر.
(٨) عوائق : جمع عائق مانع.
(٩) بوائق : مهالك.
(١٠) مريد : شيطان.
(١١) اجتابها : قطعها.
(١٢) أحجمت : وقفت.
(١٣) الرعوم : النفس.
(١٤) جازها : قطعها.

فحصلت له العبادة كما ... يجب أن يُقيمها ويُعْتَمَى[1]

قنبغت[2] له عظيمتان ... لطاعة الرحمن تُفسدان

العُجْبُ والريَّا وكل قادحٍ[3] ... وهذه عقبة القوادحْ

فاحتاج للإخلاص وادِّكارِ ... مِنَّة ربنا العظيم البارِي

فاجتازَها فعام في بحورِ ... مِنَنِه معانق الحُبُورِ

فخاف أن يقع في الكفرَانِ ... لما قد أغفَلَ من الشكْرانِ

فاستقبلته ها هناك عقبَهْ ... الحمد والشكر فجاب العَقَبَهْ

بما تَأتَّى فإذا به حصل ... على المراد من جميع ما أمَلْ

وها أنا أتبع منتحرها[4] ... بالنظم رائماً أن اختصرها

إلى آخره، وله عليه طرر من الأصل كثيرة الفوائد، جمة[5] الفرائد.

ونظم أراجيز متفرقة فيها كثير من الإحياء للغزالي ككتاب العلم وكتاب الصلاة، وكتاب ذم الدنيا وذم علمائها وكثير من ربع المهلكات، وهي جمة الفوائد أيضا.

وسيف الله، على من كذب أولياء الله حسن في بابه، عجيب عند كل نابه، نحا فيه منحى باب من الجيش[1] في هذا المنوال، وسببه مذكور في مقدمته فلينظر.

والجيش الكفيل بأخذ الثار، ممن سل على الشيخ التجاني[2] سيف الإنكار، في مجلد نفيس جدا.

---

(١) يعتمى : يختار.

(٢) قنبغت : قاطعها.

(٣) قادح : قادح.

(٤) منتحر الطريق : سننه.

(٥) جمة : كثيرة.

(١) الجيش : يعني كتاب الجيش الكفيل بأخذ الثأر الآتي ذكره بعد هذا الكتاب مباشرة، راجع مقدمة التحقيق، ص 39.

(2) الشيخ التجاني (150 اهـ-230اهـ) أبو العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني، ولد في عين ماض وتوفي بفاس، صاحب الطريقة الصوفية التجانية المنتشرة في المغرب وإفريقيا الغربية، ترجمته في حرازم : جواهر المعاني، ج 1، ص 25، وابن السائح : بغية المستفيد، ص 135، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 378، والكتاني : سلوة الأنفاس، ج 1، ص 180.

وسبب تأليفه لهذا الجيش المنصور أن محمد اديبجه بن عبد الله بن حبيب الله الكمليلي[1] كانت بينه وبين بني علي المعروفين بإيدو علي ببلاد المغرب المعروفة بالگبلة[2] مهاجاة، فصادف ذلك مجيئ شيخ الشيوخ، ومعدن التمكين والرسوخ، سيدنا الشيخ سيدي محمد الحافظ العلوي[3] من سفر الحج الميرور، وكان لقي شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكنوم، والبرزخ المختوم، أبا العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنابه بمدينة فاس، فأخذ عنه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية وأذن له في أسرارها وأنزله في الإعطاء منزلة نفسه رضي الله تعالى عنهما.

وكان الشيخ سيدي محمد الحافظ أول من قدم بها إلى هذه البلاد، ومعه السيدان المقدمان العلمان الشيخان الطالب جدُّو بن الشيخ العلوي[4] والسالك بن الإمام بن امحمد ابن الحسن الحاجي[5].

فلما استقر قدم سيدي محمد الحافظ بالگبلة أخذ عنه عامة أهل البلد هذه الطريقة وبثه فيها[6]، فبلغ ذلك محمد اديبجه فجره ذلك إلى هجاء أهل الورد ثم متبوعهم أعاذنا

---

(1) اديبجه الكمليلي : لقب غلب على محمد بن عبد الله بن حبيب الله (ت 1280) من مشاهير علماء بلاد شنقيط وشعرائها في القرن 13هـ/ 19م، عرف بإنكاره أمر الطريقة التجانية ومساجلاته مع أتباعها، ترجم له الشنقيطي : الوسيط، ص 368، وابن حامد : الحياة الثقافية، 320، والخليل النحوي : بلاد شنقيط، ص 506.

(2) الكبلة : مصطلح جغرافي يطلق على الجنوب الغربي من بلاد شنقيط.

(3) الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب العلوي (ت 1247)، عالم جليل وشيخ تصوف مشهور، درس على سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، ثم رحل إلى فاس والقى الشيخ سيدي أحمد التجاني، فأخذ طريقته الصوفية، وهو ناشرها في بلاد شنقيط وغرب إفريقيا، ثم حج، فأخذ بالمدينة المنورة عن صالح الفلاني، ترجمته في ابن سيدينا : نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ، وابن محم : روض الشمائل، ص 7، وابن السائح : بغية المستفيد، ص 257، وسكيرج : كشف الحجاب، ص 354، ورفع النقاب، ج 3، ص 95، وولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 169، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 517.

(4) الطالب جدو بن الشيخ العلوي أحد كبار فقهاء مدينة شنقيط، كما سيبين المؤلف من بعد (ص 116)، أخذ عن الشيخ سيدي أحمد التجاني، وأخذ الفقه عنه أحمد بن البشير الفلاوي، ذكره صاحب الديوان (الجيش، ص 16) ونعته بقوله : «قاضي شنقيط ومدرسها»، وترجمته في ابن محم : روض الشمائل، ص 10، وابن السائح : بغية المستفيد، ص 263، وسكيرج : كشف الحجاب، ص 364 ورفع النقاب، ج 3، ص 190، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 205.

(5) السالك بن الإمام الحاجي : (ت 1246هـ) عالم جليل من بيت علم أصيل في مدينة وادان، أخذ عن الشيخ سيدي أحمد التجاني، وذكره صاحب الديوان ونعته بقوله : «إمام وادان وعالمه، أوحد زمانه» (الجيش، ص 17)، وترجمته في ابن انبوجه : فتح الرب الغفور، ص 12، والمحجوبي : منح الرب الغفور، ص 62، وابن السائح : بغية المستفيد، ص 262، وابن محم : روض الشمائل، ص 10، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 200 (وما فيه من أنه توفي سنة 1245 مخالف لما اتفق عليه المحجوبي وابن انبوجه، ووافقهما ابن حامد نفسه في ترجمته له من قسم إيدو الحاج)، وسكيرج : كشف الحجاب، ص 365.

(6) كذا في الأصل ولعل الصواب «وبثها فيه».

الله تعالى من ذلك، ثم ألف في ذلك مؤلفات فيلغ أحدها مدينة تيشيت، وكبير من بها من الطائفة التجانية الوالد حفظه الله تعالى فألف هذا الجيش وسريته[1].

ومن جملة كلام الوالد في مقدمته :

«وقد كان من قضاء الله وقدره أن وقف العبيد الفقير، إلى رحمة مولاه العلي الكبير، محمد بن محمد الصغير، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، على ورقات فيها ما هو أرق منها وألين، وأضعف أركانا من بيت العنكبوت وأوهن[1]، من الاستخفاف بعظيم حرمة شيخنا ومولانا سيدي أبي العباس أحمد بن محمد التجاني الحسني نجارا[2]، الفاسي قرارا ومزارا، قدس الله روحه، وسقى بشآبيب[3] الرحمة ضريحه[4]، منسوبة لبعض المنتسبين العلم رمى فيها الشيخ رضي الله تعالى عنه بما هو اليوم عائد إلى ثغرة نحره، وأخشى أن يكون له ذلك في عاقبة أمره، ووشحها[5] بذكر طريق القوم تلبيسا على العامة والأوغاد، واستتارا برسوم علومهم ليرد عن نفسه صوارم[6] الرد عليه والانتقاد، ويأبى الله سبحانه إلا أن يلبسه رداء ما أسر وما أراد.

«فأخذني ما يأخذ الحرد[7] المغيظ، غيرة وحمية على حمى حرمات أولياء الله الحفيظ، فهممت بتقطيعها وتمزيقها، بعدما فهمت مراد صاحبها بترقيقها، ثم أمسكت عملا بالتثبت الذي أمر به سبحانه في كتابه، وتثبيطا[8] لخاطر العجلة التي هي من عمل الشيطان وأحزابه. فانبعثت ألتمس مخرجا حسنا لصاحبها فأعياني، فندبني المرد عليها نادب لسان الشرع الطاهر ودعاني.

«ويا سبحان الله ! لقد بلغني قبل على لسان من يرد[9] علي من ناحية هذا المنكر ما جاوز الحد من استطالة لسانه على الطائفة التجانية حفظها الله بعين رعايته، وحاطها

---

(١) سرية الجيش : منظومة لصاحب الديوان في الدفاع عن الطريقة التجانية طبعت في آخر كتاب الجيش وعنوانها الكامل : "سرية الحق والانتصار والذب عن أولياء الله الأخيار".

(١) أوهن : أضعف وهو مثل معروف عند الناس، والعنكبوت اسم يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء للمبالغة.

(٢) نجاراً : أصلاً.

(٣) شآبيب : جمع شؤبوب الدفعة من المطر.

(٤) ضريحه : قبره.

(٥) وشحها : حلاها وزينها.

(٦) صوارم : سيوف.

(٧) الحرد : الغضبان.

(٨) تثبيطاً : تثبتاً.

(٩) يرد : يقدم.

بسور عنايته، حتى إن ذلك بلغ شيخنا سيدي محمد الحافظ فأعرض عنه وأمر علية[1] أصحابه، بتخلية جنابه، فما زاده في ذلك إلا أنه استرسل فيما استرسل فيه وطاش، وأطلق فيهم ما سولت له النفس لسانه الفحاش، وما كنت أظن أنه سطر في ذلك مسطورا، ولا نشر في الطريقة التجانية منشورا، فقضيت العجب[2] من إعراضهم عنه، بعدما تبين لهم من فحشه ما صدر منه.

« لكن راجعت النظر فعلمت أن الشيخ رضي الله عنه في ذلك على أقوم طريقة وأتم سياسة، من عدم إقامة الحجة على من شم منه رائحة الجدل وطلب الرياسة، فخاف أن يؤديه ذلك إلى ما هو أعظم من تضييع عمر هذا المنكر في المناظرة والجدل، كما هو شأن من سلف من أولياء الله الكمل، فلم يحرك منه هذيانه[3] إلا ما تحركه نفخة نامرسة من جبل.

[بسيط]

لوْ كلُّ كلبٍ عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخرُ مثقالاً بدينارِ[4][1]

بل حال الشيخ ينشد فيه قول الآخر :

[طويل]

فمن هو حتى يُحْمَلَ النطق عن فمي إليه وتمشي بيننا السفراءُ ؟[2]

وأما أنا فانتهضت لضيق عطني[5] انتصارا لجانب الأولياء، لا مجادلة لعموم الأغبياء، بل منافحة[6] عن سبيل هي من أحسن سبيل، «ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل»[3].

[طويل]

فنحنُ عبيد الدار حقًا ولم نَزَلْ نُوَالِي مُوَالِيهَا ونحرِسُ بَابَهَا[4]

---

(١) علية : جمع عال السيد.

(٢) قضيت العجب : ألقمته من قضى وطره وبلغه كقضاه تقضية وقضاء ككتان.

(٣) هذيانه : الغوه.

(٤) البيت للمعري.

(1) لم نعرف قائله.

(2) البيت لأبي العلاء المعري، وهو في سقط الزند، ص 189.

(٥) عطني : محركة مريض الغنم ويكنى عن ضيق الباع.

(٦) منافحة : من نافحه كافحه وخاصمه.

(3) سورة الشورى، الآية 38.

(4) لم نعرف قائله وهو في ابن عجيبة : إيقاظ الهمم، ج 2، ص 445 غير معزو وصدر فيه : ونحن كلاب الدار طبعاً الخ وبعده :

إذا طردت يوماً كلاب قبيلة فقومي كرام لا تهين كلابها

فأردت بعون الله، وإن كانت بضاعتي في العلم مزجاة، أن أبين وجه ذلك لمن سمعه أو رآه، من عامة عباد الله المسلمين ليكونوا على بصيرة من حقيقة ماموه به وغشاه[1].

[بسيط]

وللبعوضة في الجرح المديد يد تنال ما قصرت عنه يد الأسد»[1]

انتهى.

وهذه الخطبة حقيقة أن تكتب بسواد حدق[2] العيون، لاشتمالها من أساليب البلاغة على عدة فنون.

وقد تلقاه بحمد الله تعالى الناس بالقبول، وأنجح الله لمصنفه فيه المأمول، فرد بأحزابه، إنكار مرتابه، واتخذ عصا لمن أنكر، وعظة لمن تفكر، فطفئت نيران تلك الفتنة، وارتفعت ثيران[3] تلك المحنة، وتفرقت نسخه في نواحي البلاد التكرورية، وفي مدن المغرب الفاسية والمراكشية والمكناسية.

وسرية الجيش وهي أرجوزة في منوال الجيش تزيد على خمسمائة فيها من رقيق[4] المنظوم، والأنيق[5] المختوم، ما لا يوجد في غيرها.

ونظم إعانة المتوجه المسكين، على طريق الفتح والتمكين لسيدي زروق[2] ولم يتم بعد وهو جيد في منواله.

وألف في القرآن العظيم:

البحر المحيط، وهو نظم رجزي في ألفاظ القرآن المعدودة من المفردات إلى تسع وعشرين والمتشابه والمرسوم غير المحمول والمحذوف في ألفي بيت بياء التثنية ومائة وانتفع به والحمد لله، وهو أدل دليل على حفظه ومكانته من النظم.

---

(١) موه وغشى: بمعنى طلى من فوق أو من تحت.

(١) لم نعرف قائله، والاستشهاد بطوله في ابن انبوجه: الجيش، ص 4-5.

(٢) حدق: جمع حدقة بياض العين.

(٤) ثيران: جمع ثور الهيجان.

(٥) رقيق المنظوم: جيده.

(٦) الأنيق: المختار.

(2) زروق: أحمد بن أحمد البرنسي الفاسي (846-899) الفقيه الصوفي الجليل المشهور، ترجمته في القرافي: توشيح الديباج، ص 60، وابن القاضي: درة الحجال، ج 1، ص 126، وجذوة الاقتباس، ج 1، ص 128، والتنبكتي: نيل الابتهاج، ص 130، والكتاني: سلوة الأنفاس، ج 3، ص 123، ومخلوف: شجرة النور، ج 1، ص 267.

وشرحه الظل الممدود على البحر المحيط بهم الممدود في مجلد نفيس جدا وانتفع به والحمد لله تعالى، وتكررت نسخه في البلاد كمشروحه[1] فضلا من الله ونعمة سبحانه.

ونظم الإتقان في علوم القرآن للسيوطي[1] ولم يكمل.

وله في هذا الفن تقاييد حسنة جدا نفعنا الله تعالى به وبعلومه آمين، يا رب العالمين، بجاه النبي الأمين.

وفي الفقه :

تعليق على المختصر[2] مفيد جدا، بلغ فيه أواخر الصلوات، جمع فيه مهم شروح المختصر وحواشيه، واعتمد فيه ما اعتمده الشيخ الأمير[3] في مجموعه وضوء الشموع[4] وشيخه العدوي[5].

والدرر المختصرة في نظم التبصرة أعني تبصرة ابن فرحون[6] ألفه لما تولى القضاء ولم يتم وهو الآن في نحو ألفي بيت، مفيد غاية.

والركب المنتصر الجليل في آثار من أنكر تقليد الشيخ خليل[7] ألفه متع الله به في الرد على بعض المنكرين على الشيخ خليل بل على كافة من قلده وترك الأخذ من القرآن والسنة، ولم يتم لحسم[2] مادة الإنكار بموت المنكر، ولم يبق منه سوى بابه الأخير الموضوع

---

(١) كمشروحه : النظم.

(1) السيوطي : راجع ترجمته في هذا الفصل، ص 95.

(2) المختصر : إذا أطلقت الكلمة فالمعني في عرف أهل البلد مختصر الشيخ خليل بن إسحاق في الفقه المالكي، راجع الهامش رقم 7 من هذه الصفحة.

(3) الأمير : أبو عبد الله محمد بن أحمد المصري (1154-1232هـ) من أكابر المحدثين وفقهاء المالكية بمصر في عصره، ترجمته في الكتاني : فهرس الفهارس، ج 1، ص 133، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 362.

(4) ضوء الشموع : كتاب الأمير المذكور شرح به كتابه المجموع في الفقه المالكي.

(5) العدوي : أبو الحسن علي بن أحمد الصعيدي (1112-1189هـ) شيخ المالكية بالأزهر والمحدث الكبير، أخذ عنه الأمير ومرتضى الزبيدي وصالح الفلاني، وغيرهم، ترجمته في الكتاني : فهرس الفهارس، ج 2، ص 712.

(6) ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن علي العمري المدني (ت 799) الفقيه القاضي المؤرخ المالكي، مؤلف تبصرة الحكام، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. ترجمته في ابن فرحون : الديباج المذهب، ج 1، ص 357، وابن حجر : الدرر الكامنة، ج 1، ص 48، والقرافي : توشيح الديباج، ص 45، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 33.

(7) خليل بن إسحاق : الجندي المصري (ت 767 أو 769 أو 776) الفقيه المشهور بمختصره في الفقه المالكي، وهو قطب رحى المذهب منذ ظهر، ترجمته في ابن فرحون : الديباج المذهب، ج 1، ص 357، وابن حجر : الدرر الكامنة، ج 1، ص 86، والقرافي : توشيح الديباج، ص 92، وابن القاضي : درة الحجال، ج 1، ص 223، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 168.

(٢) حسم : قطع.

لرد مقالات المنكر. وأدال[1] فيه لعلماء الشريعة من علماء الحقيقة، عكس ما فعل في الجيش الكبير، فآتى كل ذي حق حقه، وبسط له رزقه، بين فيه سنده في الفقه المالكي.

ولا بأس بالتبرك بهذا السند المعظم قدره كما ذكره مختصرا، وقد بين فيه عمد الأئمة الذين انتشر المذهب في بلاد التكرور عن تدريسهم فنقول :

لا خفاء أن الوالد أخذ الفقه كما تقدم عن أئمة منهم المختار اسري[1]، وقرأ المختار اسري وأخذ عن محمد المعروف بالعالم ابن يدغوري[2]، عن الأخوين الشريفين حمى الله[3] وأخيه الشريف المختار[4] ابني أحمد بن الإمام أحمد، عن خاليهما محمد[5] وأحمد[6] ابني

---

(١) أدال : من الدولة ومنه يدال علينا مرة أي أعطى الغلبة.

(1) المختار اسري : راجع الهامش ص 103.

(2) محمد العالم بن يدغوري : قاضي تيشيت الماسني (ت 28 شوال 1188 هـ) ترجم له البرتلي : فتح الشكور (بيروت 134 - تونس 64)، وفيهما أنه أخذ مباشرة عن الشريفين ابني فاضل، بيد أنه عد منهما الشريف حمى الله وليس أحدهما بل هو ابن أختهما وتلميذهما كما ذكر المؤلف والبرتلي نفسه (فتح الشكور، بيروت، ص 90، تونس، ص 40)، فلا شك أن في مطبوعتي فتح الشكور خطأ، وأن الصواب ما ذكر المؤلف من أخذ ابن يدغوري عن الشريفين ابني أحمد عن خاليهما الشريفين ابني فاضل، وهو موافق لما عند ابن عبد الوهاب (الحسوة البيسانية، ص 8) من أخذ الشريف حمى الله عن خاليه الشريفين ابني فاضل عن الحاج الحسن بن آغبدي.

راجع كذلك ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 204.

(3) الشريف حمى الله بن أحمد بن الإمام أحمد التيشيتي (1107 -1169 هـ) : العالم المؤلف المدرس، أخذ عن خاليه الشريفين ابني فاضل الآتي ذكرهما، ترجم له البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 89، تونس، ص 39) وأطال الثناء عليه.

راجع كذلك ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 12-13-18-201.

(4) الشريف المختار بن أحمد بن الإمام أحمد التيشيتي (1107-1169هـ) : العالم المؤلف المدرس، أخذ عن خاليه الشريفين ابني فاضل الآتي ذكرهما، ترجم له البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 89، تونس، ص 39) وأطال الثناء عليه.

راجع كذلك ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 12-13-18-201.

(5) الشريف محمد بن فاضل (ت 1160) أحد الأخوين المعروفين بالشريفين ابني فاضل، من أجل علماء تيشيت في القرن 12هـ وأشهرهم تدريساً وفتياً، أخذ وأخاه عن الحاج الحسن بن آغبدي الزبدي، وعليهما مدار الفقه في تيشيت، ترجم له البرتلي (بيروت، ص 124، تونس، ص 57)، راجع ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 201، وفي تاريخ وفاته (1106) خطأ مطبعي. ترجم له النحوي : بلاد شنقيط، ص 514.

(6) الشريف أحمد بن فاضل (ت 1153) أخ السابق وقرينه علماً وشهرة، «وكان المفزع إليه وإلى أخيه في القتيا»، البرتلي (فتح الشكور، بيروت، ص 47، تونس، ص 21)، وكان «يقول الشعر ويجيده... وكان سيدي عبد الله بن محمد ابن القاضي العلوي يثني عليه ويمدحه ويراسله، وكفى به مثيناً» (المرجع والصفحة نفسها). راجع كذلك ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 18-201، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 514.

فاضل الشريف، عن الحاج الحسن بن آغبدى الزيدي[1]، عن سيدي أحمد الولي بن أبي بكر ابن أحمد المحجوبي الولاتي[2] وعن سيدي أحمد أبي الأوتاد الحنشي[3] بواسطة علمين

---

(1) الحاج الحسن بن آغبدي الزبدي (1065-1123) : شيخ علماء تيشيت المؤلف المفتي «عليه مدار الفتوى في الفقه في بلادنا»، البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 87، تونس، ص 32)، له نظم أم البراهين، ونظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ونظم في ضبط المشتبه من رجال الصحيحين وغيرها، ترجم له البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 87، تونس، ص 32) وفيه أنه «أخذ عن الفقيه أحمد الولي وعن الفقيه سيدي أحمد أبي الأوتاد الحنشي بواسطة رجل أو بلا واسطة». وفيه (بيروت، ص 90، تونس، ص 40) أنه أخذ عن سيدي أحمد أبي الأوتاد التيشيتي بواسطة رجلين، وفيه (بيروت، ص 41، تونس، ص 18) في ترجمة أحمد الولي المحجوبي أن الحاج الحسن قد أخذ عنه، وفيه (بيروت، ص 41، تونس، ص 14) في ترجمة سيدي أحمد أبي الأوتاد أنه قد أخذ عنه الفقيه آبو بكر بن أحمد بن الشغ المسلمي، وفيه (بيروت، ص 74) أن الحاج الحسن قد أخذ عن الفقاري عن أبي بكر بن أحمد بن الشغ عن سيدي أحمد أبي الأوتاد، والقول الأخير موافق صراحة لكلام المؤلف هنا، ولكلام البرتلي نفسه المتقدم في ترجمة أحمد أبي الأوتاد (بيروت، ص41، تونس، ص 18) ومبين لمجمل كلامه في ترجمة الشريف حمى الله (بيروت، ص 90، تونس، ص 40). ومن المقارنة بين هذه النصوص يتضح أن للحاج الحسن بن آغبدي سندين متصلين بسيدي أحمد أبد القاسم أحدهما عن الفقاري عن أبي بكر بن أحمد بن الشغ المسلمي عن أحمد أبي الأوتاد الحنشي عن سيدي أحمد أبد القاسم، والثاني عن أحمد الولي عن سيدي أحمد أبد القاسم. وأما ما ذهب إليه المختار بن حامد (الحياة الثقافية، ص 204) وتابعه عليه محمد المختار ولد اباه (La littérature juridique. p. 41) والخليل النحوي (بلاد شنقيط، ص 201) من أن ابن آغبدي قد أخذ مباشرة عن أبي الأوتاد، فمستبعد جداً، ولعل منشأه الرجوع إلى كلام البرتلي في ترجمة الحاج الحسن بن آغبدي، دون مقارنته بما ورد في التراجم الأخرى، والله أعلم. وترجم لابن آغبدي ابن عبد الوهاب (الحسوة البيسانية، ص 8) فقال متحدثاً عن بطون أولاد زيد : «من أولاد الحسن كان بيتا العلم والعمل وهما بيت شيخ المشائخ الحاج الحسن بن آغبدي وابنه الحاج سيدي محمد بن الحاج الحسن، وكانا معاً عالمين مشهورين، وكانا ساكنين بقرية تيشيت، وكانت لهما رئاسة علم مشهورة، وكان الحاج الحسن لقي في حجه الشيخ محمد الخرشي بمصر بالجامع الأزهر ورد عليه أربعين مسألة في شرحه على مختصر خليل جمعها العلامة الشريف حمى الله تلميذ الحاج الحسن... والبيت الثاني بيت أهل موسى بن أيجل...».

راجع كذلك ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 12، 17، 28، 204، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 510.

(2) سيدي أحمد الولي بن أبي بكر بن أحمد المحجوبي الولاتي (1034-1095) ترجم له البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 41، تونس، ص 17) وقال إنه «كان في زمنه قاضي ولاته وإمامها ومدرسها... مشهور بالصلاح والورع... وهو أول من ولي الإمامة من بني الفقيه عثمان»، ترجم له ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 211-212، وأثنى عليه. وحول البحث في سنده راجع للهامش السابق.

(3) سيدي أحمد أبو الأوتاد الحنشي : ترجم له البرتلي (بيروت، ص 414، تونس، ص 17)، وذكر أنه «هو الذي أتى بمختصر خليل لتيشيت»، آخذاً له عن سيدي أحمد أبد القاسم الحاجي الوادانى، وقال إنه لم يقف على تاريخ وفاته والراجح عندنا أنه عاش في بحر القرن الحادي عشر، وقد ترجم له ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 202.

وهما القاضي الفقاري[1] عن أبي بكر بن أحمد بن الشغ المسلمي[2]، عن سيدي أحمد أبي الأوتاد، وهو أول من جاء بمختصر الشيخ خليل إلى تيشيت.

وأبو الأوتاد هذا أخذ عن الشيخ سيدي أحمد أيد القاسم بن سيدي أحمد بن علي ابن يعقوب الحاجي الوادانى[3]، وسيدي أحمد أيد القاسم المذكور ترجع إليه أسانيد الأئمة في هذه البلاد.

---

(1) القاضي الفقاري : لم نقف على ترجمة إلا قول البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 74) في ترجمة أبي بكر بن أحمد بن الشغ المسلمي «وقرأ عليه الفقاري قاضي تيشيت، وأخذ عن هذا الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي». راجع كذلك ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 202.

(2) أبو بكر بن أحمد بن الشغ المسلمي التيشيتي : ترجم له البرتلي (بيروت، ص 74، وترجمته ساقطة من تونس) وأثنى عليه بالعلم والعمل وقال : «قرأ مختصر خليل على الفقيه سيدي أحمد أبي الأوتاد الحنشي الذي أتى بمختصر خليل لتيشيت، ويقال إنه صار أعرف من شيخه للمختصر... ولم أقف على تاريخ وفاته». وزاد ابن حامد في ترجمته (الحياة الثقافية، ص 202) أنه توفي يوم الأربعاء 16 رجب عام 1039هـ، وقد استشكلنا هذا التاريخ الذي لا وجود له في المصادر الأساسية المتعلقة بتلك الفترة، ثم اتضح لنا بعد التأمل أنه وهم مرده الخلط بين ترجمة هذا الرجل والترجمة السابقة لها مباشرة في فتح الشكور، وهي ترجمة أبي بكر بن أحمد بير ابن الفقيه محمود بن عمر التنبكتي المتوفى «يوم الأربعاء عند طلوع الشمس في سادس عشر من رجب عام تسعة وثلاثين وألف».

(3) سيدي أحمد أيد القاسم الوادانى الحاجي اليعقوبي (ومعنى أيد بالصنهاجية ابن) : شيخ أساتيذ الفقه المالكي في المدارس الحضرية بالبلاد كما بين المؤلف، وقد ترجم له البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 40، تونس، ص 17)، ويظهر من الترجمة أنه قد توفي سنة 1086هـ، وهو ماذهب إليه ابن حامد (الحياة الثقافية، ص 17) وتابعه عليه محمد المختار ولد اباه La littérature, p. 41، والخليل النحوي : بلاد شنقيط، ص 201.

وقد استشكلنا ذلك التاريخ من وجهين : أحدهما أن البرتلي نفسه صرح بجهله تاريخ وفاته إذ قال في الصفحة نفسها (بيروت، ص 40، تونس، ص 16) في ترجمة شيخه أحمد الفازازي الوادانى «وأخذ عنه شيخ الشيوخ أحمد أبو القاسم (كذا، الصواب أيد القاسم كما في الترجمة الموالية)، ولم أقف على تاريخ وفاته ولا وفاة تلميذه هذا». والوجه الثاني أن ابن الأعمش الآتي ذكره (ص 117) قد أخذ عن سيدي أحمد أيد القاسم بواسطة، وهو مولود سنة 1036هـ، كما أن الحاج الحسن بن آغبدي السالف الذكر (الهامش 95) قد أخذ عنه بواسطتين، وهو مولود سنة 1065هـ، فيبعد أن يكون الأول قد أدرك من عمره خمسين سنة والثاني إحدى وعشرين.

وبالرجوع إلى مخطوطة تيشيت من فتح الشكور (ص 12) تبين أن في الأمر وهماً مصدره إدماج المخطوطة التي اعتمدت في إخراج المطبوعتين ترجمتين في واحدة، إذ سقط من ترجمة أيد القاسم سطران صرح فيهما المؤلف مرة أخرى بجهله تاريخ وفاته ودخلت في ترجمته ترجمة تلميذه أحمد بن أحمد بن الحاج الشنقيطي المتوفى سنة 1086هـ، شيخ ابن الأعمش (1036هـ-1037هـ) وقد نص على أنه المتوفى سنة 1086هـ، ابن انبوجه : فتح الرب الغفور، ص 122.

ولذلك فنحن نرجح أن يكون سيدي أحمد أيد القاسم قد عاش في آخر القرن العاشر وصدر القرن الحادي عشر، ومما يشهد لذلك قول ابن حامد (الحياة الثقافية، ص 205) في ترجمة القاضي عبد الله العلوي (ت 1103هـ) «حج ولقي الأجهوري في مصر وأخذ عنه بعد أخذه عن سيدي أحمد بن القاسم الحاجي الوادانى»، ومعلوم أن عليا الأجهوري قد توفي سنة 1066هـ (مخلوف : شجرة النور الزكية، ص 304).

راجع كذلك ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 199، وفيه أن ابن الأعمش قد أخذ عن سيدي أحمد أيد القاسم، وأن ذلك كان بواسطة كل من القاضي عبد الله العلوي وأحمد بن أحمد بن الحاج، وهما أخذا عن أيد القاسم، وزاد المؤلف ابن الأعمش عن سيدي أحمد الولي المحجوبي عن سيدي أحمد أيد القاسم.

أما تيشيت فقد انتشر الفقه فيها عن تدريس محمد المعروف بالعالم بالسند المتقدم إلى سيدي أحمد أبد القاسم.

وأما شنجيط[1] فقد انتشر فيها المذهب عن تدريس الفقيه الطالب جدو بن الشيخ المختار العلوي[2]، عن محمد بن عبد الرحمن بن الخليفة الملقب المرابط[3]، عن عمه أحمد ابن الخليفة بن أحمد بن أگد الحاج العلوي[4]، عن أبيه الخليفة[5]، عن سيدي محمد بن

---

(1) شنجيط : هي مدينة شنقيط من منطقة آدرار، واحة نخيل ومركز تجاري وعلمي قديم، وباسمها عرفت البلاد لأن الحجاج كانوا ينطلقون منها ، راجع ابن الحاج إبراهيم : صحيحة النقل، والشنقيطي : الوسيط، ص 422 و429، وولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 65، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 72.

(2) الطالب جدو بن الشيخ المختار العلوي : راجع ترجمته في ص 108.

(3) محمد عبد الرحمن بن الخليفة : لم نجد له ترجمة، وواضح أنه من مشائخ الفقه العلويين في مدينة شنقيط خلال القرن 12هـ.

(4) أحمد بن الخليفة بن أحمد بن أگد الحاج العلوي (ت 1188هـ) : من كبار علماء مدينة شنقيط، ترجم له البرتلي (بيروت، ص 56، تونس، ص 27) وأثنى عليه، وقال : «مكث نحو خمسين سنة يدرس العلم في شنقيط»، وعد من تلاميذه حرمه بن عبد الجليل (1150-1243)، وعمار بن محمد بن الإمام العلويين وسيدي المختار بن الطالب الغلاوي، أما ابن حامد فقد ترجم له (الحياة الثقافية، ص 205) ولكن من الجلي أنه قد اختلط عليه بغيره، إذ عده غلاوياً وهو علوي. وترجم له كذلك ابن معاوية : واضح البرهان، ص 11.

(5) الخليفة بن أحمد أگد الحاج العلوي : لم نقف على ترجمة مستقلة، وابنه وأبوه يدعى كل منهما أحمد وهما عالمان معروفان.

المختار بن الأعمش العلوي[1] عن أحمد الولي بن المحجوب المتقدم، وعن أحمد بن أحمد بن الحاج[2] وكلاهما عن سيدي أحمد أيد القاسم.

وأما ولاته[3] فقد انتشر بها عن تدريس الفقيه القصري بن محمد المختار الإيديلبي[4]، عن الطالب البشير بن الحاج الهادي[5]، عن الفقيه الحاج أبي بكر بن الحاج

---

(1) محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (1036-1107هـ) : أكبر فقهاء مدينة شنقيط وأحد أبرز الوجوه العلمية في البلاد خلال قرنه «أول من أجاد من أهل تلك البلاد في تصنيف النوازل» (الشنقيطي : الوسيط، ص 578)، وإليه ترجع أغلب الأسانيد العلمية في عموم بلاد شنقيط خلال القرنين 11 و12هـ، ومن الغريب أن البرتلي لم يفرده بترجمة في فتح الشكور، مع إكثاره من ذكره والثناء عليه في تراجم أشياخه وتلاميذه وتلاميذهم (راجع بيروت، ص 40، 75، 79، 115، 116، 117، 171، 172، 181، 193)، وقد ترجم له تلميذه ابن رازگه.

راجع ابن بابه : التكملة، ص 41 وولد اباه : La littérature, p. 10، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 205) وولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 16، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 527، وولد عبد الله : الحركة الفكرية، ص 196.

وقد انفرد المؤلف - على ما نعلم - بقوله إن ابن الأعمش قد أخذ عن أحمد الولي عن سيدي أحمد أيد القاسم، وأما أخذه عن أحمد بن أحمد بن الحاج وعن القاضي عبد الله العلويين كليهما عن سيدي أحمد أيد القاسم فمعروف.

تنبيه : أورد البرتلي أسانيد ابن الأعمش في القراآت والحديث والفقه خلال ترجمة تلميذه محمد بن الحاج عثمان بن السيد بن الطالب صديق الجماني (بيروت، ص 116، تونس، ص 50)، وعند ذكر سنده في الفقه سقط من مطبوعة بيروت اسم سيدي أحمد أيد القاسم، فبدا كأن شيخي ابن الأعمش المباشرين، وهما القاضي عبد الله بن محمد (ت 1103) وأحمد أگد الحاج (ت 1086هـ) العلويان قد أخذا مباشرة عن الفازازي، والصواب ما في مطبوعة تونس من أخذ الشيخين عن أيد القاسم عن الفازازي، وأما ما ذكر ابن حامد (الحياة الثقافية، ص 199) من أن الطالب محمد بن الأعمش قد أخذ مباشرة عن أيد القاسم فسبق قلم جلي، إلا أن يكون أراد أباه المختار بن الأعمش فمحتمل.

(2) أحمد بن أحمد بن الحاج العلوي الشنقيطي، ويدعى كذلك أحمد أگد الحاج (ت 1086هـ) : من أبرز تلاميذ أيد القاسم، وأحد من نقلوا سنده إلى مدينة شنقيط، وأحد شيوخ ابن الأعمش (راجع الهامش 1)، ترجم له البرتلي : فتح الشكور، بيروت ص 40، تونس، ص 17).

(3) ولاته : مدينة من أقدم وأهم المراكز الحضرية في بلاد شنقيط، كانت تعرف بإيولاتن، وشهدت ازدهاراً ثقافياً كبيراً خلال القرون 11-13هـ، وإليها ينتمي مؤلفا الأثرين البالغي الأهمية في تاريخ بلاد شنقيط الثقافي وهما البرتلي : صاحب فتح الشكور، والمحجوبي : صاحب منح الرب الغفور، راجع كذلك ابن الخطيب : الإحاطة، ج 3، ص 192، وابن بطوطة : الرحلة، ص 442، والحسن الوزان : وصف إفريقيا، ج 2، ص 161، والمقري : نفح الطيب، ج 3، ص 112، والشنقيطي : الوسيط، ص 459، وحجي : الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج 2، ص 633، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 211، وولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 67، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 68.

(4) القصري بن محمد المختار بن عثمان الإيديلبي الولاتي (ت 1235هـ) من أكابر فقهاء البلاد وأشهرهم بفتاواه المجموعة، ترجم له البرتلي : فتح الشكور، بيروت ص 207، تونس، ص 94. وقال : «وهو الآن بقيد الحياة»، والمحجوبي : منح الرب الغفور، ص 53 وأطال الثناء عليه وذكر بعض مدائح معاصريه فيه، وعد من مؤلفاته فيض الجليل شرح مختصر خليل في أربعة مجلدات، وفتاواه. وترجم له ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 225، وولد اباه : La littérature, p. 133-158، وفيه دراسة جيدة لمنهجه الفقهي.

(5) الطالب البشير بن الحاج الهادي الإيديلبي (ت 1179هـ) كبير فقهاء ولاته في عصره، ترجم له البرتلي : فتح الشكور، ص 78-81 وقال : «شيخنا عالم بلاد التكرور وفقيهها ومدرسها ومفتيها بلا مدافع»، إلى ثناء كثير، وترجم له ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 222.

عيسى[1]، عن الحاج عثمان المجاور[2]، عن سيدي محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي[3]، عن ابن الأعمش العلوي بالسند المتقدم.

وأما وادان[4] فهي مدينة سكنى سيدي أحمد أيد القاسم وجميع من نشر الفقه فيه يرجع بسنده إليه، وهو أصل الأسانيد المتقدمة.

وأما البوادي من السهوة[5] إلى الرقيبة[6] فقد انتشر في نواحيها عن تدريس الفقيه الطالب أحمد بن محمد راره التنوا جيوي[7]، عن سيدي المختار بن الطالب سيدي أحمد الغلاوي[8]، عن السيد بن الشريف حمى الله، وسيدي الحسن ابن الطالب أحمد

---

(1) الحاج أبو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي (1075-1146هـ) الملقب بمالك الصغير، من أبرز مشائخ ولاته في عصره، ترجم له البرتلي (فتح الشكور، بيروت، ص 75، وترجمته ساقطة من تونس)، وأثنى عليه، وذكر سنده موافقاً لما عند المؤلف وقال: «أخذ عنه خلق كثير وانتفعوا به كشيخنا الطالب الأمين بن الحبيب الحرشي والفقيه محمد بن علي الولاتي والفقيه القاضي سنبير بن القاضي سيد الوافي الأوراني... وحج في 1121، وصحب في سفره هذا الحاج سيدي أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي... وأخذ عنه الورد...».

(2) الحاج عثمان المجاور بن محمد بن الطالب الوافي الغلاوي (المتوفى في المدينة المنورة سنة 1121هـ) ترجم له البرتلي (فتح الشكور، بيروت، ص 191، وترجمته ساقطة من تونس) وذكر أنه حج ثلاث مرات، وأخذ عن ابن الهاشم وعنه الحاج أبو بكر وترجم له ابن حامد: الحياة الثقافية، ص 218.

(3) محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي الولاتي (ت 1098هـ): كبير فقهاء ولاته في القرن الحادي عشر ومن أبرز تلاميذ ابن الأعمش «عليه مدار الفتيا في زمنه» (البرتلي: فتح الشكور، بيروت، ص 115، تونس، ص 49) له فتاوى مجموعة تعرف بالأجوبة الهاشمية. ترجم له البرتلي: فتح الشكور، بيروت، ص 114-115، تونس، ص 49، وابن حامد: الحياة الثقافية، ص 208، وولد عبد الله: الحياة الفكرية، ص 197.

(4) وادان: مدينة من منطقة آدرار في بلاد شنقيط، مركز تجاري وعلمي قديم يعزى تأسيسها إلى الحاج عثمان، أحد تلاميذ القاضي عياض (ت 544)، وإليها ينتمي أقدم المعروفين من المؤلفين والمدرسين في بلاد شنقيط، كأبد القاسم والفازازي ومحمد بن أبي بكر صاحب موهوب الجليل في شرح الخليل، أول مؤلف شنقيطي معروف، ثلاثتهم من إيدو الحاج. راجع الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج 2، ص 116، والشنقيطي: الوسيط، ص 433، وابن حامد: الحياة الثقافية، ص 198-199.

(5) السهوة: تطلق على عدة مناطق في بلاد شنقيط والظاهر أن المعني بها هنا المنطقة التي تمتد شمال تيشيت إلى أفله وأكثرها اليوم في ولاية الحوض الغربي الموريتانية.

(6) الرقيبه: منطقة في الجنوب الشرقي من بلاد شنقيط تحدها شمالاً تكانت وغرباً أفطوط وجنوباً كيديماغه وشرقاً أفله، وأكثرها اليوم في ولاية العصابه الموريتانية.

(7) الطالب أحمد بن محمد راره التنوا جيوي (ت 1210هـ): من أبرز علماء بلاد شنقيط المؤلفين المدرسين في أواخر القرن 12هـ وأول 13هـ، ترجم له البرتلي (بيروت، ص 59، تونس، ص 27) وأثنى عليه، وترجم له المحجوبي: منح الرب الغفور، ص 19، وابن حامد: الحياة الثقافية، ص 296، والنحوي: بلاد شنقيط، ص 519.

(8) سيدي المختار بن الطالب سيد أحمد الغلاوي (ت 1205هـ): شيخ ابن محد راره، ترجم له البرتلي (بيروت، ص 138، وترجمته ساقطة من تونس) وقال: «قدم تيشيت وقرأ بها مختصر الشيخ خليل على الشريف محمد نالله بن أحمد بن الإمام، إلى أن بلغ نصف ربع الإجازة (كذا والصواب الإجارة) ثم قدم لولاته فأقه على شيخنا سيدي الحسن بن الطالب أحمد البرتلي»، وهو موافق لما عند المؤلف هنا، وزاد «يقول الشعر ويحسنه» وترجم له ابن حامد: الحياة الثقافية، ص 210 وقال «الفقيه اللغوي النحوي الشاعر المؤلف».

البرتلي[1] فالأول تقدم سنده، والثاني عن الحاج أبي بكر بن عيسى الغلاوي، عن الحاج عثمان المجاور بالمتقدم.

وسيدي أحمد أيد القاسم الذي انتهت إليه الأسانيد أخذ عن سيدي أحمد الفازازي الحاجي[2] عن أبي العباس أحمد المسك[3] والد سيدي أحمد بابا التنبكتي[4]، عن الحطاب شارح المختصر[5]، عن والده محمد بن عبد الرحمن الحطاب[6]، عن ابن عبد السلام المعروف بالعلمي[7]، عن البساطي[8]، عن بهرام[9]، عن الشيخ خليل، عن المنوفي[10] عن ابن القويع[11]، عن محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس[12]، عن ابن

---

(1) سيدي الحسن بن الطالب أحمد البرتلي (1128-1173) ترجم له البرتلي (بيروت، ص 91-93)، وترجمته ساقطة من تونس)، وأثنى عليه كثيراً ونقل في ذلك كلاماً طويلاً لتلميذه سيدي المختار بن الطالب سيدي أحمد الغلاوي، وترجم له ابن حامد : الحياة الثقافية، ص 217.

(2) سيدي أحمد الفازازي الحاجي الوادائي : شيخ أيد القاسم والواسطة في السند بين وادان وتنبكتو، لم نقف على تاريخ وفاته، وإن كان من الواضح أنه قد عاش في النصف الثاني من القرن 10هـ، وقد ترجم له البرتلي : فتح الشكور، بيروت، ص 40، وتونس، ص 16، وابن حامد : الحياة الثقافية، ص 199.

(3) أحمد المسك : بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الماسني التنبكتي (929-991)، والد أحمد بابا، راجع التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 141.

(4) أحمد بابا التنبكتي (963-1036) : ابن السابق، أشهر علماء السودان الغربي، ترجمته منتشرة في مواطن كثيرة، راجع مقدمة محققي كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج".

(5) الحطاب شارح المختصر : محمد بن محمد بن عبد الرحمن (902-954 أو 953) اشتهر بكتابه "مواهب الجليل شرح مختصر خليل". ترجمته في القرافي : توشيح الديباج، ص 229، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص592، ابن القاضي : درة الحجال، ج 2، ص 189، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 270.

(6) محمد بن عبد الرحمن الحطاب : والد السابق وشيخه (861-945هـ) نزيل مكة وأصله من طرابلس الغرب. ترجمته في القرافي : توشيح الديباج، ص 207، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 588، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 269.

(7) ابن عبد السلام العلمي : يحيى بن أحمد بن عبد السلام (ت 888هـ) المصري، نزيل مكة، ترجمته في القرافي : توشيح الديباج، ص 262، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 636، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 256.

(8) البساطي : يوسف بن خالد بن نعيم الطائي المصري (741-829) تلميذ الشيخ خليل، وشارح مختصره، ترجمته في السخاوي : الضوء اللامع، ج 10، ص 312، والقرافي : توشيح الديباج، ص 259، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 628، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 241.

(9) بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري المصري (ت 805هـ)، تلميذ الشيخ خليل، وشارح مختصره، ترجمته في السخاوي : الضوء اللامع، ج 3، ص 19، والقرافي : توشيح الديباج، ص 83، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 147، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 139.

(10) المنوفي عبد الله بن محمد بن سليمان (686-749) المصري شيخ خليل صاحب المختصر. راجع التنبكتي : نيل الابتهاج، ص 219، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 205.

(11) ابن القويع محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف القرشي الهاشمي التونسي الأصل، نزيل القاهرة (664-738)، ترجمته في ابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 323، وابن حجر : الدرر الكامنة، ج 4، ص 181، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص 266، والقرافي : توشيح الديباج، ص 248، والتنبكتي : نيل الابتهاج، ص 387، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 208 (وفيه عرف بالقويبع).

(12) محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس : لم نقف على ترجمته في مصادرنا، ومع أن ابن حجر (الدرر الكامنة، ج 4، ص 181) عده من شيوخ ابن القويع، وكذلك التنبكتي (نيل الابتهاج، ج 1، ص 887 نقلاً عن الصفدي في الوافي بالوفيات)، وفي هذا المستوى من السند إعضال. راجع مقدمة التحقيق، ص 23.

فرج مولى ابن الطلاع[1]، عن مكي بن محمد القيسي[2]، عن ابن أبي زيد القيرواني[3]، عن ابن اللباد[4]، عن يحيى بن عمر الإفريقي البلوي[5]، عن سحنون[6] وابن حبيب[7] عن أصبغ[8]، وسحنون وأصبغ عن ابن القاسم[9]، عن مالك[10]، عن ربيعة بن أبي عبد

---

(1) ابن فرج مولى بن الطلاع : أبو عبد الله محمد بن فرج (404-497) أخذ عن مكي وابن القطان وغيرهما وعنه ابن رشد وابن الحاج وغيرهما، ترجمته في عياض : ترتيب المدارك، ج 8، ص 180، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 242.

(2) مكي بن محمد أبي طالب القيسي (355-437) الفقيه القارئ الكبير، ترجمته في عياض : ترتيب المدارك، ج 8، ص 13، وابن بشكوال : الصلة، ج 2، ص 631، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 5، ص 247، وياقوت : معجم الأدباء، ج 6، ص 2712، والذهبي : معرفة القراء، ج 1، ص 394، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 342، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 309، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص 298، ومخلوف : شجرة النور، ص 107.

(3) ابن أبي زيد القيرواني : أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفزي القيرواني (310-386) الفقيه المشهور صاحب الرسالة، راجع مثلاً : القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 6، ص 215، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 1، ص 427، ومخلوف : شجرة النور الزكية، وعبد الوهاب : كتاب العمر، ج 2، ص 643.

(4) ابن اللباد : محمد بن محمد بن وشاح القيرواني أبو بكر (250-333)، أخذ عن تلاميذ سحنون كيحيى بن عمر وحمديس القطان، وعنه ابن أبي زيد وابن حارث الخشني وغيرهما، راجع مثلاً القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 5، ص 286، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 196، ومخلوف : شجرة النور، ص 84، وعبد الوهاب : كتاب العمر، ج 2، ص 629.

(5) يحيى بن عمر بن يوسف الكناني أبو زكرياء الأندلسي الأصل الإفريقي الدار (ت 289هـ)، تلميذ سحنون القائم مقامه من بعده، راجع مثلاً القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 4، ص 357، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 354، ومخلوف : شجرة النور، ص 73، وعبد الوهاب : كتاب العمر، ج 2، ص 609.

(6) سحنون : عبد السلام بن سعيد بن حبيب القيرواني أبو سعيد (160-240هـ) شيخ المذهب المالكي ومؤلف المدونة، ترجمته في القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 4، ص 45، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 30، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 69 وعبد الوهاب : كتاب العمر، ج 2، ص 585.

(7) ابن حبيب : عبد الملك السلمي القرطبي (ت 238 أو 239هـ) من كبار علماء المذهب المالكي بالأندلس، ترجمته في عياض : ترتيب المدارك، ج 4، ص 122، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 2، ص 8، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 537، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص 312.

(8) أصبغ بن الفرج المصري (ت 225) الفقيه المالكي الكبير، ترجمته في عياض : ترتيب المدارك، ج 4، ص 17، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 1، ص 299، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 77.

(9) ابن القاسم : عبد الرحمن العتقي المصري (ت 191) أبرز تلاميذ الإمام مالك، ترجمته في عياض : ترتيب المدارك، ج 3، ص 244، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 356، وابن فرحون : الديباج المذهب، ج 1، ص 465، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 58.

(10) مالك بن أنس الأصبحي (93-179 هـ) عالم المدينة وإمام المذهب. راجع مثلاً القاضي عياض : ترتيب المدارك، ج 1 و2، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 207 ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 54.

الرحمن[1]، ونافع[2]. الأول عن أنس[3]، والثاني عن ابن عمر[4]، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [بسيط]

هَذى[1] الجواهرُ لا ما صيغ من ذهب هذى لآلي بها تستشرفُ الكتُبُ
حقيقةٌ[2] إن بدت في الطِّرسِ ساطعةً ألا يُقـاومـها درٌّ ولا ذهـبُ

وعرف متع الله به بأئمة هذا السند في الفصل الثاني من الباب الخامس من الكتاب المذكور نفعنا الله تعالى به.

وتحرير الأحكام بتنقيح المقالة، في حكم المكتسب من الأموال تحت الإيالة[3]، وهو حسن في بابه جدا.

والإصابة، في وجوب قتل أهل الحرابة

والعصا، لذب من عصى : وهذه العصا أقيمت لمن عصى في قضية حكم فيها فتصدر بعض المتطفلين على موائد القضاء، فنقض حكمه فيها بمجرد التعصب للأهواء.

ومن كلامه في أثنائه :

«فهجم مصحح المنقوض، وكتب نقضا أي مرفوض، وبه خرج في تزكيته لخله[4] ونفسه عن حد الاستواء، أنف في السماء راست في الماء[5]، والسلف مردود، وصاحبه مودود، ولكن الله يزكي من يشاء. [كامل]

وبقيتُ في خلفٍ يزكي بعضهم بعضا ليدفع مُعْوِرٌ عَنْ معور[5]

---

(1) ربيعة بن عبد الرحمن : المعروف بربيعة الرأي (ت 136) التابعي الجليل، ترجمته في الذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 157، ومخلوف : شجرة النور، ج 1، ص 46.

(2) نافع : أبو عبد الله مولى ابن عمر وشيخ الإمام مالك التابعي الجليل (ت 117هـ)، ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 460، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 99.

(3) أنس بن مالك بن النضر : الأنصاري الخزرجي النجاري (ت 91 أو 92 أو 93هـ)، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد أجلاء الصحابة، ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 308، وفي ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 1، ص 109، وابن الأثير : أسد الغابة، ج 1، ص 127، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 44، وابن حجر : الإصابة، ج 1، ص 71.

(4) ابن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن القرشي العدوي (ت 73هـ)، من أجلاء الصحابة وعلمائهم، ترجمته في ابن عبد البر : الاستيعاب، ج 3، ص 952، وابن الأثير : أسد الغابة، ج 3، ص 227، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 37، وابن حجر : الإصابة، ج 4، ص 107.

(١) لجامعه

(٢) حقيقة : جديرة.

(٣) الإيالة : الكنف.

(٤) خله : خليله.

(٥) مثل يضرب لمن يدعي لنفسه المزايا وهو خال منها.

(5) البيت كثير الورود مختلف في قائله : فقد عزاه ابن عبد البر (بهجة المجالس، ج 2، ص 801) إلى عبد الله بن المبارك، وعزاه الآمدي (المؤتلف والمختلف، ص 209) إلى الحكم بن عبدل الأسدي وعزاه ياقوت (معجم الأدباء، ج 4، ص 1472) إلى أبي الأسود الدؤلي.

وسلح[1] فيه سلح صاحبه في المكتوب الأول، وسلك في ترك التطبيق ما سلك من السبل، فالكتاب أشبه بالكتاب، من الغراب بالغراب، فالمذرب[2] كالمذرب، والمشرب كالمشرب، والخاطر كالخاطر، والحافر على الحافر، فكانا فرسي رهان، ورضيعي لبان، وتديي شراب، وحنشي تراب، ومولودي ليلة، وتوأمي ميلة[1]، وأتى فيه بما يضره، ونهي عن السرقة فجاء بهودج يجره[3]، ولله در القائل[4] : [طويل]

عجبت لإزراء[5] العييِّ بنفسه وصمت الذي قد كان بالعلم أعلمَا

وفي الصمت ستر للغبيِّ[6] وإنَّمَا صحيفة لبِّ[7] المرء أن يتكلما[2]

وكان من جملة عوادي[8] الزمن، وتوالي المحن، أن وليت خطة[9] القضاء، بسابق القدر والقضاء، في زمان تعطلت مشاهد العلم فيه ومعاهده، وسدت فيه موارده، وأشفت[10] فيه شموس الفضائل على الأفول[11]، واستوطن الأفاضل فيه زوايا[12] الخمول[13]، في بلد الله المستعان على أهله، تصدر فيه الجهال للتدريس، واعتسفوا[14] مفاوزه[15] على نية التلبيس، وخاضوا لجج الحكم والفتوى من غير دليل، فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، يدعون معرفة خليل، وما شموا له رائحة منديل، وحاشاه أن

---

(١) سلح : تغوط

(٢) المذرب : اللسان.

(١) ميلة : لحظة.

(٣) نهي عن السرقة فجاء بهودج يجره : مثل حساني.

(٤) القائل : هو الأحنف بن قيس أو ابن رشيق.

(٥) إزراء : إدخاله العيب على نفسه.

(٦) الغبي : الأحمق.

(٧) لب : عقل.

(2) البيتان في الجاحظ : البيان والتبيين، ج ١، ص 220، غير معزوين وكذلك في ابن عبد البر : نزهة المجالس، ج ١، ص 62، والخطيب : تاريخ بغداد، ج 14، ص 248، وعزاهما ابن منظور (لسان العرب، مادة خطف، ج 9، ص 77) وياقوت (معجم الأدباء، ج ١، ص 29) إلى الخطفى جد جرير، والبحتري (الحماسة، ص 367) إلى مالك بن سلمة العبسي وابن عبد ربه (العقد الفريد، ج 2، ص 266) إلى الحسن بن جعفر.

(٨) عوادي : جمع عادية : الأمر العظيم.

(٩) الخطة : بالضم الأمر.

(١٠) أشفت : ذهبت وماتت.

(١١) الأفول : الغروب.

(١٢) زوايا : جمع زاوية المسكن.

(١٣) الخمول : ضد الظهور.

(١٤) اعتسفوا : اعتمدوا قطع.

(١٥) مفاوزه : جمع مفازة : الأرض الخالية.

يكون كما عرفوا، أو يغرف متعاطوه مما غرفوا، ينفرون الطلبة عما سواه، ويقصرون العمل بمضمونه عما عداه، حمية لأرض وطؤوها، وأنفة[1] عن أرض لم يطؤوها، يحسبون من جمود القرائح ألا نص إلا منه، بل خفي عنهم وجه الفرق من النص والتأويل فصرفوا عنه، وفيهم من له شروح، كالقروح[2]، أدهى[3] على النصوص، من اللصوص، وطرر، كالشرر[4]، أشد على النص، من داء المص، وفسر بعضهم "سداد من عوز"، في قول صاحب رجز[1]، بموافقة وعوج عن طريق الهدى، وأنى[5] يجتمع هدى وعوج في مدى[6] ؟ وله على وسيلة السعادة[2]، شرح كالأحاديث المعادة، تجرأ على شرحها بعدما كف عنه فحول المتكلمين، وحقه أن يغسل بماء سبعة أبحر مع تراب سبع أرضين، وشرح الشفا[3]، بإشفى[7]، ودرس في التفسير، بتكسير".

قال : «وبالجملة فقد عم الجهل، وأرزمت[8] الفصلان[9] وسكت البزل[10]، تدارك الله الإسلام بإمام» انتهى المراد من كلامه.

ونور القلب والعين، في جواز بيع الغائب بالدين، ومقمعة المتعصبين، على أن ذلك نسيئة للطرفين، وأن فيه شغل ذمتين.

وهذا الكتاب من آخر ما ألف وقضيته من أعظم القضايا، ولذلك أظهر فيه من دقيق العلم ما كان في الخبايا.

وهداية الغاوي بما للخصم من الدعاوي.

وتقرير الأشواط المسمعة، لحقيقة مضمن المقمعة[11] وهو كالمختصر المقمعة المتقدمة.

---

(١) أنفة : ارتفاع وتكبر.

(٢) القروح : الجراحات.

(٣) أدهى : أشد.

(٤) الشرر : التطاير.

(1) لعله يعني قول صاحب قرة الأبصار : فرمت أن أجمع في هذا الرجز من ذاك ما فيه سداد من عوز

(٥) أنى : كيف.

(٦) مدى : محل.

(2) وسيلة السعادة فيما تضمنته كلمة الشهادة : منظومة طويلة في علم الكلام للمختار بن بونا الجكني، راجع ترجمته في الهامش ص 102.

(3) لعله يعني كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض اليحصبي السبتي.

(٧) إشفى : آلة الخرق.

(٨) أرزمت : صوتت.

(٩) جمع فصيل الحوار.

(١٠) البزل : النوق العتاق.

(١١) المقمعة : العصا.

وهذه التآليف الثلاثة في منوال واحد، واختصار سببها أنه وفقه الله تعالى حكم في قضية، فتمكن المحكوم عليه من كتاب الحكم فنقده بنفسه وجاء به إلى بعض الطلبة فنقده أيضا، ثم استوقع العلماء على النقدين فكتبوا عليهما التصحيح، الذي هو شبه الريح.

ومن كلامه رضي الله عنه في أول المقمعة :

«كان من قضاء الله أن حكمنا في العام الماضي، في قضية وقع فيها بعد الحكم تسليم وتراضي[1]، ثم بلغنا أن بعض المتسمين بالعلم، قد اطلع على خلل في ذلك الحكم، وكتب فيه مكتوبا بين فيه وجه الخلل، فظننا أنه من الثواب المعجل، وفرحنا فرح فقير استغنى، فادخر من بعد عوز[1] وأقنى[2]، إذ لا أشهى من دراية بعد عماية، ولا ألذ من هداية غب[3] غواية، ولما وصلنا اتخذناه قائدا مبجلا، وأنزلناه منا منزلة المرشد حياء وخجلا، ثم لما تصفحناه، ووجدنا ما وجدناه، تتبعنا مواقع السقي موقعا موقعا، وتحرينا مواضع الرعي فيه موضعا موضعا، وكلما تبين لنا خلله في الظاهر، رجونا الفلج من الجانب الآخر، حتى طال أمد الانتظار، وعز وجه الاصطبار[4]، وإذا نحن لم نحصل منه على طائل من الأنظار، فصرح المحك عنه بمهمل نقد[2]، وعبر المعيار منه إلى منحل عقد، اتخذه صاحبه مطية وطية[5]، ولبانة[6] غير بطية، فوددنا أن لو جعل خبيئة من المخبوات، وعثرة مقالة من العثرات، فلم يك إلا ريشما[7] يقع الاتفاق، ويتبين وجه المساق، فإذا هو عبرة انتشرت في الآفاق، ضلت السبيل، وأضلت القبيل إلا القليل، فلم يسعنا السكوت عنه سواد ليلة، خوف أن يعتاد منتحله في المستقبل مثله، فيرشق في نحور أحكام الله نبله، ويطلق لسانه فيما شيد من الأحكام قبله، وفي الحديث ما معناه : «لا يقبل الله من عالم سكت عن بدعة ظهرت في وقته فرضه ولا نفله»[3]، أو تعتقد العامة إصابته إذا لم

---

(1) كذا بالأصل، ولعلها "التسليم والتراضي" ليجتمع السجع والإعراب.

(1) عوز : فقر.

(2) أقنى : ادخر.

(3) غب : بعد.

(4) الاصطبار : الصبر.

(2) مهمل نقد : رديئه وزائفه.

(5) وطية : سهلة لينة.

(6) لبانة : حاجة.

(7) ريثما : قدر.

(3) لعل أصله الحديث الذي أخرجه ابن عساكر عن معاذ ولفظه : «إذا أظهرت البدع ولعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فلينشره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد»، وسنده ضعيف، راجع المناوي : فيض القدير، ج 1، ص 401.

يوجد له نكير، ويقولون لو كان فيه خلل لما سكت عنه فلان الشهير وفلان الشهير. وفي الحديث «احذروا زلة العالم»[1] وعللوه بأنه يضل بزلته خلق كثير.

وقد قال الشاعر :

[كامل]

إن الفقيه إذا غَوى وأطاعهُ قومٌ غووا معه فضاع وضَيَّعَا
مثل السفينة إن هَوت في لجة تَغرقْ ويغرقْ كل من فيها معَا[2]

أو يأخذ ظاهره بمجامع قلب من لا يعرف مقصد صاحبه، لحسن اعتقاد منه في جالب مطالبه، وربما استصوبه رماية في عماية[1]، ويجيبه إجابة صدى[2] الجبل غواية في هداية، كما يلغني عن بعض طلبة التمر الواردين أيام الجذاذ على كنوال[3]، ما بين طالب ثواب وطالب نوال، من تساقطهم على هذا المكتوب الذي هو كالسراب، تساقط الذباب على الطعام والشراب، وتصحيحهم لما استظهر به هذا الناقد، وجعلهم التوقيع عليه أهنأ المراقد، بعدما ملأوا من التمر أوعيتهم، وبلغوا من الشبع بغيتهم، بيد أن عذرهم في الدنيا مقبول عند كل ذي فطنة، لما قيل إن الفطنة تذهبها البطنة[3]، وأما في الآخرة فقد ردوا أيديهم في أفواههم في السكون والحركة، بإقدامهم على المتالف المهلكة، وإجابتهم لدعوة نزال في هذه المعركة[4]، فيا عجبا ممن إذا دعيت نزال القتال، أحجم عن منازلة النزال[5]، وضن بالقتال[6] عن النصال، خشية الداء العضال[7] وإذا دعيت نزال التوقيع على الأحكام، جاد بنفسه تراميا بخطرات الأوهام، في تصحيح أضغاث[8] الأحلام، قبل إعمال الفكر في الصحيح من الأفهام، فكان سؤال التوقيع من سائله كالتبرك، وإجابة

---

(1) لعل أصله الحديث الذي أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة بسند ضعيف، ولفظه : «احذروا زلة العالم فإن زلته تكبه في النار»، راجع المناوي : فيض القدير، ج 1، ص 187، وأخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي في السنن عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده بسند ضعيف ولفظه : «اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته»، راجع المناوي : فيض القدير، ج 1، ص 140.

(2) لم نعرف قائلهما.

(١) عماية : ضلالة.

(٢) صدى : صوت.

(3) كنوال : ضاحية من ضواحي أطار، عاصمة منطقة آدرار، وهي شهيرة بنخيلها. قال ابن الطلبة اليعقوبي (ت 1272/1856) يصف الظعائن : يوم ولت كأنها حين جدت باسقات النخيل من كنوال

(٣) البطنة : ملء البطن.

(٤) المعركة : محل تعارك الأبطال في الحرب.

(٥) النزال : جمع نازل للحرب.

(٦) القتال : النفس.

(٧) العضال : العظيم.

(٨) أضغاث : أخلاط.

المسؤول له كالتورك في التحرك، وتوقيع الأحكام حجارة وما أخطأك منها خير مما أصابك، وسيود مسؤولك عند الخروج من العهدة غدا لو لم يكن أجابك».

انتهى المراد من كلامه، ولقد نثر في المقدمة والخاتمة در صميم العربية من فيه، بنسج الكلام وترصيفه[1] ما النفوس تشتهيه.

وله من الفتاوي والأحكام، ما تكاد تقصر عن تعداده الأقلام، وإذا فسح الله تعالى بمنه وكرمه في الأيام، وفتح بفتحه التام، نصرف الهمة إلى جمع هذه الفتاوي في مجلد أو مجلدين إن شاء الله تعالى ونرجو منه تعالى التوفيق لذلك.

وفي فن النحو المصباح وهو نظم جيد رجزي نظم فيه أدوات المغني لابن هشام[1] وشرحه فيض الفتاح وهو نفيس جدا في جزء، من طالعه علم مكانته في العربية.

وشرح الجرومية[2] نفيس جدا جمع فيه مضمن غالب ألفية ابن مالك وزاد عليها بأحسن سبك على ألطف عبارة وحسن نظام، أملاه على بعض تلاميذه فقيده عنه ثم رآه بعد ذلك فزاد فيه قليلا.

ومقدمة على نمط الجرومية مفيدة جدا،

ونظما في النحو مفيدا زاد فيه على المختصرات على سبك عجيب وأسلوب غريب مختصرا غاية الإختصار.

وله من التآليف غير ما تقدم :

نظم حظوظ العبد من أسماء الله تعالى،

ونظم التوسل بها،

واختصر خميس الدياربكري[3]،

وله نظم في علم الجداول

وآخر في المحذوف من ألفات القرآن، أعطاه لغيره.

---

(١) ترصيفه : ترتيبه.

(1) ابن هشام : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري المصري (708-761) النحوي المشهور صاحب مغني اللبيب وغيره، ترجمته في ابن حجر : الدرر الكامنة، ج 2، ص 308، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص 48.

(2) الجرومية : المقدمة المشهورة في النحو المنسوبة إلى مؤلفها أبي عبد الله محمد بن آجروم الصنهاجي (672-723) ترجمته في السيوطي : بغية الوعاة، ج ١، ص 238، ابن القاضي : درة الحجال، ج 2، ص 109، مخلوف : شجرة النور، ج ١، ص 217.

(3) خميس الدياربكري : هو تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، لمؤلفه الحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري، نزيل مكة المتوفى بها في حدود 960هـ، ترجمته في حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ١، ص 725.

وأما الفوائد المتفرقة المنظومة من مواضع شتى فمما لا يحصر، فمنها قوله رضي الله عنه :

أخفى على الخلق الصلاة الوسطى ... وموجبا من المعاصي السخْطا
وساعة الجمعة في الساعات ... وموجب الرضى من الطاعات
وليلة القدر والاسم الأعظما ... ومن تولى أمره رب السَّمَا
لكي يُحافَظَ على الكل ولاَ ... يحقر شيئا جل ذكرا وعَلاَ

وله رضي الله عنه في آداب الدعاء الباطنة كما وجدت بخطه :

سل كسؤال العبد فضل سيدهْ ... من ملكوت كل شيء بيدهْ
وتَاجِ قصداً مظهرا ألا غنى ... عن فضله لك بحال كائنا
في ذَا مع اختياره فحسبُ لاَ ... مع اختيارك وخف إن عجَّلاَ
فطلب العلة معلولٌ فلا ... تَرْمُهُ فالمقدور لن يبدَّلا
واعلم بأن مطلق الإجابة ... حاصلة لكل ذي إنابَة
يأبى سواها الأمر مع وعد الحَكَمْ ... في قوله «ادعونيَ أستجبْ لكمْ»
والله لا يُخلفُ وعده ومن ... أوفى من الله بوعده إذنْ
وأمرها إليه وهو أعلَمُ ... بما لك الخيرَةُ فيه تُعْلَمُ
فادعُ مفوضًا له مستسلمًا ... له تكن عبدا كريما مسلما
وحاذر أن تجد في نفسك إنْ ... لم يعجل المطلوب ضيقًا مستكنْ

رسائل صاحب الديوان

وأما رسائله البدائع، وإنشاآته الروائع، فبابها من أعظم الأبواب، يقصر من دون جمعه إنشاء الكتاب.

رسالة أولى

فمنها رسالة أولها،

«إلى حكم سيماه بالخير مؤذنه، والنفس بصلاحه موقنه، ذي المحامد الشهيرة، والمكارم الكثيرة، والمناقب الخطيرة، فلان، لازالت الكلاءة[1] ترعاه، ويد السلامة تباشر

(١) الكلاءة : الحفظ.

أصله وهيولاه[1]، ما أطرب السامعين ذكر مناقبه، ونعش السائلين كثر مواهبه، ألف آلاف سلام، يقارنه التبجيل والإكرام، ويؤازره الإجلال والإعظام، ينوب عني في أداء شكرانه، ويقوم مقامي في مجازاة إحسانه، ويخاطبه عني إذا وفد محليه، وجلس على بساط الأدب بين يديه.

[طويل]

سأشكر ما أوليت من حسن نعمةٍ ومثلي بشكر المنعمين حَقيقُ[1]

ثم يأخذ في الاعتذار، واستقالة العثار، فلقد قلدتني منة لاتزال لك في عنقي ما دمت حيا، وأوليتني نعمة لا تكون عندي ما عشت نسيا[2] منسيا، ولا أتخذ شكرها ورائي ظهريا، وأراني الله يوما تتوجه فيه إلي رغبة منك في شيء ليتضح ما ذكرنا، ويظهر ما أضمرنا، والسلام، محمد بن محمد الصغير، سامحهم العلي الكبير».

انتهت بجواهرها.

رسالة إلى السلطان مولاي عبد الرحمن

ومنها رسالة طويلة إلى السلطان الأعظم والخليفة المعظم مولاي عبد الرحمن بن مولاي هشام بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل الشريف[2] سلطان المغرب، ومنها :

«إلى الإمام الذي نشر جناح العدل في العالمين، وحمى حمى الملة والدين، الجامع لسيرة أنامت الرعايا في مهاد[3] الأمان، وسيرة تكفلت أياديها بكفّ عوادي الزمان، سلطان البسيطة، وإمام الخليقة، حسنة الزمان، وناصر الإيمان، وجامع كلمة الإسلام، وقامع عبدة الصلبان والأصنام، القائم بالجهاد وفرضه، الصادق عليه السلطان ظل الله في أرضه[3] سيدي ومولاي عبد الرحمن، حقق الله عبوديته، ورحم بدوام عدله خليقته، وجدد

---

(١) هيولاه : وتشدد الياء، القطن، وشبه الأوائل طينة العالم به، وهو في اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل التوحيد الله تعالى أنه موجود بلا كمية ولا كيفية، ولم يقترن به شيء من سمات الحدث، ثم جلب بد الصنعة، واعترضت به الأعراض فحدث منه العالم.

(١) لم نعرف قائله.

(٢) نسيا : الشيء الملقى.

(2) مولاي عبد الرحمن بن هشام، ملك المغرب العلوي، ولد سنة 1204 وبويع سنة 1238 خلفاً لعمه المولى سليمان، وتوفي يوم 29 محرم 1276، ترجمته في الناصري : الاستقصا، ج 7، ص 80، والزركلي : الأعلام، ج 3، ص 341.

(٣) مهاد : أرض.

(3) الحديث «السلطان ظل الله في الأرض». أخرجه ابن النجار عن أبي هريرة والبيهقي في شعب الإيمان والبزار عن ابن عمر والبيهقي في الشعب عن أبي عبيدة بن الجراح وأبي بكرة. وأسانيد الجميع متكلم فيها بالتضعيف (راجع المناوي : فيض القدير، ج 4، ص 142)، وقد جمعها واحتج لبعضها ببعض محمد الحاج الناصر في كتابه "السلطان ظل الله في الأرض حديث شريف".

له في كل مكان وزمان عزة ونصرا، ومسرة وبشرى، وجعل النصر مقرونا بعساكره وأعلامه، والسعد رائد عزمه وقائد اهتمامه، ولا برح ظل لوائه الشريف على الأنام ممدودا، ونظم عقد عدله المنيف[1] بدوام الأيام معقودا، من عبيد تلك الحضرة العلية، وناشر تلك الأوصاف الجلية، المسمي نفسه بعد انقضاء ما يرجع للأمير، من كناية وضمير، مقرا بالتقصير، والعجز عن شكر المنعم به سبحانه، مهديا له روح السلام الأتم وريحانه، قائلا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مادام الفلك وحركاته، ولا أبلغ مما وردت به السنة، من تحية الأنبياء وسلام أهل الجنة، فلذ لكم أعرضت عن الإطناب والتنميق، ومالا طائل تحته من الترقيق»[2].

انتهى المراد منها.

رسالة إلى أگنسوس

ومن رسائله أخرى وجهها لعلامة الزمان، وبهجة الأوان، قيم التجانية في البلاد المراكشية سيدي محمد بن أحمد أگنسوس[1]، وهي تأليف مستقل أولها :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا وآله وصحبه وسلم تسليما

[كامل]

فقف المطيَّ على ديار أحبة ... كانوا الغياثَ من الزمان الأنكد[3]

وإذا مررت فحيِّ حيِّي إنْ هُمُ ... أذنوا إليك أو المنازل تردُدِ

---

(١) المنيف : المرتفع.

(٢) الترقيق : الكناية.

(١) محمد بن أحمد أكنسوس المراكشي (1211-1294هـ) أحد أعلام الحياة الثقافية والسياسية بالمغرب الأقصى خلال القرن 13هـ، الفقيه الصوفي الوزير المؤرخ الشاعر الناثر، من أبرز وجوه التجانيين بالمغرب الأقصى، وأقواهم صلة ببلاد شنقيط والسودان الغربي، صاحب الجيش العرمرم الخماسي والجواب المسكت وغيرهما، راجع الناصري : الاستقصا، ج 1، ص 161، وترجمته في كنون : النبوغ المغربي، ج 1، ص 317، وقال فيه : «انفرد بالرئاسة الأدبية في عصره فلم ينازع فيها وهو خاتمة الأدباء الفحول الذين اشتملت عليهم هذه الدولة في عهدها الأخير، وكتابته عالية النفس، وشعره من السهل الممتنع، هذا مع تضلعه في علوم الشريعة ورسوخ قدمه في كثير من الفنون»، راجع كذلك ترجمته في سكيرج : كشف الحجاب، ص 328، والزركلي : الأعلام، ج 6، ص 19.

(٢) للبوسي.

وأفض[1] غُروب[2] الدمع في عرصاتها[3] واستَنْجِدَنْ[4] غُرَّ الغمائم[5] تُنْجِد

فلعلَّ عبرةَ ساعة تشفي بها أربابَ وجدٍ في الجَنَانِ مخلَّد[1]

تحية لا تباهى، قد بلغت من خالص الود مرقبة[6] لا تضاهى[7]، ومن تباريح[8] الشوق أسناها، ومن مناديح[9] السرور منتهاها، ومن الوضوح نور الشمس وضحاها، ومن الروائح أرج[10] مسكة طاب رياها[11].

[وافر]

بدت قمراً ومالت خوط[12] بَان[13] وفاحت عنبراً ورنت[14] غزالا[2]

تحية فاقت بصدقها أحسن التحايا، وساقت بنموها أشرف المزايا، وعاقت محوطها عن درك الرزايا، وذاقت، برد[15] تسنيمها[16] العروق والحوايا[17]، نشرها[18] ينشر[19] المقبور[20]، وبشرها يبشر المهجور، تفصح عن وفاء الوعد، وتنبئ عن بقاء حسن العهد، وتنطوي بمنشورها موامي[21] البعد، وتنتشر بظهورها مناشير السعد.

---

(١) أفض : أصبب.

(٢) غروب : جمع غرب الدلو.

(٣) عرصاتها : جوانبها ونواحيها.

(٤) استنجدن : اطلب الجدي أو العطاء.

(٥) الغمائم : السحائب.

(1) الأبيات للبوسي وهي في الناصري (طلعة المشتري، ج ١، ص 188)، وفي أول عجز البيت الأخير بالأصل بياض أكملناه من المصدر المذكور.

(٦) مرقبة : مرتبة.

(٧) لا تضاهي : لا تشابه.

(٨) تباريح : توهج وتحرك.

(٩) مناديح : جمع مندوح المتسع.

(١٠) أرج : فوحان الرائحة.

(١١) رياها : نسيمها.

(١٢) خوط : غصن.

(١٣) بان : شجر.

(١٤) رنت : نظرت.

(2) البيت للمتنبي : الديوان، ص 107.

(١٥) برد : عذب.

(١٦) تسنيمها : شراب في الجنة صاف.

(١٧) الحوايا : جمع حوية كغنية استدارة كل شيء كالتجوي وما تحوى أي انضم واجتمع من الأمعاء كالحاوية والحوايا.

(١٨) نشرها : رائحتها.

(١٩) ينشر : يحيي.

(٢٠) المقبور : المجعول في القبر.

(٢١) موامي : جمع موماة الفلاة.

[بسيط]

تحيةٌ عن مداها يقصُر الزمنُ ... يُزري بشمس ضحاه وجهها الحسنُ
يُقام في الود ميزان الإخاء بها ... وتُبتنى من لآليها له المدُنُ
بالله عائذةٌ ألاّ يكون لها ... في سوق أمثالها قدرٌ ولا ثَمَنُ[1]

وسلام يسلم المحلى به من دواعي الهلك، ويعلم المحيا به في ضمنه عالم الملكوت والملك، تأمن بتأمينه السلامى[1]، وتستفيق عند ذكره الهيامى، [طويل]

سلامُ مشُوقٍ ذاق شمس الضحى حسْنا ... كعصماء[2] في تقصار[3] عُطبولة[4] حَسْنَا
يُجدد بَعد البين عهدَ أحبة ... مفرُّهمُ فوق السماكين بل أسْنى
سُقوا من أباريق[5] الصَّفَاء على صفاً ... بماء رحيقٍ[6] ليس طَرْقاً[7] ولا أسْنَا[8]
ليالبهمُ بالشيخ أيام حَنَّةٍ ... وقد سَعدوا من يمن طلعته[9] الحُسْنَى[2]

سلامٌ يلازم مغناكم، ويلازمُ معناه فحواكم[10]، يدوم بدوام الإخاء، بين أهل الإخلاص في المحبة والصفاء، ما استُعْذِبَتْ طُرَفُ الأسانيد، وتجوذبت أطراف الأناشيد، وارتاح مرتاح، وهدر حمام أوناح، وغدا غادٍ أوراح، إلى من مَنَى[11] الله جل علاه له ما يَسُرّه، ونفى عنه ما يَغُرّه، مما لا ينفعه أو يضره، وحمى المانع[12] بطلعته حمى البيضاء لجميع الأمم، وحنا[13] لِهِمَّتِهِ سوابق صِدْقِ الهمم، وأصمى القهار بحده شَرَخَ[14] شباب

---

(1) الأبيات لصاحب الديوان، وسترد ص 226.

(1) السلامى : كسكارى.

(2) عصماء : يتيمة.

(3) تقصار : قلادة.

(4) عطبولة : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق كالعطبل والعطبرل والعطبولة بضمهن والعيطبول كحيزبون والجمع عطابيل والطويلة القد.

(5) أباريق : جمع إبريق، معرب اب ريق وهو معروف.

(6) الرحيق : الخمر أو طيبها أو أفضلها أو الخالص أو الصافي كالرحاق.

(7) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبركت فيه كالطروق.

(8) أسنا : متغيراً.

(9) طلعته : وجهه.

(2) الأبيات لصاحب الديوان، وسترد ص 336، وفي الأخير إشارة إلى قول الشاعر، وهو من شواهد النحو في باب الابتداء : أمر تجع لي مثل أيام حنة ... وأيام ذي قار على الرواجع

(10) فحواكم : النحوة الشهدة، وفحوى الكلام ونحواؤه معناه ومذهبه.

(11) منى : كمتى قدر من عناه الله يمينه قدره أو ابتلاه واختبره.

(12) المانع : الله.

(13) حنا : عطف من حناه حنوا وحنا عطفه فانحنى وتحنى.

(14) شرخ الشباب : أوله.

الشُّبَه، الضاربة بتمويهات السفه، على فرق الحق الجُزَى[1]، وفَلّ[2] بحَدِّه شَبَاة[3] اعتداء من اطَّبَى[4] إلى الباطل أو نزا[5]، وأرهف[6] بفيصله[7] مفلولَ الظُّبَى[8]، من صوارم الحق الذي نَبَا[9]، وكَحَلَ بمرآه مُرَّه[10] جفون الاستبصار، وصقل بذكراه مرآة أفكار الاعتبار، وطوى له فسيحات الخطى، إلى كل برٍّ إليه امتطى، حتى لا يجد الضجر إليه مُخْتَطَى، وأرخى لجنانه في العلم اللدني العنَان، مكرما بالمشاهدة والعيان، حتى يريه المدد، ما تتفق به الطرائق القِدَد[11]، ونشر بقرض مناشير[12] حججه، مناشير[13] الغامض من ساحل بحر العلم ولُجَجه، وأخْسَأ[14] بباهر زجره حليف[15] الاعتدا، وأنسأ[16] له في عمره غاية المدى، مددا لأَصحاب الصراط السوي ومن اهتدى [بسيط]

تَسْمُو العيون إليه كلما انفرجت ... للناس عن وجهه الأبواب والحجبُ

لـه خلائق بيض لا يُغَيِّرُهَا ... صرف الزمان كما لا يصدأ الذهبُ[1]

وقوَّى بديع عباراته، ورصيع إشاراته، ما وهى[17] من عرى الإسلام ووَهَن[18]، وروَّى بشَبِم[19] بشاراته ما ذوى[20] من نضير[21] امتثال الفرائض والسنن،

---

(١) الجزى : جمع جزية.

(٢) فل : ثلم.

(٣) شباة : حدّ في القاموس مادة الشباة، وحد كل شيء والجمع شبى وشبوات.

(٤) اطبى : دعاه، طباه طبوا دعاه كاطباه.

(٥) نزا : وثب.

(٦) أرهف : حدد.

(٧) الفيصل : القضاء بين الحق والباطل كالفصل، وحكم فاصل وفيصل : ماض وحكومة فيصل كذلك.

(٨) الظبي : جمع ظبة حد السيف.

(٩) نبا : كل.

(١٠) مره : جمع مرهاء من مرهت عينه كفرح خلت من الكحل وفسدت اتركه وابيضت حمالية‌ها والنعت مره ومرهاء.

(١١) القدد : جمع قدة الفرقة من الناس هوى كل واحدة على حدة ومنه "كنا طرائق قددا" أي فرقاً مختلفة أهواؤها وقد تقددوا.

(١٢) مناشير : جمع منشار آلة القطع.

(١٣) مناشير : جمع منشور.

(١٤) أخسأ : رد.

(١٥) حليف : صاحب.

(١٦) أنسأ : أطال.

(١) لم نعرف قائلهما.

(١٧) وهى : ضعف.

(١٨) وهن : ضعف.

(١٩) شبم : برد.

(٢٠) ذوى : 132&&.jk

(٢١) نضير : الأخضر.

وَبَكَ[1] بقهره من الباطل كل جمجمة، وأذهب بأزيز[2] أتيِّه[3] من الخُزَعْبَلاَت[4]، كل زَمْزَمَة[5]، وحلَّى بفُرَات سائغ براعته، أُجَاجَ[6] الملح من قيصوم[7] البَذَاء[8] وبراعته[9]، بَرَاعَةٌ تسبي ملكتها النهى[10]، وتستحطُّ[11] من الحُبُك[12] السُّهَى، يدنو لحسن عارضتها الغريب، ويعنو[13] لرقة رويتها المريب، وأدار الله تعالى بهالة[14] متاجر ذلك المركز، دوائر الإقبال والقبول والعزِّ، حتى ينضويَ[15] إلى سوقها القويُّ والضَّاوي[16]، ويتزايد من موائد إحسانها الطاعم والطَاوي[17]، وأَجارَ بجوارِ شرف علاهُ، من استجار بركنه أو والى من والاهُ، وأنار بثاقب ذهنه، مخرجا من ربقة الردى ورهنه، غَيْهَب[18] كلِّ عويص[19] غامض، ودهماءَ[20] كل أمر مشكل عارض، صقيل مرآة الفكر، رطب اللسان بالذكر، مستعمل الجوارح بالشكر، حتى تلوح بأرجاء[21] فهمه أعلام العصمة والتوفيق، ويسمع بسُوحِهَا[22] صرير[23] أقلام اليقين والتحقيق، وأغناه مولاه حتى عن قَضْمَةَ[24] سِوَاكٍ من

---

(١) بك : كسر.

(٢) أزيز : صوت.

(٣) أتيه : السيل.

(٤) الخزعبلات : جمع خزعبل كقذ عمل كالخزعبيل الباطل.

(٥) زمزمة : جماعة.

(٦) أجاج : ملح.

(٧) قيصوم : شجر.

(٨) البذاء : الفحش.

(٩) براعته : القصب.

(١٠) النهى : العقول.

(١١) تستحط : تستنزل.

(١٢) الحبك : السماوات

(١٣) يعنو : يخضع.

(١٤) هالة : دائرة القمر.

(١٥) ينضوي : ينضم.

(١٦) الضاوي : الضعيف.

(١٧) الطاوي : الجائع.

(١٨) غيهب : ظلام.

(١٩) عويص : الغامض.

(٢٠) دهماء : ظلمة.

(٢١) أرجاء : نواحي.

(٢٢) سوحها : جمع ساحة.

(٢٣) صرير : تحريك.

(٢٤) قضمة : قطعة.

أراك، وجعل أوابد[1] الأماني أقربَ إليه من شراكِ[2]، وأسال برؤيته حديدَ القلوب، وأحال بدعوته شريدات النفوس شيِّقَة[3] لعلام الغيوب، وأنهض بذوقه متقاعد الأحوالَ، ورفع بمرهمه[4] معلولَ[5] الأعمال، صاعدة إلى حضرة الجلال، وأثبت بتذكيره لوائح الأنكار، طيبةَ نشر الانتشار، وأقرَّ بتقريره واردات الأنوار، مفصحةً عن حقائق الأسرار، وأنجز بخفقان رشده وعد بوارقها الخُلَّب[6]، وأعانه سديدُ الرأي على هذا الدهر القُلَّب[7]، حتى لا تزعزعُه[8] حوادثُه على أي حال تَقَلَّبَ، فتدر حَلُوبَتُهُ، وتسهل صُعُوبَتُهُ، وتظهر مألوفةً أعجُوبَتُهُ، فإذا قيدَ مستكرها أصحب، وإذا استنتج طائعا أنجب، وأجال في الملكوت بألفته الأرواح، عاملةً بمقتضى الطاعة في الشوق والارتياح، وأمال إليه هَدَنَةً[9] من الخُيُور[10]، ما يكون تناوُشُه[11] من أصعب الأمور، بله[12] ما لم يخطر بالبال، من كمال الرجالَ، محتلاً[13] من كل مكرمة صُهَاهَا[14]، مناط ثُرَيَّاهَا من سمائها وسُهَاها[15]، حتى تتجلى له مخدَّرات[16] الحقائق، بحضرات نفي العلائق والعوائق، حيث لا موطوء لقدم، ولا مذلة للخدم [طويل]

ولم يَكُ إلا مطرقُ الجفن مُصْغِياً ... لما كان أو مبهوت[17] عقل بماهيَهْ

تبدَّت له روح الحقائق وانجلت ... ولم يدْرِ من يدري الحقائقَ مَا هِيَهْ[1]

---

(١) أوابد : شوارد.

(٢) شراك : بالكسر ما بين الأصابع من سيور النعل.

(٣) شيقة : مشتاقة.

(٤) مرهمه : دوائه.

(٥) معلول : ما فيه علة.

(٦) البوارق الخلب : جمع برق والخلب وصف للجمع والمفرد قال في القاموس الخاب السماء لا مطر فيه، والبرق الخلب وبرق الخلب وبرق خاب المطمع المخلف.

(٧) القلب : المضطرب الكثير التقلب.

(٨) تزعزعه : تحركه.

(٩) هدنة : سكينة ووقار.

(١٠) الخيور : جمع خير.

(١١) تناوشه : تجاذبه.

(١٢) بله : بمعنى أجل، أو بمعنى كف ودع، أو اسم لدع أو مصدر من الترك.

(١٣) محتلاً : من الحلول.

(١٤) صهاها : برجها الأعلى.

(١٥) سهاها : نجم.

(١٦) مخدرات : المستورات.

(١٧) مبهوت : حائر.

(١) لم نعرف قائلهما.

سيدي محمد بن أحمد أگنسوس، بني الله به من الدين الصُّروح والأسوس، وإلى من تعلق به من ابن رئيس، وعلق نفيس، شد الله بهم أزر[1] سلفهم، وشيَّد بهم بنيان خلفهم، وجعلهم قرة للأعين، وغرة للأعصر والأزمن، أما بعد [وافر]

فلما لم أجد سببا لوصلي وحال البعدُ بينكُمُ وبَيْني

كتبتُ لكُمْ سواداً في بَياضٍ لأنظركم بشيءٍ مثل عيْني[1]

إذ قد تكون الأسماء في القراطيس[2]، للمسميات الغائبة كحجر المغْنَاطيس[3]، وتسري في الماهية، سريان الماء في الأعواد الواهية[4]، فكانت إذن الأقلام، راحة للأقدام، والقلم أحد اللسانَيْن، كما أن النظر للمكاتيب أحد العيانَيْن، فتعهد المشاهدة، من أسباب دوام المعاهدة، ومن همَّ لمحب في الله بوُصلة، ظفر بأعظم خصلة[5]، فالحمد لله تعالى جل اسمه على ما ألْهَمَ، من المحبة في ذاته تعالى لا عن دينار ولا درهم، وجعل منا مُلْتَقَى الهِمَم، ومُنْتَقَى[6] القيم[7]، بحديقة[8] الأنس، وحظيرة القدس[9]، حضرة سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم ذات المواهب الهنيئة المريئة، التي لم تزل من الحرج والتشديد بريئة، فجعلنا من عامة أمته المرحومة بشهادتَيْ التوحيد، والانسلاخ من ربقات[10] الكفر Zديد، فاستوجبنا بفضله الجَمِّ135136و[11]، ومَنِّه السذي عَمَّ[12]، أن كنا محلا للاستدرار، لحُفَّل[13] لقاح الأنوار، ومظهرا للوائح كنوز الأسرار، كائنين تحت حيطة أسوار[14] الأقدار، تجري علينا حيث كنا في جميع الأطوار، متعرضين لما يرد علينا من منح الوهاب، غير منفكين عما يحكم «لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِه وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»[2].

---

(١) أزر : عضد.

(1) لم نعرف قائلهما، وقد وردا في المقري : نفح الطيب، ج 6، ص 419 في صدر رسالة لسان الدين بن الخطيب.

(٢) القراطيس : الكتب.

(٣) المغنطس والمغناطيس : حجر يجذب الحديد معرب.

(٤) الواهية : الضعيفة.

(٥) خصلة : نصيب.

(٦) منتقى : مختار.

(٧) القيم : جمع قيمة.

(٨) حديقة : جنة.

(٩) القدس : التطهير.

(١٠) ربقات : جمع ربقة.

(١١) الجم : الكثير.

(١٢) عم : كثر.

(١٣) حفل : جمع حافل.

(١٤) أسوار : جمع سور.

(2) سورة الرعد، الآية 42.

ثم أكرمنا بالتَّنبُّه لكرامة هذا الشيخ الجليل، وأتحفنا بالميل إليه عن غيره من أهل التبجيل، فجعله بَخْتَنَا[1] من بين أهل الاتِّبَاع، وجعلنا تحته من الطوائف والأتباع، فَخَصَّنَا بخصِّيصَى الاختصَاص، بالصدق في محبته والاختصاص[1]، فيا لها من كرامة ردت الأُبَّاق[2] عن الإباق[3]، وهدت السُّبَّاقَ إلى السَّبَاق[4]، وفدت المطْلِيَّ[5] عن الاسترقاق، الذي يعتاق[6] العتَاق[7]، عن مناديح العتَاق[8]، فأجزلت ثوابه، وأزالت حجابه، وأزاحت طَخَاء[9] البين وأطَارت غرابه، وسقت ظماء[10] القلوب، بماء الغيوب، ووَسَقَت[11] عظائم الذنوب، فطرحتها بمحط الأوزار، وهجمت[12] على ضروب[13] الخطوب[14]، فألقتها في بساط الأمن والاستبشار، فلم تَرُعْ نبأة[15] تساور[16]، كماة الأسرة والأساور، وسقطت على كل فَجْوَة وفُرْجَة من العمر ضائعة، فعمرتها بتنوعات الطاعات منقادة طائعة، فالسعيد من تَنَبَّهَ لها، واستدَرَّ حفْلَهَا[17] وبُهْلَهَا[18]، والطريد من اعتزلها، ونازل عُزُلَهَا[19]، والله المسؤول أن يتم نعمة منه وفضلا، لم يخش منعا ولا عضلا[20]، بدوام الاتباع له والاهتداء، والتشبث[21] بأذياله والاقتداء، معافَيْنَ إلى الممات، بعد طول الحياة،

---

(١) بختنا : حظنا.

(ا) كذا في الأصل، ولعل الصواب "والإخلاص" دفعاً للتكرار.

(٢) الأباق : جمع آبق الفار.

(٣) الإباق مصدر أبق.

(٤) السباق : المسابقة.

(٥) المطلي : بكسر الميم وكالمنهي المحبوس لا يرجى خلاصه.

(٦) يعتاق : يمنع.

(٧) العتاق : جمع عتيق : الحر.

(٨) العتاق : العتق.

(٩) طخاء : وسخ.

(١٠) ظماء : عطشى.

(١١) وسقت : من وسقه جمعه وحمله، ومنه ﴿ والليل وما وسق ﴾.

(١٢) هجمت : أغارت.

(١٣) ضروب : أنواع.

(١٤) الخطوب : الأمور العظام.

(١٥) نبأة : أسد.

(١٦) تساور : تغالب.

(١٧) حفلها : كركع جمع حافل الضرع الكثير اللبن.

(١٨) البهل : جمع باهل الناقة التي لا صرار عليها ولا خطام.

(١٩) عزلها : جمع أعزل من لا سلاح له.

(٢٠) عضلاً : تحجيراً.

(٢١) التشبث : التعلق.

على أكمل الحالات، شيخ الشيوخ شيخنا الأعظم، والقطب الخَتْم، سيدي أبي العباس سيدي أحمد التجاني، غوث الواني[1] وعَوْذ[2] الجاني، شمس الظُلَم الحُلْك[3]، في جو مهاوي المتالف، ومسير مواخر الفُلْك[4]، في لجج لطائف المعارف، الطود الشامخ، ذي الشرف الباذخ، بهجة الأفاضل الكُمَّل، ونزهة الأواخر والأوَّل، و الحائز خصل السبق، الذي لم يدع ذرة منه ولم يُبْقِ.

[الطويل]

محاسنُ أوصاف المغنين جمة وما قصبات السبق إلا لمعبد[5][1]

المحيي رميم ما أماتته من السنة أيدي البدع، ومحت آثاره زعازع[6] المكر والخدع، الساقي منبت هشيم[7] المستويل[8]، من رياض العلم بالسنة والعمل، بمعين[9] مفجر صفا، من بحابح[10] لجج الصفا، فأجرى عليه ما أجرى، حتى كان مجاج الثرى، [خفيف]

نبع الماءُ من تخوم الأراضي وهوى نازلاً بأمْر قدرْ
فالتقى الماء فيقةً[11] بعد أخرى غَدَقاً سلسبيله مُنْهَمِرْ[12]
تصبح الأرض غبَّه[13] وهي شوْهَا[14] كلها مزدهى لكل مَقَرْ
ونجوم سني الأجاديب عنها أفلاً[15] ما لها بها مستقرْ[2]

---

(١) الواني : العاجز والضعيف.

(٢) عوذ : ملجأ.

(٣) الحلك : الشديدة السواد.

(٤) الفلك : السفن.

(٥) البيت لأبي تمام في معبد المغني.

(1) البيت لأبي تمام وهو في ديوانه، ج 2، ص 18، وصدره فيه : "محاسن أصناف المغنين جمة".

(٦) زعازع : نوائب.

(٧) هشيم : متكسر.

(٨) المستويل : المرعى الوخيم.

(٩) معين : صافي.

(١٠) بحابح : جمع بحبوحة معظم الشيء.

(١١) فيقة : دفعة.

(١٢) منهمر : سائل.

(١٣) غبه : بعده بيوم.

(١٤) شوها : محترقة.

(١٥) أفلا : جمع آفلة غائبة.

(2) لم نعرف قائلها.

ورفع منار الدين على قُنَن[1] الشماريخ[2] والربى[3]، بعدما استوطن الأغواط[4] حتى قيل بلغ السيل الزبى[5]، وانقدّ[6] في البطن السلا[7] بالشبّا، فأزاح فيما أشكل منه صدأ[8] الإشكال، ولم يَبْقَ لمتعسف فيه مقال، فتملك زمام الإرث النبوي بلا خلاف، وناداته هواتف الحق بالاستخلاف، [متقارب]

أتته الخلافة منقادة إليه تجرجر أذيالها

فلم تك تصلح إلا لهُ ولم يك يصلح إلا لَهَا[9][1]

فدعا من تَأَبَّى[10]، فلبَّى من كان في سابق العلم مُرَبِّيٌ، وتلافى سُفُنَ الغَلَق، عاصما له من الغَرَق، ومورقا لما كان تَحَاتَّ[11] من دوحة[12] الحقيقة طَبَقًا عن طبق، بعدما كانت في آخر رمَقٍ[13]، ورعى فأقصَبَ[14]، وفا العيش فأخْصَبَ[15]، فاستوسقت[16] من تَيَّار[17] فيضه من الدين مُزُونَ أرباحه، وحدا[18] برعود وُعُودِهَا راعي الجنوب[19] عند تنفُّس صَبَاحِه، فتداعت في أرجاء النَجاح، إلى سبل الفلاح، تداعي البَرْك[20] البُهَّلِ

---

(١) قنن : جمع قنة رأس الجبل.

(٢) الشماريخ : الأغصان.

(٣) الربى : جمع ربوة : المرتفع من الأرض.

(٤) الأغواط : جمع غوط ضد الربوة.

(٥) الزبى : جمع زبية بالضم الرابية لا يعلوها الماء، وهو مثل معروف يضرب في بلوغ الأمر ما لا يطيق الإصلاح معه.

(٦) انقد : انقطع.

(٧) السلا : ما يخرج من المولود.

(٨) صدأ : وسخ.

(٩) وإن رامه أحد غيره ازلزلت الأرض زلزالا

(١) البيتان لأبي العتاهية، وهما في الأصبهاني : الأغاني، ج 4، ص 35.

(١٠) تأبى : أبى.

(١١) تحات : تساقط.

(١٢) دوحة : شجرة.

(١٣) رمق : حياة.

(١٤) أقصب : المكان الذي كثر فيه القصب نبات معروف.

(١٥) أخصب : طاب.

(١٦) استوسقت : امتلأت.

(١٧) تيار : كشداد موج البحر الذي ينضح.

(١٨) حدا : من الحداء.

(١٩) الجنوب : ريح معروفة.

(٢٠) البرك : جماعة الإبل البارکة أو التي تروح كل ليلة.

لفُصلانها بالمُراحِ، واستدارت به دوران الرَّحَى، ما بين شجَنٍ ووَحَى، فانتشر المزن من كل قطر وَجَبَى، مستعدا لما هو بصدده من الحِبَا[1]، مُمدَّة له بنسيمها ريح النصر والصَّبَا، فتألَّق[2] من تلك البروق ما خبا، وجلَّل آفاق الصلاح من سناها نُور[3]، عن خفقانه شهْبُ السنين وعُمْيُ البصائر نُورُ[4]، فوسع غيثُ المراشد والمرابع الأجدابَ والبُراز[5]، وطبَّق البُطْنَانَ[6] والأجراز[7]، فاحدودقت[8] ألأفُهَا، واغْدَوْدَنَتْ[9] مِينَافُهَا، فتفيأت[10] منها الظِّلال، لما توقعت نزوله، وعرفت نضرة النعيم وبهجة السرور، ﴿ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[1]. [كامل]

وكَذَا الكريمُ إذا أقام ببلْدَةٍ سَالَ النُّضَار بها وذاب المَـاء[2].

فَتَوَقَّتْهُ حماليق[11] لم تر الشمس حين شُروقها، وتلقته أضاميم[12] كانت شامت لَمَعَان بُروقها، فكان له استقضاءُ نظر حدقها[13] النُّجل[14] الرواني[15]، واستصغاءُ أفئدتها المفادة أفانين الداني، وبه عَقْدُ منْحَلِّ الْحُبَى[16] من عزائمها المفتوقة بحلم الأماني، وانحلالُ محكم ما بين يديها من أحبل سانية التواني، حتى انفلتت مرتجة مَلأى غير هَنْأى، ما مَسَّهَا مَطْلُ عائق، ولا اقتحمها من واسق، ساني نَظَرَ رائق[3]، مبتزَّة من

---

(١) الحباء : العطاء.

(٢) تألق :

(٣) نور : ضوء.

(٤) نور : نافرة.

(٥) البراز : الفضاء.

(٦) البطنان : ما غمض من الأرض وعلى أبطنة، ومسيل الماء في الغلظ، والجمع بطنان.

(٧) الأجراز : جمع جرز، يقال أرض جرز كغفل وجرز كسفر ومجروزة لا تنبت، أو أكل نباتها أو لم يصبها مطر، ويقال أرض أجراز وأرض جرزة يابسة غليظة يكتنفها رمل أو قاع، قاموس.

(٨) احدودقت : صارت حديقة كأحدقت واحدودقوا أطافوا به.

(٩) اغدودنت : تدلت.

(١٠) تفيأت : تدلت

(1) سورة سبأ، الآية 15.

(2) البيت للمتنبي : الديوان، ص 14 .

(١١) حماليق : جمع حملاق العين.

(١٢) أضاميم : جمع أضمة الجماعة.

(١٣) حدقها : جمع حدقة.

(١٤) النجل : الواسعة الأعين.

(١٥) الرواني : الناظرة.

(١٦) الحبى : جمع حبوة من احتبى اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة.

(3) ساني نظر رائق : أي مرتفعه، ولعله إشارة إلى قول امرئ القيس "نظر عال".

ثيابها الخشنة، مشمئزةً من غير أقبيتها الحسنة، محكمة اللُبْد، على صهوات خيول المجد، نابتة كجلودها في سَرَواتها[1]، ثابتة في جميع حالاتها [كامل]

فَكَأَنَّهَا نتجت قيامًا تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتِهَا[2]

فاتحةً ما أرتج من الفتوحات اللدنية، رابحة ما سامته[3] بظفرها بما رامته من الأمنيَّة، مترعةً أفواهها بساغيتَها[4] السلوانية، فتسلّت عما تعودت من عوائدها النشوانيَّة، وعزفت عن كل مرغوب مشوب، وتخلصت، قائبةً من قوب[5]، فاعجب لسائق وَمَسَاق، لذلك المَسَاق.

فلا أَبَ وابْنًا مثل مروانَ وابنه إذا هو بالحمد ارْتَدى وتأزَّرا[6]

مغترفةً من جداه العميم الفاضل، وهل يخفى الرباب الهاطل، عامدةً منحى مكارمه الغُرِّ، ومآثره الزهر، الفائضة من مشكاة جذوة أنوار، «يَكَادُ زَيْتُهَا يضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَار»[7]. [كامل]

هزَمَتْ مَكارمُه المكارمَ كلَّها حتى كأن المكرمات قَبائلُ

وتضاءلت أنوارُ كلِّ مبجَّلٍ لما بدت أنوارُه تتحامَلُ

أضحى بسيطُ النفع أسبغَ وافرٍ فهو البسيط جداه وهو الكاملُ[8]

فغادر جواحرَ همَمَهَا المستهلكة هَوَادِيَ[9]، وبَادَرَ بَوادرَ خَوَاطرهَا فأصبحت فَوَادرَ بَوَادِيَ[10]، فاستحطت لما أطّت أثقالها[11]، فبرزت حططا مفردة أشغالها[12]، إذ كان طبعها السم، وسمعها الشم، فاستبدلت دِفْلَى[13]، بحَلْوَاءَ تستحلى، وأعارت غَوْرَ سمعها

---

(1) سرواتها : ظهورها.

(2) البيت للمتنبي : الديوان، ص 143.

(3) سامته : طلبته للشراء.

(4) ساغيتها : شربتها اللذيذة.

(5) تخلصت قائبة من قوب : أي بيضة من فرخ، يضرب لمن تخلص من صاحبه.

(6) البيت من شواهد سيبويه : الكتاب، ج 2، ص 285، وعزا صحققه إلى الخزانة أنه من أبيات سيبويه التي لا يعرف لها قائل.

(7) الاقتباس من سورة النور، الآية 35.

(8) البيت الأول للمتنبي : الديوان، ص 139، وفيه "كأن المكرمات قنابل"، وأما الثاني والثالث فلم نعرفهما.

(9) جواحر : المتخلفات من الوحش.

(10) بوادر : جمع بادرة لأول الشهر، فوادر : جمع فادر وهي المنطقة.

(11) أطت : أنت تعبا.

(12) حططاً : جمع حطة وهي ما يحيط من الأوزار.

(13) دفلى : نبت مر.

لمراشدها إلى معارجها، فسمعت دبيب النمل في مدارجها، فسلكت أحسن مخارجها، واستنتجت عقيم نتائجها، فانخرطت في سلك أرباب الإفاقة، إذ خرجت من رَطَمتها[1] نواق ناقة، فلم يبق من تلك الأطمار[2]، نقير ولا قطمار. [كامل]

هذي المنى هذي الأماني فاتَّئِدْ وَتَمَنَّ حتى لا تَحَدَّثَ بالمنَى
حيزَتْ رغائبها على حسب الذي تهواه في الأخرى وفي هذي الدنَى[1]

فألقت من حينها العصا، وأقلعت عن لَتِّ الحصى[2]، فأراحت عيسًا لها البرهان العيسوي شعارا، بإعمال أخفافها المنكوحة لطرقها العذارى[3]. [وافر]

إذا وطئت بأيديها صخوراً يبتن بوطء أرجلها رمالاً[4]

بعد أن جابت الفيح، وأجابت المستريح، وشقَّت عصيَّ الأعداء، بعد هُدُوِّ الأصداء، إلى أن أدركت على الظمإ منتهى مآربها، وأحيت الموتى بإذن ربِّها، سَمْحًا بالأنفس، في رجاء الأنْفَس، لما ماوتته البيد بالظمإ المخرس، ولو ودعت معملها مودعا كما قد تفعل باليد، بعدا عن الأذى بعد احتماله منه أبيدَ. [طويل]

لقد تركتني صَيْدَحي في مَضَلَّة[5]

فأوردته معين حياض مزورة بعدما اشرأبت، عن إساغة راكد مياض أريَّت[3]، ميلا إلى زلال النَّبع، صادرة عنه أول النزح والنزع، لما اسْتُودِعَتْهُ من كرم النفس ورقة الطبع، [طويل]

إذا ما وردن الماء أجناً فإنَّها لها أنف عن شرب كل ضلال
وإمَّا وردن الماء عذبًا على الظما فإن منداهن شد الرِّحَال[6]

فنادى منادي الفلاح، على منار النجاح، بدعوة الجَفَلَى للأشباح والأرواح، ألا فليتَطَفَّلْ الوارش[4] والواغل[5]، وليستنجد المارُّ والدَّاخلُ، فقد تُكُفِّلَ، للمتطفِّل، وحمت

---

(١) رطمتها : الوحلة.
(٢) الأطمار : جمع طمر الثوب البالي.
(1) لم نعرف قائلهما.
(2) لت الحصى : فتته.
(3) المنكوحة : اسم مفعول عن نكح أي أدخل.
(4) البيت للمتنبي : الديوان، ص 109، وفيه يفئن لوطء أرجلها رمالاً.
(5) عجز البيت مطموس في المخطوط، ولم نعرف قائله.
(٣) أريت : أقامت.
(6) البيتان لصاحب الديوان من قصيدة في رثاء سيدي عبد الله الحاج إبراهيم، راجع ص 167.
(٤) الوارش : المدعو.
(٥) الواغل : من لم يدع.

الحمامة الورقاء، واستوت في الاستمداد الصُّنَاعُ والخَرْقَاءُ، فلا تسأل عن فتح تواصل على يديه، لمتأسٍّ به أو من يحوم حوالَيْه، فالخير أقرب إليه من شراك نعْله، مُكَالاً لَهُ لا بحَسْب فعله، بمكيال إدراكه وعقله، مقيَّداً له في تحريره ونقله [كامل]

أمضى إرادتَه فسوفَ له قـدٌ واستقرب الأقصى فثمَّ له هَنَا[1]

فلقد هُيِّئَتْ لمريده الغنائم، وهو نائمٌ، وسوِّغت له صهباء درك النهاية، حسواً في ارتغاء تَوَجُّهَ البداية، فتفجرت قُلُب[2] ينابيع الحكمة من قلبه، ولم تكسَدْ له في سوق النُّماء قُلامة ظفر من جلْبه، وراجت[1] بضاعة أعماله المزجاة المعلولة، كرواج الكاملة المقبولة، فما رمى شيئا إلا أصابه، أي إصابة، [طويل]

كـأنَّ القسيَّ العاصيات تطيعُهُ هَوىً أو بها في غير أنمله زُهْدُ
يكاد يصيب الشيء من غير رميه ويُمْكنه في سهمه المرسل الرَّدُّ[3]

آخذا براحة الراحة والسهولة، ما قصرت عنه كف متكلف الذبولة[2]، وقد يبلغ الحضم بالقضم، ويفضي التهضم للهضم، وتسعى المطالب، لغير طالب [طويل]

وحُقَّ له أن يسبق الناس جالساً ويُدرك ما لم يدركوا غير طالب[4]

ثم إلى تلك البدور والشموس، من أهل تلك الحضرات والدروس، فردا فردا من كافة الإخوان، الذين عمهم العنوان، وشملهم الديوان، من صنوان وغير صنوان، رضوان الله الأتم، وأمانه الأعم، ورحماته المتزايدة، وبركاته المتساندة، وصراته المتواصلة، ومسراته الحاصلة، ومواهبه المتكاثرة، ونفحاته الباطنة والظاهرة، وتحفه الطاهرة، وطرفه الباهرة، ونعمه المعادة، ومننه المفادة، من خصوا باقتراب لثم تراب عظيم الجناب، وسقوا بمشاهدة طلعته و من شاهدها رحيق الشراب، ولاحت لهم من قرب لوائح رسوم الكمال، وفاحت لهم نفحات الإكرام والإجلال. فسبحان من أخرهم بسابق عنايته، عن أزمن كافة من تقدم من أهل ولايته، حتى أبرز هذه الدرة النفيسة من خزائن جوده، فقرن وجودهم بوجوده، فتعاصرت الأشباح، وتناصرت الأرواح، فظنوا أنهم قد فازوا، وضنوا بما حازوا، وإنما يضن بالضنين، وينافس في الثمين، فأكملت لهم المشافهة باقي تسنيم المفجر، وقائم رابح ذلك

---

(1) البيت للمتنبي : الديوان، ص 117.
(2) قلب : جمع قليب.
(1) راجت : نفقت ضد كسدت.
(3) البيتان للمتنبي : الديوان، ص 156.
(2) الذبولة : اللين.
(4) البيت للمتنبي : الديوان، ص 176.

المتجر، فحووا منها ما يقصر عن تعبيره الكلام، وتني عن تدوينه المحابر والأقلام، فتدرعوا بإستبرقها، وتضلعوا من معين غدقها، وتطيبوا من راشح عرقها، [كامل]

فتفوح من طيب الثناء روائحٌ ... لهم بكل مكانةٍ تُستَنْشَقُ

مسكيَّةُ النفحات إلا أنها ... وحشيةٌ بسواهم لا تعبَقُ[1]

واطف الله لأمثالنا من أهل الغيبة والاغتراب، عن لثم قمام تراب الباب، ومشاهدة حباب ذلك العباب، واستماع شهيات السماع، القارعة لأبواب الألباب قبل الأسماع، واستنشاق روائح تلك النفحات، المتضوعة على الملاقي من الصفحات، العامة على جميع الساحات، المرسلة عفوا بأنواع الراحات، ينفجر لها الشَّغاف والدماغ، وليس عليها إلا البلاغ، والمرجو من الله ألا يكون الجار ذو القربى، أوفر حظا من الجار الجنب ولا أربى، فهو الحاضر الذي لا يغيب، والمسؤول الذي قاصده لا يخيب، [منسرح]

يا بَدْرُ يا بحرُ يا غمامةُ يا ... ليثَ الشَّرَى يا حِمَامُ يا رَجُلُ

كتيبةٌ لستَ ربَّهَا نَفَلٌ ... وبلدةٌ لستَ حليَهَا عَطلُ[2]

فلا ينفث المطري إلا نفثة مصدور، ولا يصف المدرك إلا مصة عصفور، من بحر مسجور، وكأن محاول العشور، على فيه المستور[3]، من تلك الحقيقة، رائم ما لا يروم محيط تحقيقه وتدقيقه، فيضرب الذكر صفحا عن تعداد ما بالحديقة، من المحاسن مجازا أو حقيقة، [وافر]

سَبقتَ السابقين فما تُجَارَى ... وجاوزتَ العُلُوَّ فما تُعَالَى

وأعجبُ منك كيف قدرتَ تَنْشَا ... وقد أُعطيت في المهد الكمالا[4]

أما والذي جعل الحقائق خزانتك، والخلائق في الأقوات المعنوية حزانتك[5]، وأطلع في أبراج معراج السعادة مكانتك، وصير مقاليد الخير أمانتك، وقرن في قرن العز والفخر سيادتك ومجادتك، وصاب بسوداء القلوب إفادتك، وجر للمناصب المنصوبة عاملة إضافتك، ورفع لعلي الدرجات بخفض الجناح مخفوضا أم ضيافتك، وجعل بكاف خطاب الوحدة الزمانية خطابك، والباب الأعظم من بواب الوصل بابك، وألهمك باب الشكر فأخذت منه عبابك، ونوديت من قبله اقرأ كتابك، فأجابك المجيب لما أجابك، فأجزل

---

(1) البيتان للمتنبي : الديوان، ص 19-20.

(2) البيتان المتنبي : الديوان، ص 150.

(3) كذا في الأصل، ولم تستقم لنا قراءة هذا التركيب.

(4) البيت المتنبي : الديوان، ص 110.

(5) حزانتك : عيالك.

ثوابك، وأحسن مآبك، وهيأ لك من المواهب غير قلب الحقائق ما استعادك، وجعل من بحر قلب الحقائق سيد الوجود صلى الله عليه وسلم استمدادك، لقد امتازت للشقاء طائفة أبنت شقوتها، واجتازت لوادي خذبات[1] قوم جعلت غضها منك شهوتها، فأمضت في الغض من منصبك روحتها وغدوتها، فما حركوا من ذلك المقام الأكمل، إلا ما تحركه نفخة ناموسة من جبل، ولم يصب منك تهضمهم لك إلا أن أظهر الدفين، من غريب باهر مجدك الثمين، فيا له من نقص أبان الزيادة، وأعداء تهضم أقوا السيادة، [كامل]

وَنَذِيمُهُمْ وبهم عرفنا فضله وبضدِّها تتبيَّنُ الأشياءُ[2]

إيحا وإيحا[3] لنَاقد تعدى طوره، فيما لم يبلغ غوره، وتجرأ على مداحض[4] تسم أمثاله بالعي والإعياء، عياذا بحصن الشيخ المنيع مما ابتلي به الهَبَنَّكُ[5] من العناء، كيف عميت عنه الأنباء، وأثقلته الأعباء، فهو على العماية ألهف من قضيب، وفيما يدعى إليه من الهداية في شك مريب، وعلى القول القبيح، شحيح بحيح[6]، فأضحى فاسد المزاج، عسير العلاج، [خفيف]

وَتَـرَى أنـه البـصير بـهـذا وَهْوَ في العُمْيِ ضائع العُكَّازِ[7]

ولقد سعدت نفوس كنت ثروتها، وفازت قداح فئة ما زلت حظوتها، ونقلت تابعة لخطوتك خطوتها، وصحت سماء فتح أنت طلعة اوحها[8]، ورافع سمكها بإيقان نفوذ فتوحها، آمنة من كسوف أنوارها، واثقة بمدرار أمطارها على أقطارها، فسحت على حجرها ومدرها، وسالت أودية بقدرها، فأغنت عن الاستسقاء، طول البقاء، [طويل]

فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ برقَكَ فاقةٌ ولا في بلادٍ أنت صَيِّبُهَا مَحْلُ[9]

---

(1) وادي خذبات : مثل يطلق على الهلاك والجور عن القصد، فيقال : «وقع القوم في وادي خذبات» أي هلكوا.

(2) البيت للمتنبي : الديوان، ص 95.

(3) إيحا : كلمة تعجب.

(4) مداحض : مزالق.

(5) الهبنك : الأحمق.

(6) بحيح : إتباع لشحيح.

(7) البيت للمتنبي : الديوان، ص 166، وفيه «ويرى أنه البصير».

(8) اوح : الشمس.

(9) البيت للمتنبي : الديوان، ص 31.

وكيف لا تخضل رباع أظلها صيبك النافع، يانعة ثمارها، رائقة أزهارها، بأمر واقع، ماله دافع، وتكتسي حللا أزارت[1] الهضاب[2]، وأرضت نفحاتها الغضاب، والوكف كل الوكف وكفك، وكفك الواهبة هامية لم يكفها كفك، [طويل]

بكَفٍّ جوادٍ لو حكتها سحابةٌ ... لما فاتها في الشرق والغرب موضعُ[1]

ولقد ظفر بمطلوبه من جعل محبوبه، الميل لحياك وشؤبوبه، حتى وصلك ولو بأقدام الهمم، التي تعلو على القمم، وتكون لها الرؤوس، كالفؤوس [خفيف]

خيرُ أعضائها الرُّؤُوسُ ولكن ... فضلتها بوصلك الأقْدَامُ[2]

فما القصد ليمن حضرتك، إلا من أمارات الوصل لنصرتك، وما الإحجام عن الإقدام إليك، إلا سيب القنوع عما لديك، فهنيئا لهمة سبقت لها العناية، بأوفر حظ منك ونصيب، وخفقت لها راية الهداية، فاهتدت لفنائكم الخصيب [كامل]

فإذا نوت سفرا إليك سبقتَها ... فأضفت قبل مضافها حالاتِها[3]

فأنهضها أو لا سأوك، وأقلقها ثانيا شأوك، فحثها آخرا سعدك، وحرضها وعدك، فتنبهت فإذا الظن الحسن فيك مصيب، وما له في الخيبة من نصيب، فلقد أبان الله تعالى مصداق وعد منك سبق الظنون، فشرح له القلوب وأقربه العيون، وسيظهر باقي الموعود، وراقي السعود، بواسع رحمته الملك المعبود، في عرصات الذود والورود، فسبحان من جعل الوعد منك برصد الظن، والإنجاز للوعد قرينا له في كل فن [خفيف]

كلما جادت الظنون بوعدٍ ... منك جادت يداك بالإنجازِ[4]

فما الإقرار لك يا شيخ بالفضل الكريم بحمدك زائد، ولا مزيد بره على رفيع فخرك عائد، ولكن به التطفل على تلك الموائد، والدخول في دائرة حرم الزوائد والعوائد، حتى لا يحل المنكر شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا القلائد، ويحل ذلك المقام الشموخ والكهول والولائد.

وأرى مرآة فكرتكم ظهرت بزواياها، مرآة صورة الشيخ فالتمستم تصورات قضاياها، فأدركتم بمحض تصديقكم من بقاياها، ما أحالكم على تصورنا فأحلتم علينا

---

(١) أزارت : طرفت بها.

(٢) الهضاب : جمع هضبة الجبل.

(1) البيت للمتنبي : الديوان، ص 22.

(2) البيت للمتنبي : الديوان، ص 128.

(3) البيت للمتنبي : الديوان، ص 146.

(4) البيت للمتنبي : الديوان، ص 160.

مزاياها، فخطر ذكرنا بالبال، في معرض ذكره من صفاء الحال، فاطردت القضايا فينا من حسن ظنكم، وانعكست المزايا إلينا بقياس ذهنكم، فأصبتم من تصورات الشيخ غرض التنزيه، وقضيتم لنا بما هو له على رسم التمثيل والتشبيه [طويل]

فابن اللبون اذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطعْ صولةَ البُزل القَنَاعيس[1]

لكن كسينا في أعينكم من صفاء مرآة الشيخ حلة التوسل، وكنا كالحرباء في جو ثابت ذلك التنزل، حتى لا يكون وارد المدد إلا منه، ولا يرى صادره إلا عنه، فستر بظله ما كان بالستر أحرى، وأظهر بضحائه ما كان للظهور فهو أدرى وأدرى، [طويل]

تَسترتُ عن دهري بظل زمانـه فصرتُ أرى دهري وليس يراني
فإن تسأل الأيام عنيَ ما درت وأين مكاني ما عرفن مكانِـي[2]

فاقتضى مقام التحلية، والترائي بحكم التولية، أن شكوتم فشُكِّيتم، وسئلتم ما أعْطيتُم، فلا أرى المدعوَّ إلا أجابكم، ولا المجيز إلا أجازكم، وجعل بأيديكم أزمة الورد، فأعطيتموه من أحببتم بالتلقين والسرد، وزادكم على ما أفادكم، من التبجيل والإعظام ما أتمَّ به مرادكم، ومراد من استفادكم، من كافة الهبات الوافرة، في الدنيا والآخرة.

وكأني به أذن أن يكتب لكم ما نصه :

ليعلم الواقف على هذا المسطور، من أرباب الصدور، ممن يرجع إلى علم، أو ينطق عن فهم، أني أيها المملي المجيز، لهذا الإملاء الوجيز، قد أجزت السيد سيدي محمد بن أحمد أگنسوس في جميع ما يستجيز به من فنون العلم تفسيرا وحديثا وأصولا وفروعا وعقدا ولغة وإعرابا وبيانا وغير ذلك مما له به عناية على الشرط المألوف، والسنن المعروف، في الإجازة المجملة طلبا للاتصال، بإمام الإرسال، إذ لا يوثق بالاستمساك بالعروة الوثقى، والتعلق بالحبل الأبقى، إلا بالأخذ عن متصل بسند قويٍّ معروف الرجال، قوي الاتصال، إذ قيل من تعلق بمتصل وصل، ومن تشبث بمنقطع انفصل، جعل الله تواصلنا في جنبه، وحقق وصلنا بنبيه وحبه، وجعل ذلك وسيلة إلى رضاه وقربه، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول لا وقوة إلا بالله العلي العظيم.

انتهت الرسالة بجواهر حروفها، وإنما أتينا بها تامة مع طولها لما اشتملت عليه من رقيق الانسجام، وفصيح الكلام، واللغة الغريبة، والفقر العجيبة، متع الله بمنشئها مدة ممتدة على ما نحب ونرضى آمين يا أرحم الراحمين ثلاثاً.

---

(1) البيت لجرير وهو في ديوانه، ص 250.

(2) البيتان ينسبان لأبي نواس، وليسا في ديوانه.

رسالة إلى الحاج عمر

ومن رسائله الموجهة لإمام المسلمين، وخليفة رب العالمين، شيخنا الشيخ عمر بن سعيد[1] قوله من رسالة وجهها إليه في خبر هذه البلاد السائبة[2] وهو أولها [طويل]

سلامٌ على قدر المخاطب قدرُهُ ... يدور على قطب المجادة أمرُهُ
على وفق ما يهواه كل مبجل ... ويرضاه من فوق السماكين ذكرُهُ
يلوح كأقمار الدياجي ملاحَةً ... ويذكو كأردان العرائس عطرُهُ

إلى الإمام المؤيد بنصر الله، والخليفة المسدد بتسديد الله، الرئيس المحكم، والعريف المحترم، القائم بالسنة، في أمر الأسنة، الحاكم بالعدل في الرعية، ومجدد الوظائف الشرعية، الآخذ مآخذ الخلفاء الأقدمين، ومبين سنن المهتدين، من مناقبه لا تحصى، ومواهبه لا تستقصى، إمام الهدى الشيخ عمر، من أضحت مفاخره في الأقطار كالشمس والقمر، ومبايعتنا له على إحياء وظيفة هذا الحرم، أشهر من نار على علم، حتى لا تخترمنا المنية ولسنا تحت بيعة سلطان، وكم من قريب الجنان، أبعده المكان، عمر الله به البلاد، وأزال بوجوده ثائر العناد، ورفع ببارق سيفه مظالم العباد، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، ولا تحية أحسن منها يحتوي عليها الفلك وحركاته، إذهي تحية أهل الجنة، وشعار أهل السنة، تماسيكم وتغاديكم، ولا تبرح أبدا عن ناديكم، وبضمونها يقوم مناديكم، يبوح خطيبها بمكنون الشكوى، في العلانية والنجوى، ويفصح بفصل الخطاب، ويجاب بأحب الجواب.

أما بعد فأحمد الله تعالى جل اسمه، وأحاط علمه، الذي لا إله إلا هو إليكم، على ما تفضل به من سوابغ النعم عليكم، ومكنكم في الأرض مقيمين فيها الحدود، على من رام عن إقامتها الصدود، فأصلح الله بكم دنيا الرعية، كما أصلح بكم أمور آخرتها المرعية، فألف بكم بين قلوب متفرقة، وأهواء مختلفة متخرقة، فلم شعثها بكم، ورحمها بزجركم وعتابكم، فكان في ميزانكم بحمد الله أجر إصلاح ذات بينها، وردها عن مواقعة هرجها وحينها.

إلى أن قال في آخرها :

فعسى الله أن يهيئ لكم الأسباب، إلى تمام إقامة دين رب الأرباب، فهو الجواد المأمول، والكريم المسؤول. [طويل]

---

(1) الشيخ عمر : راجع ترجمته في مقدمة التحقيق، ص 42.

(2) البلاد السائبة : مصطلح كان سكان بلاد شنقيط يطلقونه عليها، دلالة على خلوها من سلطة مركزية. راجع ولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 15 وما بعدها.

1. لكَ الحمدُ إذا أوليتَ من جودك الجمَّ ... على حين يأسٍ من مسالمة الحُكْمِ
2. إمَاماً له دانت رقابُ الألى جَنَوا ... بشرك وبالجهل الصميم على الرغمِ
3. إماماً أتى والأرض دولةُ كافرٍ ... ودولة مَكَّاس تطاولَ في الظلم
4. فقام بإذن الله بالجدِّ بادئاً ... بالأولى فالأولى آخذاً سنن الحَزْمِ
5. فحكَّم في الكفر الصميم سيوفَه ... فأرجفه رجفاً برجم على رجمِ
6. فآل بحمد الله كلُّ معاند ... له بصميم الكفر في لجة الغَمِّ
7. فمن حاضرٍ قد شاهد السيف مذعر ... ومن غائرٍ يقضي له الرعب بالهزمِ
8. وأما أمور المكْس فهي مَنُوطَةٌ ... بلُقْيَا نَهَارٍ منه مختلط الهَمِّ
9. فلا بعده كسرى يكون وقيصَرٌ ... ولا سطوةٌ تخشى لكس ولا غرمِ
10. رجونا به التحرير من مَكْسِ عُرْبِنَا ... وشيكاً وأن نلقى مفازاً عن الهضمِ
11. فنُكسى ثيابَ الأمْن من خالص الأذَى ... وتبدو رسومُ الشرع رسماً إلى رسمِ

وها هنا انتهى المقصود من هذه الرسائل، التي هي إلى ما رمنا من اقتناء اللغة وسائل، وهي كثيرة، فيها فوائد أثيرة.

أسانيد صاحب الديوان والمؤلف في الطريقة التجانية

وكان الوالد وفقه الله من أئمة الظاهر والباطن، وممن اشتهرَ في هذه الأقطار التكرورية والمغربية.

وكان أولا قادريا، فانتقل تجانيا، وله في أئمة القادرية قصائد أنشأها مدته متعلقا بجنابهم،

وهو بحمد الله تعالى من أئمة التجانية، أخذ الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية أولا عن سيدي بامو بن محمد المختار الحاجي الوادانى[1]

(1) بامو بن محمد المختار المعروف بابن حم ختار الحاجي الوادانى : من كبار مشائخ الطريقة التجانية، أخذها عن سيدي مواود فال المذكور بعده، وعنه صاحب الديوان أول ما أخذها، وكذلك أخوه سيدي عبيدة بن انبوجة بعدما أخذها عن صاحب الديوان عنه، لم نقف على تاريخ وفاته. ترجمته في ابن محم : روض الشمائل، ص 22، وراجع ابن انبوجه : ميزاب الرحمة الربانية، ص 177 . وابن السائح : بغية المستفيد، ص 259، وسكيرج : كشف الحجاب، ص 357.

عن سيدي مولود فال اليعقوبي[1] عن سيدي محمد الحافظ عن الشيخ سيدي أحمد بن محمد التجاني رضي الله تعالى عنهم ح[2].

وأخذه عن سيدي محمد الحافظ عن الشيخ رضي الله تعالى عنهم بالسند المتقدم ح.

وأخذه عن سيدي مولود فال عن سيدي محمد الحافظ رضي الله عنهم ح.

وأخذه عن سيدي الشيخ عمر رضي الله عنهما لما لقيه في سفره الذي توجه إليه فيه سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف، عن سيدي عبد الكريم الفوتي[3] عن سيدي مولود فال بالسند المتقدم ح.

وأخذه الشيخ عمر أيضا عن سيدي محمد الغالي الشريف[4] عن الشيخ سيدي أحمد التجاني رضي الله تعالى عنهم ح.

وأخذه سيدي محمد الغالي عن سيدي على حرازم براده[5] عن سيدنا أحمد التجاني.

وأخذته والحمد لله تعالى عن الوالد وفقه الله تعالى بالأسانيد المتقدمة، ولم أر مقدما في الطريقة إلا وجددته عليه، فلي والحمد لله تعالى من الأسانيد فيها ما ينيف

---

(1) سيدي مولود فال بن محمذن فال بن الأمين الموسوي اليعقوبي نسباً العلوي وطناً (ت 1267هـ) : من أجلاء مشايخ الطريقة التجانية وأبعدهم صيتاً، أخذها عن الشيخ محمد الحافظ في بلاد شنقيط، ثم رحل إلى فاس مرتين فأخذ عن أكابر أصحاب الشيخ التجاني بها، وحج، وتصدر للتربية بعد الشيخ محمد الحافظ وأخذ عنه الجم الغفير، ترجمته في ابن محم : روض الشمائل، ص 11، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 532، وراجع الحاج عمر : رماح حزب الرحيم، ج 1، ص 180، وابن السائح : بغية المستفيد، ص 259، والشنقيطي : الوسيط، ص 68، وسكيرج : كشف الحجاب، ص 357.

(2) (ح) إشارة إلى الانتقال من سند إلى سند جرياً على مصطلح أهل الحديث، قال الحافظ العراقي (فتح المغيث، ص 252) : «جرت عادة أهل الحديث، وكتبته أنه إذا كان للحديث إسنادان فأكثر وجمعوا بين الأسانيد في متن واحد أنهم إذا انتقلوا من سند إلى إسناد آخر كتبوا بينهما حاء مهملة مفردة صورة ح».

(3) عبد الكريم بن أحمد الفوتي المعروف بالناقل : من علماء منطقة فوتة، أخذ عن سيدي مولود فال وعنه الحاج عمر، ولم نعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد، وأما ما عزاه روينسون La guerre sainte d'Al Hajj Umar, p. 62 إلى الحاج عمر من أن شيخه هذا قد توفي سنة 1827/1243، فلم نقف له في الرماح على أصل، وقد عرف به الحاج عمر : رماح حزب الرحيم، ج 1، ص 180، وله ترجمة في ابن محم : روض الشمائل، ص 22.

(4) سيدي محمد الغالي بوطالب الفاسي (ت 1244هـ) من أكابر تلاميذ الشيخ سيدي أحمد التجاني وأركان طريقته، رحل إلى الحرمين حيث أخذ عنه الفوتي، وترجم له في رماح حزب الرحيم، ج 1، ص 181-184، وترجمته في ابن محم : روض الشمائل، ص 7، وكذلك ابن السائح : بغية المستفيد، ص 259، وسكيرج : رفع النقاب، ج 3، ص 119.

(5) سيدي على حرازم براده الفاسي (ت 1217هـ) أكبر تلامذة الشيخ سيدي أحمد التجاني، ومؤلف كتاب جواهر المعاني، المدونة الأساسية الطريقة التجانية، ترجمته في ابن السائح : بغية المستفيد، ص 169 و255 وابن محم : روض الشمائل، ص 5، وسكيرج : كشف الحجاب، ص 68، وسكيرج : رفع النقاب، ج 3، ص 118، وراجع كذلك الحاج عمر : رماح حزب الرحيم، ج 1، ص 180.

على العشرة[1]، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، فالحمد لله تعالى رب العالمين حمدا كثيرا دائما.

رسائل إلى صاحب الديوان من أعلام عصره

ووقعت بينه وبين أئمة الأقطار في هذه النواحي مكاتبات، ورسائل وإنشاآت.

رسالة من الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي

فمما كتب إليه العلامة البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار بن أبي بكر بن أحمد الكنتي[2] كما وجدت بخط المرسل :

«إلى الفتى الأديب، اللوذعي الأريب، سيدي محمد بن محمد الصغير [طويل]

سلامٌ جديد الود فيه تليدُ ... ووُدٌّ قديم العهد فيه جديدُ
وعهدٌ بقاءُ الحفظ منه مؤكدٌ ... وحفظ بقاء العهد فيه أكيدُ
إلى من له عندي وإن مدت النوى ... ودادٌ على شط المزار مديدُ
بعيدٌ ذُهولي عن تكرر ذكره ... فيحضُرُ عندي فيه وهو بعيدُ
لئن غاب رأيَ العين عني فإنه ... على النأي عندي حاضرٌ وشهيدُ
يناجيه قلب عنه غير مغيَّب ... على أن جيش الشوق فيه عديدُ»

رسالة من أگنسوس

ومنها ما كتب به العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، قائد العلماء بالمغرب ومفيد الدروس [متقارب]

سلامٌ على صفحات الكرمْ ... على الغرر الفارجات الغممْ
على الهمَم الفارعات النجومَ ... على الأيْن الغامرات الديمْ[3]

---

(1) راجع مقدمة التحقيق، ص 57.

(2) البكاي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1281هـ)، شيخ تصوف وزعيم سياسي وشاعر كبير، ينتمي إلى بيت من أكبر بيوتات المنطقة أثراً في تاريخها الفكري والاجتماعي (راجع ترجمة أبيه في الصفحة 180). وكان للشيخ سيدي أحمد البكاي دور سياسي وعسكري كبير في تاريخ بلاد السودان الغربي خلال القرن 13هـ/19م، وقد تميز بمساندة أحمد بن أحمد ابير وحليفه علي بن متز في حربهما ضد الحاج عمر الفوتي. ولاشك أن مراسلاته الودية مع صاحب الديوان ترجع إلى الفترة السابقة على المجابهة بينه وبين الحاج عمر، إذ توفي ابن انبوجه قبل هذه المجابهة. راجع حول الشيخ سيدي أحمد البكاي ومكانته في تاريخ بلاد السودان الغربي :

Zebadie (A) : The career and correspondance of Ahmed Al Bakkaï of Tumbuktu, and a historical study of his political and religious role from 1854 to 1866.

(3) لم نعرف قائلهما.

على طود الجلال، الذي نأوي منه إلى وارف الظلال، ونقتبس منه أشرف الخلال، قطب المجادة الذي دارت عليه أفلاكها، وشمس المعارف والعلوم الذي انجلت به من الغواية والجهالة أحلاكها، عصام الملة والدين، ومنار لاحب الهداية المهتدين، من طاب الزمان بعابقة رياه، وسعد الكون بظهور محياه [منسرح]

وَمَنْ هو الأوحد الذي ترك الـ دهر بلا مُشبه ولا مثل[1]

سيدنا أبو عبد الله محمد بن محمد الصغير، أعز الله قدرك الرفيع العماد، ولا برح مجدك الذي إليه الاستناد، وعليه الاعتماد،

وبعد فإني أقسم بذلك الجاه، الذي إليه الاتجاه، لولا معاليك الفاخرة، في هذه الأزمان المستاخرة، ما تبلج لمرتاد الهدى فجر، ولا كان لسعيه ثواب ولا أجر، ولا شام برقا من أمزان مراده، ولا تنور أعلام مراده، فالحمد لله الذي أقام منك لهذه الملة مجددا، وأدار من جلالك فوق نطقها محددا، أصان الله محياك، وأنار محياك»،

وهي طويلة، وكتب في آخرها [طويل]

لقلّدتنا نعماء كالروض عانقت أزاهره ريح الصَّبَا غبَّ أمطارِ
أياديك نهبى الحمد في كل موطن تميلُ بأسماعٍ إليك وأبصارِ
وأنت الذي قلمت أظفار فتيةٍ ألحَّت بأنياب حداد وأظفارِ
وأصدرت ما أوردت والحزم باسط يديك ولا إيراد إلا بإصدارِ
على حينَ أخفَى صوتَه كلُّ نابح وبرَّح تعطيل القداح بأيسارِ
فَلا مجد إلا ما بنيت وقَد بنى سواك عُلىً لكن على جرف هارِ

وله مكاتبات إليه كثيرة، مثل أعلام الطائفة التجانية المراكشيين والفاسيين والمكناسيين وغيرهم من الأئمة.

أبيات لمحمد صالح بن عبد الوهاب

وكتب إليه شيخنا محمد صالح بن عبد الوهاب تغمد بالرحمة الواسعة لما طالع بعض فتاويه الصحيحة [طويل]

فنحن ندين الله جل جلاله بذا الحق والآبي عن الحق مُعْتدِ
رأيت كثيراً من فتاوى مشائخي ولم أر فتوى مثل فتوى محمدِ
سمي أبيه المنتمي بانتمائه إلى انبوجَ جد الألمعي المؤيدِ

---

(1) لم نعرف قائله.

أتانا بفتوى كالصباح صحيحة ... كفتوى الإمام الشافعي[1] المجدد
وفتْوى إمام المالكية مالكٍ ... ونعمانَ[2] والليث بن سعد[3] وأحمد[4]
أتى بجواب لا يجوز اعتراضه ... وإني به فيه مدى الدهر مقتد
هَدانا فسلمنا هداه وقوله ... ومن يهتدي بالمهتدي فهو مهتد

أبيات لخيوي بن سيدي بن أحمدً ان

وفيه يقول سيدي عبد الله بن محمد بن سيدي احمد بن أحمدً ان بن الفغ محمد بن محم بن القاضي العلوي[5] لما رأى بعض فتاويه [بسيط]

يا سيد من رام أن يشاك كان كمنْ ... قد رام بالزعم أن يسمُو على زحل
حليت من حلل التقوى جواهرها ... ولم تكن منه قبل اليوم في عَطل
إن باد أهل الهدى والعلم كنت لهم ... كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
لا غروَ إن كنت بالتحقيق منفرداً ... وتنقذ الضال من معوجة السبل
فتلك شنْشنَةٌ قد كنتَ تعرفها ... من والديك ومن أجدادك الأول
لئن تكنفك الحساد قاطبة ... وعاينوك بقول الزور والخطل
وحسَّدوك على شيء خصصتَ به ... عنهم فقد حُسدَ المختارُ في الرسل
ما ضرَّك الحسدُ المَسْعَي إليك به ... فالحسْدُ حيلة من يعيا عن الحيل
هَوِّن عليك ولا تعبأ بقولهم ... فلست تشبههم في القول والعملَ
إن لم تبالِ بما قالوا وما فعلوا ... فليس ذلك عن جبن ولا كسل
وليس صمتُك عن ضعف ولا وهَنٍ ... ولا صدودك يستدعي إلى الفشل

---

(1) الشافعي : الإمام محمد بن إدريس (150-204) أحد الأئمة الأربعة، ترجمته في الخطيب : تاريخ بغداد، ج 2، ص 56، وعياض : المدارك، ج 3، ص 174، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 4، ص 163، وياقوت : معجم الأدباء، ج 6، ص 2393، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 361، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 95.

(2) نعمان : أبو حنيفة النعمان بن ثابت (80-150) أحد الأئمة الأربعة، ترجمته في الخطيب : تاريخ بغداد، ج 13، ص 323، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 5، ص 405، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 168.

(3) الليث بن سعد (94-175هـ) إمام أهل مصر في الفقه والحديث، ترجمته في الخطيب : تاريخ بغداد، ج 13، ص 9، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 4، ص 127، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 228.

(4) أحمد بن حنبل : الإمام (164-241)، ترجمته في ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 1، ص 63، والذهبي : تذكرة الحفاظ، ج 2، ص 431.

(5) سيدي عبد الله بن محمد : المعروف بخيري، من أعلام إيدو على الكبلة، وهو دفين تيشيت ولم نقف على تاريخ وفاته.

فَفُقْ القوسَ واشرع في تصيدهم ... وارشق سهامك في الاعناق والقلل
بذاك تزداد إجلالاً ومرتبةً ... وهم يحطون من سفل إلى سفل
لما وقفت على فتواك يا أملي ... وما تردى به من أنفس الحلل
وكنتُ أُخْبَرُ أن العلم ليس له ... وكرّ سواك وأروي عن فُلٍ وفُلِ
أن الأساجع والنظام منزلة ... بها انفردت عن الأقران في الأزلِ
أنشدت ممتثلا بيتا سمعت به ... قد كان أحسن ما قد قيل في المثلِ
لازلت للدين والإسلام تنصره ... حتى تبلغ منه غاية الأملِ

[أبيات لمحمدي بن سيدينا]

وفيه يقول سيدي محمدي بن سيدي عبد الله بن ألفغ سيدي احمد بن محمد بن القاضي العلوي[1] عند ملاقاته له في شنجيط ويذكر الجيش وسريته [خفيف]

أحمد الله غير ذي تقصير ... أن أراني محمد بن الصغيرِ
باعث الجيش والسرية في نصرة شيخ الهدى التجاني الكبيرِ
يا لها من سرية وخميس ... تَبَرًّا الزور أيَّمَا تتبير
أقبلت وهي تقدم الجيشَ حتى ... صبحت خيلها جموع النكيرِ
تركت زورهم كرهط حيي ... مودعا في خَنادق وحفيرِ
أجهز الجيش بعدها بالدعاوي ... فَجَلاها جلاء رهط النضيرِ
أذكرتني مسرتي إذ قدمتم ... آلَ يعقوب في قدوم البشيرِ
ما نَقَمْنَا من الملاقاة إلا ... أنه قد أجدَّ جد المسيرِ
إن مُرَّ الفراق كَدَّر حلو الوصل صافي الشَّجَى بخمر السرورِ

والأخبار في هذا المنوال لا تحصى، وآثار الوالد بمتعلقاتها في هذا المجال لا تستقصى، من الله علينا بوجوده مدة آمين.

هذا مع أن له من خطب الوعظ، ما لا يحيط به تصريف اللفظ، ومن الأجوبة الحسان، ما لا يحصره اللسان.

---

(1) محمدي بن سيدينا : العلوي المعروف بيدي (ت 1264هـ)، أبرز تلاميذ الشيخ محمد الحافظ وخليفته من بعده، وأحد وجوه شعراء بلاد شنقيط وأعلام مشائخ الطريقة التجانية بها، احتج صاحب الديوان بأبيات له، ودعاه "كبير إخوتنا" (الجيش، ص 97)، وهو مؤلف نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ ونفحة المنان ومكمل الأجوبة التيشيتية، ترجمته في ابن محم : روض الشمائل، ص 14، وابن السائح : بغية المستفيد، ص 100، والشنقيطي : الوسيط، ص 30، وولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 237، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 508.

وليكن هذا آخر الفصل الثاني من مقدمة هذا الديوان، فلنصرف العنان، إلى المقصود الذي جعلنا علامة عليه هذا العنوان.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يرضاه من الأقوال والأفعال، ويتحفنا بمدد لدني منه صاف عذب زلال، إنه المجيب.

الباب الأول

في المراثي الرائقة، والدرر البهية الفائقة

مقدمة

اعلم أن أساليب الشعر ومقاصده أصعب من نظمه، ومدلولاتها أعسر من تركيبه وفهمه، وفي كل باب من أبواب الأساليب، ما ينيف على عشرة أنواع من الأعاجيب.

فأنواع الشعر المستعملة غالبا ستة أنواع: مدح وذم ورثاء وتشبيب وحكم ومواعظ، فمن باب المدح الافتخار والتهنئة والتحايا والسلام، ومن باب الذم الذي هو الهجو التحاجي والتعنيت، ومن باب الرثاء التوجع في غير ما يرثى، ومن باب التشبيب التشبيهات ومدح الخيل والإبل ونحوها، ومن باب الحكم والمواعظ أنواع الأدعية وضرب الأمثال المروية.

أما المدح فمن المناسب فيه أن يسبق بتشبيب بذكر محاسن النساء وأوصافهن ويشمل ذلك طول البعد والسهر وطول الليل وذكر المنازل الدوارس ووصف الدواب والسير وما يضاف إلى ذلك، وهو العام في غزل قصائد المدح.

وقد يترك هذا كله فيتخلص في أول القصيدة وهو حسن، لكن أحسن منه أن يترك مستحضرا وينبه عليه أول الكلام، كما فعل زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان المري في قوله : [كامل]

دَعْ ذا وعَدَّ القولَ في هَرِمٍ خيرِ البداة[1] وسيد الحضَرِ[2]

وهوأول القصيدة، والأبيات الثابتة في ديوانه زادها حماد الراوية[1] بدليل قصة هارون الرشيد[2] والمفضل الضبي[3] وحماد الراوية كما في تكميل المرام[4] وغيره.

---

(١) البداة : البادية.

(٢) الحضرة : الحاضرة.

(1) حماد الراوية : ابن سابور أو ابن ميسرة البصري (95-155)، الراوية المشهور، ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 541، الأصبهاني : الأغاني، ج 6، ص 67، وابن خلكان : وفيات الأعيان، ج 2، ص 205، ياقوت : معجم الأدباء، ج 3، ص 1201، والسيوطي : بغية الوعاة، ج 1، ص 549.

(2) هارون الرشيد : ابن محمد المهدي الخليفة العباسي المعروف (ت 193هـ)، ترجمته مشهورة، راجع مثلاً ابن قتيبة : المعارف، ص 381، والزركلي : الأعلام، ج 8، ص 62.

(3) المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت 168)، الراوية اللغوي المعروف، جامع المفضليات، ترجمته في ابن قتيبة : المعارف، ص 1545، والخطيب : تاريخ بغداد، ج 13، ص 121، وياقوت : معجم الأدباء، ج 6، ص 2710، وابن الجزري : غاية النهاية، ج 2، ص 307، السيوطي : بغية الوعاة، ج 2، ص 297.

(4) لعله تكميل المرام شرح شواهد ابن هشام لمحمد بن عبد القادر الفاسي (ت 1166)، والقصة في الأصبهاني : الأغاني، ج 6، ص 68، وياقوت : معجم الأدباء، ج 6، ص 2711.

وأما الذم فمن المناسب له التخلص بلا تغزل أو التغزل بذم مشبه بالمذموم حتى يتخلص إليه، ويشمل أنواع الدعاء على الشيء واستحقاره والتعجب منه على تحقير، ولا يحسن أن يتغزل له بما يناسب المدح كالعكس.

وأما الرثاء فمن المناسب له ذكر الموت والقبور وأمور الآخرة وأحوال الدول وتبيين غرور الحياة الدنيا وذكر نكائبها ونكائدها ومصيباتها ونوائبها والتسلي والتوجع وقد يتخلص له، وقبيح فيه ما يناسب المدح، وإن كان في الحقيقة مدحا لكن المقاصد متباينة.

وأما التشبيب فمن المناسب له ما هو في منواله. ومناسب المدح مناسب له بجامع المدلول لهما، وقبيح ابتداؤه بمناسب الرثاء.

وأما الحكم والمواعظ فمناسب لها مناسب الرثاء ويقبح فيها ما يقبح في الرثاء.

وبقية المقاصد الشعرية ترجع إلى هذه الستة إما صريحا وإما تلويحا.

ثم اعلم أن الباب الذي نحن بصدده الآن له عدة مقاصد في سببه أصلا. وذلك أن تعلم أن الهموم والأحزان مهما استولت على شخص وتمكنت منه لفقد محبوب أو عدم مطلوب وسلبته القدرة على فعل ما يزيلها انتقل الى الاسترواح والتنفس بالأقوال عما هو واقع في الأحوال. وذلك لما أن في الكلام راحة وفرجا من ألم الباطن، ولذلك قلما يطيق الإنسان استدامة حال واحد يخالف ما في باطنه، بل لا بد له من ثلثات مطابقة لما هو فيه، لما أن النفس بطبعها تطمح الى طلب الراحة والاستلذاذ بحسب المقدور لما قيل : [طويل]

..... وراحة مكروب السريرة أن يُفْشِي[1]

ومن كلام الأطباء : «الروح تألم كما يتألم الجسد ودواؤها دمع جار أو قول سار».

واذا اتضح هذا علم الحامل على هذه الأشعار، وما قيلت بسببه من الآثار، وكذلك الأشعار كلها لابد لها من محرك باطني يستشفى بوروده على اللسان إما خوف أو طمع، او استخفاف أو جزع، أو هوى متبع، أو رفع واقع، أو استشفاء نافع، وغير هذا مما يعلمه أهل الحذاقة الشعرية، والحرف النثرية، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.

---

(1) لم نعرف صدره ولا قائله.

I

قال الوالد وفقه الله تعالى يرثي الشريفة الحسنية بنت فاضل[1] والدة شيخنا أحمد المعروف باهمار اسري بن محمد بن حمى الله المسلمي[2] أطال الله حياته، وهي والله تعالى أعلم، آخر ما نسج من المراثي، من بحر الكامل من حرف الباء الموحدة، وأقدم في الباب كغيره الحروف بحسب تقديمها في الترتيب على مصطلح المغاربة [كامل]

1. عزٌّ المكارم في عظيم مصابِهَا ... بيتيمة التقصار عين نصابِهَا
2. ياقوتة الأقطار جوهرة العلى ... روح الكمال ودُرٌّ فصل خطابِهَا
3. بفتاة حضرتها وبيت قصيدها ... بذُكاء[1] نفنفها[2] ولب لبابِهَا
4. حسنية الإحسان والحسن الذي ... بهر النهى فأحل ملك رقابِهَا
5. حازت من العلياء ما حازت فما ... فاتت أقاصيها وصمَّ صعابِهَا
6. فأتى على غرر المحامد مجدها ... فاجتثها من أصلها وشعابِهَا
7. وحياؤُها خصت به فهي التي ... أحرى به وهو الذي أحرى بِهَا
8. بذلت وما منَّت وفاقت همةً ... في طاعة الرحمن حسن شبابِهَا
9. عاشت وما عاشت خفية منصب ... بين الورى مكتنة بحجابِهَا
10. بحجاب ابرز كل مكرمة بدت ... تختال بين ذهابها وإيابِها
11. في عيشة مرضية مألوفة ... فأطار ذاك العيش بين غرابِهَا
12. بينا عيون المكرمات قريرة[3] ... بتمام نضرتها وحسن خضابِها
13. إذ حل ريب زمانها بجنابِهَا ... فبدا لها ما لم يكن بحسابِهَا

---

(1) الحسنية بنت فاضل : عرف بها ابن حامد (أهل محمد مسلم، ص 14)، وإخاله ينقل من إنارة المبهم لمحمد بن أحمد الصغير، فقال : «الشريفة التقية الحسنية بنت الشريف امحمد بن محمدو بن فاضل الشريف، أحد الأخوين الفاضلين... أم البدور الأربعة المشهورين امحمد الملقب يده ومحمدو الملقب داده، وأحمد الملقب أهمار اسري وحمى الله الملقب انباله»، وهم بنو امحمد بن حمى الله بن امحمد بن المختار الشواف المسلمي، وذكر نماذج من مراثي الشعراء لها ومدحهم لأبنائها.

(2) اعمار اسري (أو اهمار اسري) بن محمد بن حمى الله المسلمي : راجع ترجمته في الفصل الثاني من المقدمة، ص 103.

(١) ذكاء : الشمس.

(٢) النفنف : الجو.

(٣) قريرة : ساكنة.

14. اللـه أكـبر أصـبحت مـوفـورة ... وبحيـنها نكـصت عـلى أعقـابهَا

15. فتـساقـطت شـرفاتها وتبـددت ... غـرفاتها وانجـاب رجـع سـحابهَا

16. فاستـيقنت أن الـدنى قـد كـونت ... مـن قيـعة لاحـت بـروق سـرابهَا

17. لما مـضت حسناؤُهـا عنـها وقـد ... هـموا وما هـمت بكـشف نقـابهَا

18. سبحان من كتب الفناء على الورى ... وأدار أكـؤسـه عـلى شـرابهَا

19. فإلـيـه مـرجـعنا ونـحـن عـباده ... وإلـيه نـرغب في ثـواب مصابهَا

20. فَلْيَـهْنِـئَنَّك يـا رَبَـاب الـعز أن ... خـلت الـدنى مـن عـزة وربـابهَا[1]

21. مذ غاب شخصك في الثرى وبدا لنا ... أن المـحـامـد حـان حـين خـرابـهَا

22. أنسى المصاب قدوم روحك المذي ... يـوالي عـلى الخيرات حـسن ثوابها

23. وكـفاك أن خـلـفت أكـرم سـادة ... المـكرمات هـم مـحـط ركـابـهَا

24. كـل لـه فـي المجـد قِـدْحٌ فـالـج[2] ... حـازوا خصال السـبق عـن أربابـهَا

25. لا زالـت البركات فـي أعـقـابهـم ... أو[3] ينـقضي أمـد الدنى بكتابها

26. وأثـابـهـم رب العـبـاد إثـابـة ... تقـضي عـلى أحـزانهم بـذهـابـهَا

27. نفـسـي الفداء لـقبر عـز قـد حوى ... من حـازت العـليا بحجـرة بـابهَا

28. فبها المعالي فـي البـلاد تزخرفت ... وتـكـملت وازدان ضـرب قـبـابهَا

29. لازالـت الـرحـمات والخيـرات مـا ... نيـل المنـى منـهـلة بـجـنابـهَا

30. والـروح والـريـحـان والـرضـوان والغـفـران حـلـف صـخورها وتـرابـها

31. والمسك والكـافور عـرف ريـاضـهـا ... والسلسبيل القر[4] صـرف شرابها

32. وأقـر ربـي عـيـنـها بـجـوار أحـمـد جـدهـا ليـتـم حـسـن مـآبـهَا

33. كـنـا بحـمدك حـظه وخصـصتنا ... بـطـريقـه نحـمي حمـى آدابـها

34. مسـتـمسكين بسـنـة أتبـاعُهَا ... حـازت بأحـمـد منـتهى آرابـهَا

35. فـعليه مـن صـلـواتك الـلـهم مـا ... نكـفى الهـموم وتنـجلي عـنابهَا

---

(١) عزة ورباب : علمان لامرأتين.

(٢) فالج : محظوظ.

(٣) أو : حتى.

(٤) القر : الخالص.

36. وتـزاح أثـقـالُ المـكـاره جـمـلـة بحـسـابه أو عـتـابـها وعـقـابهـا

37. وتبـاح خيـرات المنـى جمـعـاء مـن جـنـاتها والأنـس مـن أتـرابـهـا[1].

II

وقال أيضا يرثي العلامة أبا محمد سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام عبد الرحمن العلوي[1] وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بالقبة المعروفة[2] ومعه تلميذاه عبد الله بن سيدي محمود[3] والطالب بن حنكوش[4] تغمد الله الكل برحمته ونفعنا ببركته، وهي من حرف التاء المثناة الفوقية من بحر الطويل :

1. أفـض يا إلـهي صيِّب الرحمـات على جَدَث فيه سنى الظلمات

2. قريع المعالي غاية المجد والعلى حليف الندى المغوث في اللزبات

3. سمت عمد الأبرار قبل انضوائه إليـهم فأضحت عنده فضلات

4. وأوضح أعلام الشـريعة فانجلت مـعـارف كـانـت قـبـلـه نكـرات

5. رُزئنا ولـمـا نـرز قـط بمثـلـه على الرغم يا للدهر من حولات

6. فيا لك من مجد تقوَّض ركنه حبيت بـه يـا وادي الـرحـمـات

7. ويا سمرات الواد كن كمثل ما تشـأن ليَـهْـنئـكُنَّ مـن سَـمرات

8. سقتكن ما دُمْتُنَّ واهيةُ العُرَى سـوى مـا سقـيـنـاكـن بالعبرات

9. ولو أن حيا كان يفدى من الردى فـديـنـا الـذي فـيـكـن بالمهجـات

---

(1) الأتراب : جمع ترب.

(1) سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت 1153-1233هـ) من أجلاء علماء بلاد شنقيط، أصولي محدث وفقيه عظيم، رحل إلى المغرب ومصر والحجاز، وقام بدور فذ في نشر العلوم الإسلامية وله تآليف كثيرة في مختلف فروعها، ترجم له المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 49، والشنقيطي : الوسيط، ص 37، وابن بايه : التكملة، ص 55، وولد الحسن : الشعر الشنقيطي، ص 9، والنحوي : بلاد شنقيط، ص 513، وولد عبد الله، الحركة الفكرية، ص 205، Ould Bah : La littérature, p. 178. وأما ترجمته الواردة في البرتلي : فتح الشكور (بيروت، ص 173، تونس، ص 78) فلا شك أنها مضافة إلى النص الأصلي جزئياً على أقل تقدير، إذ فيها تاريخ وفاته (1233هـ)، بينما توفي البرتلي نفسه سنة 1219هـ.

(2) القبة : موضع على بعد حوالي 40 كلم إلى الشرق من تجكجة عاصمة ولاية تكانت، راجع الشنقيطي : الوسيط، ص446.

(3) عبد الله بن سيدي محمود الحاجي (ت 1255هـ) عالم كبير وزعيم سياسي وعسكري ذو دور بارز في تاريخ بلاد شنقيط خلال القرن 13هـ، تزعم حرب قبيلته وحلفائهم ضد كنته، ترجم له المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 76، والشنقيطي : الوسيط، ص 361.

(4) الطالب بن حنكوش العلوي (ت 1273هـ) من أكابر تلاميذ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ترجم له المحجوبي : منح الرب الغفور، ص 114.

10. عليكنَّ مني السلام مشيعاً بنفس شجون لم تَعجْ بحياة
11. سلام يعم القاع طيبا أريجُه[1] على عَدَد الأنفاس واللحظاتِ

III

وقال أيضا يرثي شيخه المختار اسري بن أحمد بن بوز بن حمى الله الحاجي، من حرف الراء المهملة من بحر الكامل :

1. ما للمكارم أصبحت كالعُورِ مره المآقي عرضة للمورِ ؟
2. ما المكارم أصبحت مهمومةً صُعَداؤُهَا موصولة بزفيرِ ؟
3. ما بالُها انحردت طوالع اوجهَا وهوت دعائمُ بيتها المعمورِ ؟[1]
4. ما بالُها أثر الجُؤُوبَة لائحٌ في وجهها المتكلِّحِ المبسورِ ؟[2]
5. ما بالُها قد آذنت مينافها الغناء بالتصويح والتثميرِ ؟[3]
6. ما بالُها ملتفةً بجلابب الإحداد راغبةً عن التعطيرِ ؟
7. والله لستَ لما عراها جاهلا أمنَ التجاهل أم من التقريرِ ؟
8. فلقد علمتَ يقينًا أن مصابَهَا بسميرها المختار غيرُ يسيرِ
9. وقرائن الأحوال تشهد أنَّه والله كان لها أبر سميرِ
10. فابكيه أيتها المكارم واندبي إن البكاء سُبات كل حسيرِ
11. فابكي تجافيَ جنبه لسريره وابكي جميلَ رضاهُ بالمقدورِ
12. لكنَّ ما قد فات ليس يردُّه جزعٌ ولا يجدي عَمَى أظْفُورِ[4]
13. من للأرامل والفتاوى الأوْرَعيَّة والتواضع والتقى والخيرِ ؟
14. ومن المُشيدُ بناء صرح الحق والفاري بصارمه أنوف الزورِ؟

---

(١) أريجه : رائحته.

(1) انحردت : انقضت.
لوحها : هوائها الذي بين السماء والأرض.

(2) الجؤوبة : كلوح الوجه.
المتكلح : المتجهم العابس
المبسور : الكالح.

(3) ميناف : الروضة الجديدة.
التصويح : مصدر صوح البقل أي جف من أعلاه.
التثمير : مصدر ثمر النبات أي نفض نوره.

(4) عمى أظفور : قدر ظفر.

15. الـه مـا أحـلى شمائله وما أنأى محياه مـن النُّصعير

16. لله مـا أوفـاه بالموعـود للـعافـي ومـا أوفـاه بالمنـذور

17. واذا استضافته المسائل أقبلت من عنده مكسوة بالنور

18. وتقلدت تَقْصَارَها وتدثرت بطرز مـن فاخر التوقير

19. وإذا العويصُ أضاف ثاقب ذهنه يوما قراه بتحفة التحرير

20. فكأنما أنضى الصَّديع سُيُوفَهُ على الاليل المتجرم الديجور[1]

21. والطالبون علومَ دين الله قد حصلوا بغرته على الإكسير[2]

22. يا حسن ما اجتابوه من حلل العلى وتضلعوا من بحره المسجور

23. وتملأت أذهانهم من فهم ما أهدى لهم بلطائف التعبير

24. فاستوحشوا ممن سواه تأنفا واستأنست بهم نَفُورُ الفور[3]

25. قد أصيبَ كل منهم ومصيبتي أدهى علي من اندكاك الطور

26. فلذاك طال تحيُّري وتحسري وتأوهي وتأسفي وسموري[4]

27. والله مـا أبنته لأزيده شرفا ولكن نفثة المصدور

28. يا أرحم الرحماء يا من أجدر الضيفان ضيفه بالقرى المبذور[5]

29. هب عبدك الغادي ببابك نازلا نزلا كريما من جناب غفور

30. وأنله رحمتك التي أعددتها لمن اتقى في نضرة وسرور

31. ثم اسقينه من الرحيق السلسل الممزوج بالتسنيم والكافور

32. والتؤنسنه أو انس في قبره عرب من العين الحسان الحور

33. واجعله جار نبيك المختار في جنات عدن يوم نفح الصور

34. وأفض عليه حيا الصلاة وحلني برضاك إن رضاك سدْرَةَ صبري[1]

---

(1) الصديع : الفجر.

(2) الإكسير : مادة تقلب المعادن ذهباً.

(3) الفور : الطباء.

(4) السمور : السهر.

(5) كذا بالأصل، وقد يكون الصواب ضيفك بدل ضيفه، مع أن اختلاس ضمة ها ء الواحد لغة فصيحة.

(١) الصبر : المنتهى.

ما قال في التضرع إلى الله والدعاء والتوسل إليه و ما يجري مجراه من التسليم للقضاء

XXXV

قوله من الهمزة من الرجز :

1. يا رب إن الحمد والثناءَ ... لك كما أن لك السناءَ
2. والمجد والكمال والبهاءَ ... والعزّ يا من فطر السماءَ
3. والملك والخلق والاستيلاء ... والجود والمعروف والقضاءَ
4. ثم صلاتك على من جاءَ ... بما أزاح الملة العوجاءَ
5. يا رب هذا العبد قد أساءَ ... والآن جاء تائباً وياءَ
6. يشكو ديونا جمة وداء ... أعيا ولم يجد له دواء
7. ولم يجد لدينه وفاءَ ... ولا يرى إلا لك التجاءَ
8. وأنت قد يسرت لي ابتداء ... ديني فلا تشمت بي الأعداء
9. يسر بفضلك لي القضاءَ ... وقيضن بالفضل لي شفاءَ
10. برحمة تزحزح الأدواء ... وتذهب البلاء والبلواء
11. وتصلح الشؤون والآراء ... وتكشف البأساء والأسواء
12. بما به عن عبدك الضراء ... كشفت إذ ناداك فَاجْلُ الداء
13. يا سيدي لا تقطع الرجاءَ ... ولا تحقق ظن قوم ساءَ
14. فإن أكن عبدا جنى اعتداء ... فأنت رب يغفر الحوباءَ
15. ويمنح الفضل لمن تناءَى ... مطلبه ويجزل العطاءَ
16. لمن دعا ويسمع الدعاءَ ... ويعلم الإعلان والإخفاءَ
17. ويستجيب المؤمن الدَّعَّاءَ ... بفضله ويجلب السراء
18. بجوده ويكشف الغماءَ ... ويصطفي بفضله من شاءَ
19. بجاه من قد ساد الانبياءَ ... ومن قد اصطفيته اصطفاءَ
20. يا رب قبل خلقك الأشياءَ ... فلم نطق لمدحه إحصاءَ
21. صل عليه واكفنا الوباءَ ... وسلمن عليه واجلُ الداء
22. وأمِّنَنْ من البلا الأرجاءَ ... وارض عن آل أكملوا العلياءَ
23. وهب انا بجاههم رضاء

XXXVI

وقال أيضاً منه من بحر الكامل :

1. يا رب عبدك قد جنى وأساءَ ... وأقر بالعمل القبيح وباءَ
2. يا رب إن أحاسدي فرحوا بما ... أشكو فلا تشمت بي الأعداء
3. ظنوا الظنون ولم أزل أنا راجيا ... يا رب أنك تكشف الضراء
4. وتمن بالفرج المجلح[1] بالأذى ... وتُصَيِّر المكروه بعد هباءَ
5. أرجوك يا رب الأنام لعلتي ... لا أرتجي ممن سواك شفاءَ
6. فلعل مرجو جودك المبذول الـ ... ـعاصي يزيل الهم والأدواء
7. أنت الذي أنت الذي تجلو إذن ... همي وتعقب بعد ذاك ضياءَ

XXXVII

وقال أيضاً من حرف الباء من بحر الكامل :

1. يا رب عبدك قد علمت كروبهُ ... وعلمت قبل سؤاله مرغوبهُ
2. ولقد علمت بأنه مستيقن ... ألا مغيث سواك فامحُ ذنوبهُ
3. وافتح له باب الهدى واشفع له ... يا رب عندك واحْبُهُ مطلوبهُ
4. واجعل له من كل هم مخرجا ... يا رب عبدك قد علمت كروبَهُ
5. وبجاه أحمد شيخه ونبيه ... متوسلا قد تاب فاغفر حوبه

XXXVIII

وقال أيضا من حرف الجيم من بحر البسيط، وأنشأها في مرض شيخه سيدي محمد ابن الحاج أعمر[1] يتوسل بها لله

1. بلغت حرف الزبى يا أزمة انفرجي ... وقد تناهيت يا دهياء فاندرجي
2. يا عسر مالك عش عندنا فعج ... عنا ولح يا لصباح اليسر وانبلجِ
3. ويا نسيم الشفاء اهبب بليلة ... وأسبلي وكفي يا ديمة الفرجِ
4. ويا مزاج اعتدلْ حتى تعود كما ... كانت طبيعة جسم بالسقام فجي

---

(1) المجلح : المذهب.

(1) سيدي محمد بن الحاج أعمر : راجع ص 103.

5. طب يا هواء وزل يا داء وادلج ... ويا عضال ارجعن من حيث كنت تجي
6. ويا زمان اصف واطو الجور والق بها ... نهواه وائت بغبوط السرور وجي
7. فقد عزمنا على كل بعزة من ... تعنو الوجوه له في مذهب ومجي
8. وقد متتنا بخير العالمين إلى ... رحماك يا كاشف البلواء والحرجِ
9. مرها تقول تنزل يا شفاء على ... عبد وللأزمة المشتدة انفرجي
10. وأذَنْ لها في انتشار يا مفرِّجُ في ... داء عضال بجسم الشيخ ممتزجِ
11. قد مسنا الضر فاكشف ضرنا وقنا ... يا أرحم الراحمين البؤس في الأبج[1]
12. وصلين وسلم بالدوام على ... من جاءنا بقران غير ذي عوجِ
13. فيه الشفاء لنا يا رب فاشف به ... مريضنا وعلى أصحابه السرُجِ
14. فأولهم من رضاك المبتغى وانا ... بجاههم كل ما نرجو من الحوجِ

XXXIX

وقال أيضا من حرف الدال المهملة من بحر الطويل :

1. إلهي هذا العبد قد مسه الجهد ... وأوجس[2] من طرد مخائله تبدُو
2. وأشفى على يأس من الرحمة التي ... يؤملها كل العصاة ولو ندُوا
3. أتمنع عبدا رحمة قد نهيته ... عن اليأس منها ؟ بئس ما ظنه العبدُ
4. فلا يأس من رحمى لعبد ولو جنى ... وسيِّده بَرٌّ لَهُ الجود والمجدُ
5. إلهي هذا عبد سوء تعاظمت ... خطاياه إلا أنه عبدك الوغدُ
6. فأرفده واقبل يا كريم متابه ... وإلا فممن يرتجى العفو والرفدُ ؟

XL

وقال أيضا من حرف الراء المهملة من بحر الطويل أيضا

1. حنَانيك ما أرجوه منك كثيرُ ... وتيسيرمأمولي عليك يسيرُ
2. فإنك رحمن الدنى ورحيمها ... وإنك لا يخفى عليك نقيرُ
3. وتعلم يا ذا الطول أني لكل ما ... تُنَزِّلُ من خير إليَّ فقيرُ

---

(١) الأبج : الدهر.

(٢) أوجس : خاف.

4. وأني لا أرجو سواك وليس لي ... إذا ما عدمت النصر منك نصيرُ
5. أعوذ بك اللهم من خيبة الرجا ... ومن شؤم ذنبي إنه لكبيرُ
6. ولكنه في جنب حلمك سيِّدى ... وعفوك يا رب الأنام صغيرُ
7. فلا تحرمَنِّي فضل عفوك سيِّدى ... وأنت بحالي عالم وخبيرُ
8. فيا مالك الأخرى ويا مالك الدنى ... ويا من له كل الأمور تصيرُ
9. لك الحمد جد بالعفو والأمن والمنى ... فأنت على ما قد تشاء قديرُ
10. وصل وسلم ثم بارك وكرمن ... على من به وفد الدعاء يسيرُ

XLI

وقال أيضا منه من بحر المتقارب :

1. إلهي أمر الهوى قد أمر ... وقد غلبتني العدى فانتصرْ
2. فلا تسلمَنِّي لأيديهمُ ... فإني من أن يمكروا في حذرْ
3. أحاطت أعاديَّ بي رَحَجَوا ... بألاَّ مغيثَ ولا منتصرْ
4. ولم يعلموا أنني إنما ... بركنك ألتاذ يا مقتدرْ
5. فيا سيدي أنت نعم النصير ... ويا ملجئي أنت نعم الوزرْ
6. وإنك أنت الغنيُّ العظيم ... وإني أنا البائس المحتقرْ
7. دعوتك يا سيدي موقنا ... بذلي وعزك إنك برْ
8. ويا خيرَ معطٍ وخير مَسُول ... ويا مالك الملك جد وأجرْ
9. فجد لي بعفو يمحي الذنوب ... وجد لي بعافية تستمرْ
10. وجد لي بتسخير الاكوان لي ... وجد لي بتيسير كل عسرْ
11. ومن كل سوء أجرني ولا ... تكلني لنفسيَ لمح البصرْ
12. فمن ذا يجود إذا لم تجد ؟ ... ومن ذا يجير إذا لم تجرْ ؟
13. وصن ماء وجهي عمن سواك ... برزق حلال ويسر يسرْ
14. وسهِّل سبيل الوصول له ... هنيئا بلا منة لبشرْ
15. وإياك أرجو لأهلي ولي ... ومني إليك ومنهم أفرْ
16. فحطني ومن لي وإياهم ... بعين الرعاية من كل شرْ
17. فإن كنت جئت بكل الذنوب ... فإني بأنك ربي أقرْ

18. تباركت أعطيت الإيمان لي بلا طلب وهو أسنى وطرْ
19. فحطه بسور منيع ولا تسلط عليه عدوا يضرْ
20. أعوذ بنور سنا وجهك الكريم من السلب بعد الظفرْ
21. وعكس الرجاء وطرد الشقاء وجهد البلاء وسوء القدرْ
22. فيا أيها العبد ثق بالذي تريد فمالكُ رِقِّك برْ
23. قريب، مجيب سميع بصير قدير يُيَسِّرُ ما قد عسرْ
24. وجئ بالشفيع أمامك في مرادك تُحْبَ المنى وتُجَرَ[13]
25. وقلْ صلوات الإله على ختام النبيئين طه الأبرْ
26. ورضوانه ومبرته على صحبه الطاهرين الأزرْ

XLII

وقال أيضا من رويه وبحر المديد[1] :

1. بينما العسر مُعِمٌّ خَبَرَهْ إذ أتى اليسر فمحى أثرَهْ
2. أيها العبد سل الله فقط راضيا بالحكم فيما قدَرَهْ
3. وله أمرَكَ فَوِّضْ مخبتا ثم سلم لا تنازع قدَرَهْ
4. وعليه فتوكل واتقه يكفك الله شرُورَ الفَجَرَهْ

XLIII

وقال أيضا من حرف اللام من بحر البسيط :

1. الحمد لله رب العالمين له ملك السماوات والأرضين لم يزلِ
2. لم يحص حق ثناه الواصفون ولا يحصي ثَنَا أزَلِيٍّ غَيْرِ ذي أزلِ
3. يا رب وجهت وجهي أشتكي عللي وفي التوجه ما أنسى من العللِ
4. بمحض فضلك عاملني ولا ترني يا رب عد لك في شيء من الزللِ
5. أنت العليم بما فيه المصالح لي كن بي حفيا وكن لي ناصرا ووليِ
6. أعطيتني فوق ما أرجوه منك كما دفعت دون سؤال مقتضى عملي

---

(١) تجر : من أجار يجير فهو مجير وهو مجار.

(١) كذا في الأصل والصحيح أنها من الرمل.

7. فعد بفضلك يا من لا شبيه له ... فمنك الاحسان والتقصير من قبلي
8. لم أستحق لذاتي كل ذاك ولا ... لواجب من صفات يقتضي خجلي
9. لكن فضلك عم العالمين ولم ... أكن شقيا بما أدعوك يا أملي
10. فتحت يا ربِّ أبواب التوجه لي ... فافتح بفضلك أبواب الإجابة لي
11. وصلين على المختار هادي الانا ... م الفاتحِ المغلقات الخاتم الرسلِ

XLIV

وقال أيضاً من رويه من بحر الطويل :

1. أيا من هو الله العليم بحالي ... ويا من له كل الملوك موالِ
2. لك المثل الأعلى لك الحمد كله ... الك الملك، نفسي في عمى وضلالِ
3. عصت وطغت واستعصبت وتغلبت ... علي وسامتني بكل خبالِ
4. تقدم في كل المقاصد حظها ... وتفضح حتى في التوجه حالي
5. وقد سقت آمالي لحضرة سيدي ... وبحت بحالي في محط رحالي
6. وأيقنت أني فائز بالمراد إذ ... وقفت بآمالي على المتعالي
7. فمَهِّدْ ليَ النفسَ اللجوجَ وزكِّها ... فأكبر آمالي تَمَهُّدُها لي
8. وما النفس ؟ ما أعوانها ؟ عند مالك ... يدبر ما يقضي وليس يبالي
9. فإنك يا فتاح ربِّي وربها ... وإنك يا جبَّارُ أعظم والِ
10. الك الحكم فاحكم بيننا بالذي اقتضى ... فإنك خير الحاكمين سؤالي

XLV

وقال أيضا من رويه من بحر البسيط :

1. يا رب تعلم ما قد حل بي ونزلْ ... وليس يخفاك ما قد جل منه وقلْ
2. لكنني أرتجي من كشف غمته ... عني على القرب مالا يرتجيه رجلْ
3. كما قضيت به فاقض الخلاص لنا ... فبالقضاء عقودات القضاء تحلْ
4. وذاك أن هبات الأكرمين على ... مقدار ما بنفوس الأحوجين نزلْ
5. فأنت أعلم بي مني وأرحم بي ... منِّي وأقوى على كشف البلا وأجلْ
6. وأنت أكرم من أعطى وأقرب من ... يدعى وأقدر من يرجى لكشف جللْ
7. وآنَ أحوج مخلوقٍ وأضعفُه ... حولا وأعظمه جريمة وأذلْ[1]

(1) آن : لغة في أنا.

XLVI

وقال أيضاً من حرف الميم من بحر الرجز :

1. يا عالما بحالتي في عدمي — وأنني سوف نزل قدمي
2. ثم ألاقي حسرتي وندمي — ثم أمت لك بابن عبدم
3. أوجدت أصلي بوجود آدم — ثم لنطفة إلى طور دم
4. لطور مضغة لطور الأعظم — ثم كَسَوْتَ أعظمي من ألحم
5. ومُنْتَنِي في ظلمات الرَّحِم — بنعم موصولة بنعم[1]
6. حتى خرجت من تخوم الظلم — إلى فضاء واسع[2]
7. ولم تزل منك الأيادي تنهمي — عليَّ والحمد لباري النسم
8. حتى إذا بلغتُ سن الحلم — دعوتني لك ولم أستقم
9. ثم ظلمت باكتساب المأثم — نفسي وسمتها خسيس المغنم
10. وما اتعظت بنذير الهرم — ولا بشيب في سواد اللمم
11. كسارقٍ بجهمة مُجْتَهم — أو طارق يريد قطع البلعم[3]
12. وغرني بك جميل الكرم — وحسن ما عودتني من أنعم
13. والآن قد قرعت سنُّ الندم — وبؤت الان بعظام النعم
14. وبالذي اكتسبت من محرم — وذل نفسي لست عنه بعم
15. فآدني[1] على زمانٍ تحتمي — أهلوه منه بلظى جهنم

XLVII

وقال أيضاً من حرف النون من بحر البسيط :

1. نجيتَ من ظلمات الغم ذا النون — ونال منها رخاء غير مظنون
2. وقلت في الذكر ننجي المؤمنين وقد — فتحت باب الرجا لكل مغبون
3. وقد دعوتك مكروبا على ثقة — مما أجبت به يا رب ذا النون

---

(1) منتني : غذوتني.

(2) بياض بالأصل.

(3) جهمة : آخر الليل.
مجتهم عابس.

(١) آدني : أعني.

4. وقلت سبحانك اللهم ربي لا إله غيرك إني جد مفتونِ
5. إن كان تنزيهه إيَّاك أقدس من تنزيهنا وهو في إلمامه دوني
6. فإن حاجتنا للعفو واحدة وشدة الغم تعروه وتعروني
7. وكلنا لك ثاوٍ في عبودية وظل الإسلام يؤويه ويؤويني
8. وقدرة الله للتفريج صالحةٌ عنه وعني أنجته وتنجيني
9. وأحسن العفو وقعا عفو مقتدرٍ عن ذنب منكسر التامور محزونِ
10. وإن حسن اختيار الله لي وله عن المسائل أغناه ويغنيني

XLVIII

وقال أيضاً من رويه وبحره :

1. يا أيها العبد إن الله سبحانهْ أسدى إليك أياديه وإحسانهْ
2. فلا تَمُدُّ لغير الله بطن يد معتادة لعطايا الله سبحانهْ
3. ولا يصدنك الشيطان عن كرم عمَّ الأنام ونفس منك فتانهْ
4. ظلمت نفسك يا مسكين فانتبهن عن سيِّئ الظن إن النفس ظنانَهْ
5. فالله جل اسمه أعطاك من كرم ومحض فضل من الخيرات إيقانَهْ
6. ولن يغير ما أعطاك من منَنٍ حتى تبدل ما أعطاك كفرانهْ
7. فاشكر يزدك من الفضل الهني ومتى ألممت بالذنب يوما فارج غفرانَهْ
8. فإنما أخرج الإنسان من عدم ليعبدوه علا فلتتل قرآنهْ
9. سبحانَ من كان بالإحسان مبتدئا فضلا وحمدا لمولانا وشكرانَهْ
10. هب كيف تقنط يوما من مواهبه وقد حباك ولم تسأله إيمانهْ
11. وحيث كنت مقاما عنده فأقم يمدك باللطف من شاهدت إحسانَهْ
12. وكابد النفس واقهرها لوجهته فالنفس أمَّارة بالسوء خوانهْ
13. وهل مددت لما تبغيه قط يدا فلم تجده قريبا منك سبحانهْ ؟
14. وهل نَبَا بكَ دهر أو جفاكَ أخ إلا وجدت رحيم الكُلِّ رَحمانَهْ ؟
15. ولا تدنس محيا كان عوده برا وكان من الأغيار قد صانَهْ
16. وأحقر الحاج حاجات الخلاء فمن أعطى برازاً ؟ ومن أعطاك عيدانَهْ ؟
17. ومن حباك قُوًى في الجوف تدفعه رشد أزرك حتى جنت دكانهْ ؟

18. ومن أقام بأكول له نَفَقا ... يجري به ناظرا في الجري إبانَهْ ؟
19. فإن مسلك هذا غيرُ مَسْلَك ذا ... مضت بذا حكمة تدبيرها زانَهْ
20. جاران بالقسط قاما في أمورهما ... ورُبَّ جار جفا بالجور جيرانَهْ
21. فأين حولك من شكران نعمة من ... أعطاك عقلك فضلا منه سبحانهْ ؟
22. يا عبد خسرانك الخسران إن عدلت ... باللـه مهجتك الحمقاء أكوانهْ
23. فشق بربك رب الخلق وارض به ... وطلق الهم واعزل عنك شيطانهْ
24. ولج بهمة صدق بحر برز خه ... فهمة الحر للتدبير طحانهْ

XLIX

وقال أيضاً من رويه من بحر الكامل :

1. يا من يرى حالي ويعلم شاني ... ويرى مواقع شدتي ويراني
2. يا من يرى ضعفي وقلة حيلتي ... ويرى ويعلم فاقتي ومكاني
3. أدعوك وحدك ضارعا لك سائلا ... لك مستعينا باسمك الرحمانِ
4. لا لا أمت إليك إلا بالذي ... عودتني من عادة الإحسانِ
5. عافيتني وسترتَني وحبوتَني ... ما لو سألتك ضلَّ عنه إساني
6. ولما اهتدى فكري لضبط صنوفه ... وأجل ذلك نعمة الإيمانِ
7. زينته في القلب دون وسيلة ... بسؤال مذود أو طلاب جنانِ
8. ومن الشكوك حفظته وأقمت دَوْ ... حَة أصله مخضودة الأغصانِ
9. فبأي جارحة أؤدِّي شكر ما ... أوليتني من نعمة وأمانِ ؟
10. ولأي شيء أطمئن والأمن من ... مكر العظيم يرى من الخسرانِ ؟
11. هذا مقامي عائذا برضاك من ... سَخَطٍ ومن طرد ومن خذلانِ
12. ويعفو ربي من جميع عقابه ... وبرحمة سبقت من الحرمانِ
13. يا رب أجر خفي لطفك في الذي ... أنا فيه واخصصني بعطف حنانِ
14. وبرحمة تجلو دجنة شدتي ... وتقيم عزا في مكان هوانِ
15. حزنت أودائي لذين وحسدي ... فرحوا بذين مسرة الجذلانِ
16. فظلال فضلك للعفاة وريفة ... وقطوف عفوك للجناة دوانِ
17. لا زمهرير يخاف ذائق برد ذا ... ومنال ذا لم يخش جور زمانِ

18. اللـــه أكـبر، هـــل أنـــا ـ اللّـــهُ أكْبَـرُ ـ هـــل أنـــا إلا عـبيـد جـانِ ؟
19. عـمل القبيح وقـد درى أن ربـه يعـفـو وجـاء بـتوبـة اللـهـفانِ
20. فعساك يا ذا المن والإفضال أن تقـضـي لـنـا بالعـفـو والغـفرانِ
21. وتعيذني فيـما قد استرعيتني من أمـر دينـك يا عـظيم الشـانِ
22. وتديم ذلـك لـي معافى مكرما حتـى تفـارق مهـجـتى جثمانـي
23. وتنـيـل ذاك أقـاربي وأحبـتي والمـؤمنـين وسـائـر الإخـوانِ
24. كـرم الكـريم وحسن ما يختاره لـي عـن سـؤال نـوالـه كفـيانـي
25. من ذا يبوح بحاجةٍ من بعدما سمـيت نفسك باسمك المنـانِ
26. وعـلى شـفيـع العالمين محمد يـا رب صـــل وكـملـن أمـانـي

L

وقال أيضاً من حرف الفاء من بحر البسيط :

1. يا رب هب للعبيد المذنب الجافي من فـضلك الجم رزقا طيبا صافي
2. مـباركا واسـعا فـي البـر أنفقـه لـوجهـه دون إقـتـار وإسـرافِ
3. وضـاعـفـنـه لـنـا إلـى المئـيـن إلـى الآلاف ثـم إلـى آلاف الآلافِ
4. فأنـت أكـرم وهـّـاب وأرحـم حـنـّان وأرأف منـان بألـطـافِ

LI

وقال أيضاً من بحره من حرف الهاء :

1. هـلا رجـوت اللـه وهـو اللـه إذ ليـس يعـلم غـيبَه إلا هـو
2. سبـحـانه شـملت عـواطف بـرّهُ كـل الأنـام وجـل ذكـر عـلاهُ
3. أو ليس عـودك الجـميل بفـضله ؟ أو ليس أعطى فـوق مـا تـهواهُ ؟
4. أم هـل رأيـت لمـن سواه منـة ؟ أم خاب قـصدك عـنـد بـاب نداهُ ؟
5. أتظن ربـك يخـلف الميعاد ؟ أم نـفـدت خـزائـن رزقـه ؟ حاشاهُ !
6. أتراه يعـرض عـن إجابة عبده وهـو اللطـيف البـر، وهـو اللـهُ ؟
7. أم سـاء ظنـك بالكريم لسـوء مـا تأتي ؟ أم استعظمت مـا تغشاهُ ؟
8. أم آل أوهـام الأمـانـي لاح فـي قـاع الهـوى فـغرقت في مجراهُ ؟
9. وظـللت تتـبعه وتـعـلم أن مـن طلب السراب يخيب في مسعاهُ

10. عجبا لمثلك عاقلا يدع اليقين ويتبع الموهوم في مهواهُ
11. بل تب لربك واعلم ألاَّ يرفع الشكوى ولا يعطي المراد سواهُ
12. ومن الحماقة أن تبوح بحاجة هو مبتليك بها لعبد ما هو
13. وبقدر ما عظم احتياجك فليكن عظم الرجاء من العظيم جداهُ
14. وبباب عفو الله قم متطارحا واستعطفنه وناد يا غوثاهُ
15. يا مالكا لزمام عبد حظوظه وفقه للعمل الذي ترضاهُ
16. واعطف عليه فإنه وإن اعتدى يرجوك يا مولاه يا مولاهُ
17. لا تخز عبدا جاء بابك تائبا خجلا فتشمت بالعبيد عداهُ
18. وترى تظاهره عليه بجنده ويرونه والعبد ليس يراهُ
19. إن لم ينل شرف العَبيد ولم يضف لك بل أضيف لحظه وهواهُ
20. فالعبد قد يهفو ويصفح ربه كرما ويغمره ببحر رضاهُ
21. إذ لا بقاء مع القديم لحادث فأنا العبيد وأنت ربي اللهُ

LII

وقال أيضاً من حرف الياء من بحر الطويل :

1. عماد رجائي من سوى الله واهيَهْ وألطافه بي لم تزل متناهيهْ
2. فهذا مقامي عائذا بجلاله مقرا بأني قد أتيت مناهيهْ
3. ولكنني أرجو فكاكي بتوبة يمن بها ربي لذلك ماحيهْ
4. فأصبح من أغلاله متخلصا فلا أثر منه علي ولا شيهْ
5. لمن هو بَرٌّ بي رفعت حوائجي قدير على نفعي بصير بحاليهْ
6. وأعلم أن الله ربي قادر مريد ولا تخفى على الله خافيَهْ
7. وأعرضت عن كل الملوك لأنني تعودت من رب الملوك أياديهْ
8. رضيت بك اللهم ربا وبالنبي رسولا وبالبيضاء دينا كما هيَهْ
9. لك الحمد عودت الجميل فعد به علي فأوصاف العلى لك باهيَهْ
10. وهب لي في الدارين كل كرامة وهب لي في كلتيهما كل عافيَهْ

LIII

ومن هذا النمط بجامع التوسل، ومن الأسلوب بعلة التوصل، ما وجهه الوالد رضى الله عنه إلى الإخوان في الطريقة[1] الفاسيين أن ينشدوه بزاوية الشيخ[2] رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به، متوسلا به وبجده صلى الله عليه وسلم، من رسالة قال في آخرها :

«واعلموا أنا كتبنا بمحول هذه الوثيقة أبياتا متشبثين فيها بأذيال الشيخ رضي الله عنه مستشفعين به إلى الله ورسوله بالإعانة على صروف الدهر فاستوصوا بها خيرا، واطلبوا من يوصلها إلى روضته ويحكيها، عسى الله أن يشفعه فينا بزوال ما فيها، وهي» :

قلت : من حرفه الراء من بحر الطويل :

1. شهدنا بأن الله جل قديرُ ... عليم بشكوى من شكاه خبيرُ
2. وأن رسول الله أدنى وسيلة ... إلى حضرة فيها المجار مجيرُ
3. وأكرم معطاء وأقسط قاسمٍ ... بما اقتطع القسم الإلهي يسيرُ
4. عليه صلاة الله جل ثناءه ... صلاة إلى عين الجمال تشيرُ
5. وأنك يا شيخ المشائخ عدة ... وملجأ احمى للمريد نصيرُ
6. بحق الذي أعطاك أرفع رتبة ... بلغت بها ما لم يناله بصيرُ
7. وحق الذي حاز الشفاعة جهرة ... على حين عز المستجير نصيرُ
8. وحقك عند الحق ثم بحق نا ... صر الحق إلا قام منك بشيرُ
9. رجوناكم أن يجعل الله عسرنا ... برحمته يسرا وذاك يسيرُ
10. ربا الخطب حتى غط جهدا فكلنا ... لما كان من خير يحم فقيرُ
11. رجونا لريب الدهر جاهكما رداً ... على أزمة منها الجبال تمورُ
12. تَخِذْنَاكُمُ حصنا مفرا لنا وَلاَ ... تَ حين مَنَاصٍ والخلاص عسيرُ
13. ديون ترامت لا اصطبار لأهلها ... ولا وفر يقضيها والأمر خطيرُ
14. فكم حنَّ منا خاطر لوصالكم ... فعاقت أُسًى هل للأسير مَسيرُ ؟
15. حرام على قلب تحقق لمحة ... بحبكم أن يستبيه سميرُ
16. وأن يتحرى بث شكواه مقصداً ... سواكم فلن يلفى سواكم ظهيرُ
17. ألا كل رغباء عدتكم عيبَّةٌ ... وكل جدى ممن سواكم حقيرُ

---

(1) الطريقة : يعني الطريقة التجانية.

(2) الشيخ : يعني الشيخ أحمد التجاني.

LIV

ومن رسالة كتب بها إلى الشيخ عمر وهو عنده عام أول :

«أيها الشيخ حفظ الله مجادتكم، وأثبت سيادتكم، وأيدكم بنصره، وأعانكم على ما استرعاكم من أمره، اعلموا أنه لا يخبأ عن مثلكم مكنون، ولا يطوى عنكم مصون، فقد نزلت بنا حاجة دهر ضاقت منها الأحوال، وتكاثرت بها الأثقال. فأنزلنا هذه الحاجة قبل بالشيخ[1] رضي الله عنه وعنا به، وبعثنا إلى حضرته الشريفة بهذه الابيات» :

قلت : وهي من حرف اللام من بحر الكامل :

1. يا شيخ إن خديم حضْرَتِكُمْ أتى ... يشكو صُرُوفَ زمانه فارثُوا لَهُ
2. وبفضل جاهكم وجاه المصطفى ... صلى عليه الله يرجو سواهُ
3. فاستنقذوه من الزمان وريبه ... واقضوا له من فضلكم مأمولَهُ

انتهى المراد من البطاقة

LV

وكتب تحتها بخط يده ثلاثة أبيات من حرف الراء من بحر الطويل يخاطب الشيخ عمر وهي :

1. أيا شيخُ قد طال انتظاري لحاجة ... قد أنزلتها بالشيخ في سالف الدهرِ
2. تهنيت منها واثقا بحصولها ... وأنت له نعم الخليفةُ في الأمرِ
3. وألهمت أن الشيخ أنزلها بكم ... لقول رسول الله فائتي أبا بكرِ[2]

---

(1) الشيخ : يعني الشيخ أحمد التجاني.

(2) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (الجامع الصحيح، ج 4، ص 191) عن جبير بن مطعم قال : «أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال صلى الله عليه وسلم إن لم تجديني فائتي أبا بكر»، وأخرجه مسلم (الجامع الصحيح بشرح النووي، ج 15، ص 254) والترمذي (السنن، ج 5، ص 574).

جامع بقية الأشعار مرتبة على الحروف
آت بمجموع ما قال على النمط المعروف

قال وفقه الله تعالى من حرف الهمزة من بحر الكامل :

LVI

1. بيض المراوح للجنان نساءُ — قصت بمجلسنا لها أنباءُ
2. عرب يدرن على البعولة أكؤساً — فيها مطاعم جلها حلواءُ

LVII

وقال أيضاً من هذا الحرف من البسيط في شأن نائرة المد[1] التي تجاذبتها الأشراف من أهل تيشيت وهي نائرة عظيمة :

1. خير من إمساك هذا المد إعطاؤهْ — وأخذ ذا المد خير منه إعفاؤهْ
2. والمد أحقر شأنا أن تضن به — دفعا وتركا نفوس عمها داؤهْ
3. وقد أضيع به أمر الهوى وعصت — فيه النفوس مليكا جلت أسماؤهْ
4. فالطالبون له والمانعون له — عموا وسوف تجلى بعد أسواؤهْ
5. ما جد في منعه إلا الكرام ولم — يلج في أخذه إلا أجلاؤهْ
6. أنباؤهْ عميت عنها بصائرهم — وكلهم ملكته فيه أهواؤهْ
7. إن قلت أعطوا يقل نعطي الحرام وإن — تقل دعوا قيل أمر واجب ذاؤهْ
8. ما عذر مانعه والموجبين له — إذا بدت يوم حشر الناس أنباؤهْ ؟
9. حار الحليم لهذا الأمر وانقطعت — عرى المراشد إذ أعيته آراؤهْ
10. يا رب خذ بنواصي الكل واهدهم — إليك يا من سمت في الكل آلاؤهْ

---

(1) المد : المكيال المعروف، والظاهر أن الأبيات تعبر عن موقف صاحب الديوان من الخلاف الدائر بين أهل تيشيت حول نظام الضيافة وما اقتضاه التكافل فيها من دفع مد زرع إلى القائم بأمور المدينة، وهذا النزاع جزء من النزاعات المعروفة في تيشيت حول التنظيم الاقتصادي الجباني، والتي كانت سبب تأليف أحمد الصغير بن حمى الله المسلمي التيشبتي (ت 1272هـ) كتابيه الهامين : فتح المقيت في إبطال مكوس تيشيت، وفتح القدوس في إبطال أسوس المكوس. وقد قال، أي أحمد الصغير في فتح القدوس إن النزاع حول المد بدأ سنة 1241هـ، واستمر سائر القرن الثاني عشر وبحر الثالث عشر (راجع عرضه للمسألة، وقد نقله ابن حامد : أهل مسلم، ص 14).

11. واجبر صدوع قلوب أنت مالكهـا ... في زيد تصداعها تسعى أطبـاؤُهْ
12. بجـاه مـن ألـف المـولى بطلعتـه ... بـين القـلوب نبـي الكـون نـبأؤُهْ
13. عـلـيه صـل صـلاة يستبين بـهـا ... وجـه السداد ليـقفو الحـق حـذاؤُهْ

LVIII

وقال وقد سأل عن مولود من بحره من الباء :

1. كيـف الغـلام أقـر اللـه عين أبه ... بـه وعافاه رب العرش من وصبهْ
2. أبقاه مـانحه في خفض عـافية ... حـتى يتـم لـه فيـه مـراد أبـهْ

LIX

وقال أيضاً وهو سؤال وجهه إلى بعض علماء الجان من حرف الدال المهملة من بحر الطويل :

1. أيـا صـالحي الجـن السلام عليكم ... وبـعد فمـا فتـراكم عـن ذوي ورد
2. قـد التـزموه عـن مُـرادٍ وأسـلموا ... نفـوسهم بعـدا لآخـر ذي رشـد
3. وقـال دعـوا أورادكـم قـبل وادخلوا ... طـريقـتنا هـذي وإلا دعـوا عـهدي
4. ولكنـني مسـتلـزم لنجـاتـكم ... فـلا تخـشون السلبَ أو حرفة الطرد
5. فـهل قـوله هـذا يسـوغ نقضـهم ... لمنبـرم العـهد الـذي نـقضه يردي ؟
6. وهل منع نقض العهد ليس بمجمع ... عـليه ؟ وإلا فـالجـواز عـلى بعد
7. أم المنع محـمول عـلى غـير بابـه ... وهل يحمل الإحسان شيئاً من النقد ؟
8. إذن فهو نقص وهو في باب قادحٍ ... أبينوا بما يشفي الغليل الذي عندي
9. وما حكم من عن ورد أستاذه ونى ... فـغـادره لا عـن تَـأبٍّ ولا صـدّ
10. فيـمم هـذا الشـيخ متـخذا لـه ... فأسلم أمـرا واسـتراح مـن الجـهد
11. فنبه للتفـريط فـي تـرك ورده ... فـهـل يتـلافـى أو تـداركـه مـرد ؟
12. وأيـهـما أجـدى وأدهـى مضرة ... وهل جمعه يجدي ؟ وهل تركه يجدي ؟
13. وهـل فـارق مـا بـين حـي وميـت ... من أشياخنا الأبرار في ملزم العهد ؟
14. أجيـبوا بالايجـاز البليغ وأضـربوا ... عن الطول فالتطويل يلهي عن القصد
15. وفـي علـمكم أن المجـيب لسـائل ... طبيب وكـل ينتـحي موضع الفصد

وكتب تحته ما نصه :

«وحاصل هذا السؤال أن المريد الآخذ ورده عن شيخ بواسطة هل له الدخول في عهد شيخ آخر شرط عليه ترك ما عنده من الأوراد والتزام أوراد هذا الشيخ، وقال له لا يلحقك ضرر من الشيخ السابق، فهل هذا يبيح له نقض هذا العهد الأول ؟ وعلى أنه يبيحه فما وجه قول الأئمة إن نقض عهد الأشياخ حرام ؟ وهل هناك قائل بجوازه ؟ وهل المنع على التنزيه فيكون مكروها ؟ ومن المعلوم أن العهود والقيام بها وتركها ونقضها راجعة إلى مقام التصوف وهو مبني على الإحسان وهو لا يحتمل قادحا ما. وهل للمريد التارك لورد الشيخ لا زهدا فيه ولا رغبة عنه بل العجز عن أعبائه لكثرة أشغاله الداخل في زمرة مثل هذا الشيخ في اشتراط عدم اجتماع ورده مع ورد أن يبقى ثابتا على ورد شيخه هذا فقط فيكون ناقضا للعهد الأول ؟ أو لا يكون ناقضا له بثباته على ورد هذا الأخير ؟ أو يجمع بينهما فيكون مقتحما لنهي شيخه الأخير ؟ وهل تعلمون فرقا بين ورد مأخوذ عن شيخ وورد مأخوذ عن واسطته ؟ أو تعلمون فرقا في التزام العهد بين المأخوذ عنه الحي وبين المأخوذ عنه الميت ؟ أجيبوا والسلام».

فأجاب الجني بما نصه :

«بعد الحمد وتوابعه، موجبه أن المريد الآخذ ورده عن شيخ بواسطة فكأنما أخذ عن الأول بلا واسطة، وأما كونه أخذ وردا عن شيخ آخر فجائز ولا يترك الذي كان عنده فإن تركه استهزاء بالأول، فذلك سبب في سلب الإيمان نعوذ بالله من ذلك.

وأما جمعهما فجائز لأنه نور على نور ولا تمل لأحد منهما نفسه عن الآخر لكن الأول آكد من الثاني.

وأما قول الثاني لا يلحقك ضرر فذلك غير جائز لأنه حاد به عن طاعة ولا يدري الأول والثاني أيهما مقبول والأولى عندي جمعهما إن قدر وإلا ترك الثاني.

وأما قول الأئمة نقض عهد الأشياخ حرام فصحيح لأن التزام الأوراد كالتزام طاعة نذر، والنذر لا يجوز تركه إلا لمشقة، وأي مشقة تنال من هذا ؟

كذلك الورد إن التزمه شخص لا يجوز له انتقال منه إلى آخر.

وأما المريد التارك ورد الشيخ لازهدا فيه ولا رغبة عنه بل للعجز فكموفيه ولا يكون له ذلك نقض عهد.

وأما المأخوذ عنه حيا فلا يكون كالميت إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم فما أخذ منه نائما فكالمأخوذ عنه حيا.

والسلام عليكم ورحمة الله».

انتهى الجواب. قلت ولا يخفاك ما فيه من النظر والتعقب، وليس هذا محل رده والله أعلم.

LX

وقال أيضاً مخاطباً لبعض أقاربه وأصدقائه من حرف الراء المهملة (من بحر البسيط) :

1. لقد أصابتك عين عرضك انتثرا ... منها وقى الله منها الدين والعمُرا
2. حتى تقحمت أمرا فيه مسخرة ... أشمت فيها بنا من العدى زمرا
3. ونلت أوفر حظ من شماتتهم ... وحافر الحفر قد يهوي بما حفرا
4. لو كان ما كان عن بلوى أصبت بها ... لهان فعلك ذا عندى وما كبرا
5. ولا إخالك إلا واصلا رحما ... به قطعت ذوي رحم أشد عرَى
6. وكل ساع سيلقى ما سعى وله ... مدى سيبلغه وسعيه سيرَى
7. كن خل من شئت واستحصد مقاطعة ... وإنما يحصد الإنسان ما بذرا
8. وهبك غرتك من طبعي دماثته ... والحر إن سمته خسفا رماك ورا
9. وليس ألين من لمس الزجاج ولا ... ذباب سيف بوازيه إذا انكسرا

LXI

وقال أيضاً في قضية وقع بينه وبين بعض قضاة الوقت فيها تنازع، وهي من حرف الراء المهملة أيضاً من بحر السريع :

1. يا رائدا بغيته دائره ... بمنهج أعلامه داثرَهْ
2. تطلب أن تلقى الهدى سافرا ... علومه أحكامها سائرَهْ
3. لا مطمع يشوبها والهوى ... أيديه عن تلك العلى قاصرَهْ
4. أقصر فقد حاولت ما لم يكن ... بهين فاستأثر الآخرَهْ
5. ناد جهارا سادما باكيا ... مصيبة حلت بنا فاقرَهْ
6. من لي بقائل على ربوة ... بجرأة لها الطُلى صاغرَهْ
7. أيا حماة الدين أهل الهدى ... قوموا لذي النائرة الثائرَهْ
8. وابكوا على ما ناب من أمرها ... ولتُشْكِنَا الطائفة الماهرَهْ
9. من قد أتى في حقها أنها ... قائمة بالسنة الطاهرَهْ

10. ولا يـــزال هـكـذا شـأنـهـا ... حتـــى تـقـوم الـسـاعـة الـبـاهـرَهْ
11. يـا أسـفـا عـلـى حـمـى ديـنـنـا ... مـــن زلـة مـــن جـلـة بـاصـرَهْ
12. بالعلم موصوفين عـنـد الـورى ... وخـصـلـة الـزهـو بـهـا سـافـرَهْ
13. يـا أسـفـا مـن هتـك فـتـاكـة ... أشـبـاهـهـا تحـمـي الحـمـى ظـاهـرَهْ
14. فخف على الحمى إذ اهل الحمى ... تـسـاقـطـوا أن يقطعوا دابـرَهْ
15. وحـاولوا استئصال شأفته ... بحيلة تـدهـي الـنـهـى بـاقـرَهْ
16. إن كـان عـن عـلـم فـمـا هكـذا ... يـكـون أو جـهـل فـعـن دائـرَهْ
17. هل خيف من عزو الجهالات ؟ أم ... هل خيف أن تـخزى لـهم فـاخـرَهْ ؟
18. هيـهـات أصـل الـعـلـم عـن كُلَّذَا ... بـعـزل فـلـتـربـع الـنـافـرَهْ
19. قـد عـمـنـا الجـهـل ولـكـن نـرى ... ألا سـكـوت فـي الـذى آثـرَهْ
20. نقتص آثـار الـذي قد بـدت ... هـنـاتـه حـتـى تـرى زاجـرَهْ
21. ومـــن يَلـمـجُّ أو يـرى غـيـر ذا ... أرضـى يـجـب بقـولـة غـابـرَهْ
22. «إن عـادت العقـرب عـدنـا لـهـا ... وكـانـت الـنـعـل لـهـا حـاضـرَهْ»[1]
23. يـأبـى الإلـه أن يـرى دينـه ... إلا بـقـوة غـدت قـاهـرَهْ

LXII

وقال أيضاً من حرف اللام من بحر الطويل :

1. تَمَنْدَلَ بي حَمَّانُ[2] كـل التَّمَنْدُلِ ... بمحضر قـوم سـادة أصـدقاء لـي
2. ليـدرك حـقاً، قـال أبطلته لـه ... جُنوحا إلى من بعض أمري قد بلي
3. ومـا هكـذا عـهدي بنفسي ظننتني ... وهـذا مَجَـالٌ ليس فيـه بـأولِ
4. ولـكن يـسوء المرء مـن أهـل وده ... أقـلُّ جَفـاء المـاكـر المتمـحلِ
5. ومـوعدنا يـوم القيـامـة حيـث لا ... يمكـن شـفـر مـن مـقـال مـبدلِ

---

(1) البيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، وهو في الأصفهاني : الأغاني، ج 16، ص 128. وصدره فيه : فإن تعد عادت لما ساءها.

(2) حمان : لم نعرفه، والظاهر أنه أحد خصوم الشاعر.

LXIII

وقال أيضاً لما تولى القضاء وكثر عليه اللغط من حرفه من بحر السريع :

1. ما بالكم يا أهل دين العلي ... أعرضتم عن أمر دين جلي
2. مالي أراكم معرضين كأن ... لم تسمعوا بالحادث الجلل
3. ألقيتموني في بحار القضا ... وقلتم لي احذر من البلل
4. إن قلت فيه الحق يلغ وإن ... يحكم لغى[1] بغيره يقبل
5. فلست أرضى خطة الخسف لي ... إذا رضيتم خطة الخسف لي
6. إن كنت مرضيا فما هكذا ... يا سعد إيرادك للإبل
7. وإن وجدتم في نفوسكم ... علي في ذات الإله العلي
8. بأن تساهلت ولم أتئد ... أوحفت في حكم ولم أعدل
9. فأسلموا حبلي على غاربي ... وسلموني واستروا زللي
10. تأملوا شعري وفي بحره ... خوضوا ففي مضمونه مأملي

LXIV

وقال أيضاً من حرف الميم من بحر البسيط :

1. مالي وللناس وحدي كنت في العدم ... كتبت في اللوح عينا وحد بالقلم[1]
2. وأبدع الله روحي وحده وكذا ... عليه وحدي كان المسح في النسم
3. وكنت وحديَ نطفةً دما عَلقا ... عظما ولحما ونفخ الروح في الرحم
4. ثم انفصلت إلى الدنيا وليس معي ... شيء ووحدي في مهدي وفي حلمي
5. كلفت وحدي والأملاك قد كتبوا ... علي وحدي طاعاتي ومجترمي
6. وسوف تنزع روحي ثم أدخل في ... قبري وأسأل وحدي ثَمَّ في الرمم
7. أقوم وحدي وعند الوزن يوزن ما ... عملت وحدي إلى محصول مختتمي
8. عشرون طورا بها وحدي أنا وإذا ... فصلت أربت على ألف ولم ترم

---

(١) لغى : ملغى.

(١) وحدي : وحدي باختلاس الكسرة من ياء المتكلم وهي لغة فصيحة.

LXV

وقال أيضاً من بحره من رويه : [بسيط]

1. حمدت من لست أحصي شكر أنعمه ... حمدا يكافئ ما أسدى من النعمِ
2. وبعد فالحال نادت وهي ضيقة ... ماذا يقول كريم من ذوي الهممِ
3. في حر مال لحرٍّ جاء يطلبه ... في ظاهر الشرع أو في عادة الكَرَمِ ؟

LXVI

وقال أيضاً من باب النون من بحر الخفيف :

1. ذهب العمر في اقتراح الأماني ... والأماني مغارس الحرمانِ
2. ليت حرف محموله في ارتفاع ... نصب موضوعه بديع الزمانِ
3. ليس في الكون ما يروح ليرجى ... ربحه سالما من الخسرانِ
4. أغنى مشرب بطول حساب ... وعناء وذلة وهوانِ ؟
5. أم إخاءٌ صرفٌ من إخوان دهر ... أهله كل آفك خوانِ ؟

LXVII

وقال أيضاً في رجوع لشيخنا محمد صالح بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى عن حكم كان حكم فيه قبل فرجع عنه وهي من حرف العين المهملة من بحر الطويل.

ووجدت بخطه وفقه الله تعالى قبلها ما نصه، بعد الحمد وتوابعه :

«أما بعد فقد وقف كاتبه وفقه الله تعالى على مكتوب بخط الأخ المكرم المحوط بعين الله صالح بن عبد الوهاب يتضمن رجوعه عن حكم حكم فيه قبل بما أراه الله، ثم لما تبين له أنه غير موافق تبرأ منه لله، فاستحسن ذلك منه وارتضاه، واستحق به عليه ثناء حسنا، وتقلد له بذلك مننا، وأدخل عليه سرورا عظيما، فرح به على الإسلام فرحا جسيما، فهو من جملة شهدائه على الدخول في سلك الموفقين، والعلماء المحققين، وله أسوة حسنة من أكابر السلف، وأماجد الخلف، فهاج من قريحته كامن حياة، وأحبه واشتاق إلى لقياه، وفي الحديث «من أحب أخاً»[1]، فرحم الله عبدا بلغه هذه الرقعة، المتضمنة لهذه القطعة : [الطويل]

---

(1) «من أحب أخاه» إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي (السنن، ج 4، ص 517) عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه». قال الترمذي : وفي الباب عن أبي ذر وأنس، وأخرجه أبو داود (السنن، ج 4، ص 334) عن المقدام بن معد يكرب ولفظه : «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه».

1. جَزَى الله خيراً صالحاً برجوعه إلى الحق لما لاح ضوء شموعه
2. وأحيا به شرعا محا الجهل رسمه وخيم في أطلاله وربوعه
3. وأجزل في التوفيق والعدل حظه وما كلُّ قاض نال فضل كروعه
4. فداً لكَ ولأَّجُ القضاء وماله من العلم إلا مِلْءُ نَفْرَةِ كوعه
5. يري منه زند الحكم قبل اقتداحه ويسمع قول الخصم قبل شروعه
6. ويفديك رجاعٌ بأول لائحٍ وآخر يلقى الموت قبل رجوعه
7. جزى الله عن أهل الحنيفة صالحا بصالحة تقضي بتشييت روعه

خاتمة

وهذا آخر هذا الديوان المبارك الميمون، المحتوي على شعر الوالد وماله من رقيق مصون، وما نقلت منه حرفا إلا من خطه، ولا قصيدة ولا خبرا إلا بضبطه، فليس لي فيه إلا محض الترتيب والاقتناص، وجمعه وضبط العام منه والخاص، ولقد والله بذلت في جمعه جهدي، وأبديت فيه ما عندي، وتقدم الحامل على جمعه في مقدمته بنوعه، وأحسب أنه بقي منه ضائعا كثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الكبير.

هذا، وكم من قصيدة من أشعار أهل الوقت لولا تصحيحه وترتيبه لم يتضح لها صباح، ولا ظفر صاحبها بفلاح، فهي له نسجا وترتيبا، ولصاحبها عزوا وتقريبا، وكم من قصيدة هذبها وأعمل فيها الفكرة، على لسان غيره فنسبت له شهرة، يعلم ذلك من مازجه وصادقه، وخالطه ورافقه، ولا عجب فالميزان محل الخبرة، وكل موزون تعرف فيه قدره، وعليه يمر كل ناقص وتام، ويتبين بمعياره وجه النقص والتمام، ومن استقرأ جوامع الأشعار الوقتية، وتملك ملكة شعره القوية، عرف شعره فيها شمسه تلوح، ولو كان يرقى عن صبوح، حفظه الله بعين رعايته، ووقاه بكلاءة وقايته، آمين.

وقد أودعناه ما قال وفقه الله تعالى من أول أمره إلى أول يوم من ذي الحجة الحرام آخر سنة أربع وسبعين ومائتين وألف مما وقفنا عليه، أوحصنا لديه وحواليه.

والله جل اسمه وتقدست أسماؤه، أسأله أن تفاض عليه وعلينا آلاؤه، ويوفقنا لشكر ما به أنعم، ونحمده سبحانه على ما علم وألهم، ونستغفره سبحانه من جميع ما قضى به من الذنوب، ونستوهبه توبة خالصة تزيل ما تعلق من الدرن والعيوب، ونعوذ بجلال مجده وألوهيته، من سخطه وعقوبته، ومن تصنع ربما وقع، ومن رياء في بعض الأحيان يقع، ونسأله سبحانه بلسان التضرع إليه والافتقار، أن يميتنا على سنة نبيه محمد المختار، غير مبدلين ولا مغيرين، ولا فاتنين ولا مفتونين، وعلى طريقة البرزخ المختوم، والقطب المكتوم، سيدنا أبا العباس سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين، وعلى محبته ورضاه وجملة المقدمين، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليما دائما إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه جامعه العبد الفقير إلى رحمة العلي الكبير، عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه سامحهم الله تعالى آمين.

ووافق انتهاء تصنيفه وكتابته ضحوة السبت سادس ذي الحجة الحرام من عام أربع وسبعين ومائتين وألف عرفنا الله خيره ووقانا ضيره.

وقد كنت جمعت منه نبذة في عام أربع وستين، ثم زدت عليها نبذة في عام إحدى وسبعين، ثم لخصت المجموع وهذبته الآن نفع الله به آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهى الكتاب.

الملحقات

الملحق رقم 1

ترجمة صاحب الديوان

من كتاب "ميزاب الرحمة الربانية، في التوبة بالطريقة التجانية"

تأليف : سيدي عبيدة بن محمد الصغير بن أبيوجه

وأعني بالشيخ الأخ صاحب الجيش الكبير، في الرد على جموع النكير، سيدي محمد بن محمد الصغير، حفظه الله.

فلقد ملكته تلك الملكة مقاليد العلوم اللدنية، وأعطته مفاتيح الفتوحات الوهبية، فما توجهت همته بحمد الله إلى عصماء منزل، إلا وغادرتها حلواء نزل، فما كابد في دهره علما قط، ولا تعسر عليه في المقاصد تحرير نمط.

وله عدة تآليف غير الجيش لاح شعاع الانتفاع بها في البلاد، واستوى في قبولها ذوو الإتقان من الحواضر والبواد، فمنها سرية الجيش المشهورة، ومنها النفحة القدسية في التصوف، أرجوزة نظم بها منهاج العابدين للغزالي، ومنها المصباح في علم العربية، نظمه لأدوات المغني لابن هشام، ومنها تعليق على الأجرومية، وهو مفيد، متقن فيه ومجيد، ومنها البحر المحيط في ألفاظ القرآن على المعدود والمتشابه والمرسوم غير المحمول والمحذوف في ألفي بيت، ومنها شرحه عليه المسمى بالظل الممدود على البحر المحيط بهم المعدود، ومنها في الفقه تعليق على مختصر خليل بلغ فيه أثناء الصلوات، وهو في غاية الجودة، ومنها نظمه لتبصرة ابن فرحون، ولم يكمل، ومنها الركب في الرد على بعض المنكرين على الشيخ خليل، بل على كافة من قلده وترك تفسير القرآن والحديث، ولم يتم بعد لحسم مادة إنكار ذلك المنكر بمجرد الإقبال على رده، فأدال فيه لعلماء الشريعة من علماء الحقيقة كما عكس في الجيش، فآتى كل ذي حق حقه، وبسط له رزقه، ومنها نور القلب والعين، في جواز بيع الغائب بالدين، ومقمعة المتعصبين، على أن ذلك نسبة[1] من الطرفين، وأن فيه شغل ذمتين.

وله من الفتاوى والأحكام، ما تكاد تقصر عن تعداده الأقلام.

---

(1) كذا بالأصل، وفي ضالة الأديب نسيئة، وهو الصواب، إذ النسيئة أحد نوعي الربا.

وله أراجيز أخر على مواضع متفرقة من كتاب الإحياء : ككتاب الصلاة، وكتاب ذم الدنيا وذم علمائها، ومدح علماء الآخرة، إلى غير ذلك من نظم حظوظ العبد من أسماء الله الحسنى، ونظم التوسل بها.

وله من رقيق الشعر ما لا يحصر.

فقل أن يتوجه إلى مطالعة فن إلا وضع فيه تقييدا يحسن رونقه، ويروق سندسه وإستبرقه، ليكون تذكارا وذكرى، إما نظما وإما نثرا، تحسب فطنته في طلب الصواب جامدة وهي تمر مر السحاب، ولا ينشرح صدره لما لم يتصرف فيه من العلم بتقاييد تحقيقية، منحة إلهية، وموهبة اختصاصية.

ولولا عدم الكفاية الضرورية الشاغلة للبال، لالتقت الملكة الصلاحية والقوة الفعلية منه بكل مجال، ولو كفي بصله، ما أهمل مسأله، أدام الله عزه ومجادته، وأبقى رفعته وسيادته.

الملحق رقم 2

ترجمة صاحب الديوان

من كتاب "روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة"

تأليف : أحمد بن محمد بن العباس العلوي

...ومنهم سيدنا محمد بن محمد الصغير بن انبوجه صاحب الجيش الكبير، وسريته المشتتة لجموع النكير، وهو من أكابر الطريقة المشاهير، وعلماء الشريعة أولي التحرير.

له تآليف في الفنون المختلفة، تنبئ بأنه من أهل المعرفة ،ذكرها أخوه سيدي عبيدة في كتابه ميزاب الرحمة.

وفيه يقول حسان الطريقة محمدي بن سيدي عبد الله :

أحمد الله غير ذي تقصير أن أراني محمد بن الصغير
باعث الجيش والسرية في نصرة شيخ الهدى التجاني الكبير
يا لها من سرية وخميس تبرا الزور أيما تتبير
أقبلت وهي تقدم الجيش حتى صبحت خيلها جموع النكير
تركت زورهم كرهط حيي مودعا في خنادق وحفير
أجهز الجيش بعدها بالدعاوي فجلاها جلاء رهط النضير

كنت معه ذات ليلة، وكان بأزائنا طبل يضرب، ثم قام المؤذن لصلاة العشاء، فقال لي : «ما أحسن كل ما يخرج من الحضرة الإلهية فلا فرق عندي بين هذا الطبل وبين هذا الأذان»، فقلت في نفسي : «هذا السيد في حال وهو أعلم بما يقول فلا أجيبه» ثم إني سمعت الطبل يذكر الله تعالى كلما أسرعوا في ضربه بسرع في الذكر، وكلما تراخوا في ضربه يتراخى في الذكر، إلى أن مضى كثير من الليل فعلمت أنه سمع من الطبل مثل ما سمعته...[1].

ووقوع هذه القصة المذكورة عام اثنين وسبعين ومائتين وألف وهو الذي اجتمعت فيه بصاحب الجيش سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجه، وتوفي رحمة الله عليه عام أربع وسبعين بعد المائتين والألف.

---

(1) استطرد المؤلف هنا استدلالاً على كلام الجمادات، وذكراً لما سمع منه.

الملحق رقم 3

ترجمة صاحب الديوان

من كتاب "منح الرب الغفور، في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور"

تأليف الطالب : أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي

وفيه (عام 1275هـ) توفي الفقيه سيدي[1] بن محمد الصغير بن انبوجه قاضي تيشيت.

كان رحمه الله تعالى عالما فقيها نحويا لغويا شاعرا ناثرا مجيدا مصيبا حسن الشعر حسن الخط جيد النظر ثاقب الذهن له حظ كبير من الفقه والنحو.

وكان كثير الاشتغال بالعلم حريصا عليه كثير النقل له، كثير الشعر له قصائد كثيرة لم أقف عليها، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

---

(1) كذا بالأصل، فهل سقط اسم "محمد" خطأ ؟ أم أن المؤلف كان يدعى "سيدي" على وجه التكرمة كما يظهر من أبيات خيري الواردة ص 152، راجع مقدمة المحقق ص 15.

الملحق رقم 4

ترجمة صاحب الديوان والمؤلف

من كتاب "أخبار الحاج عمر بن سعيد الفوتي"

تأليف : الشيخ المنتقى تال

...ومنهم سيدي محمد بن محمد الصغير العلوي التيشيتي، تلاقى مع الشيخ رضي الله عنه زمن هرمه وشيخوخته، فأذعن له بالعلوم والعرفان ،وسلم إليه ابنه السيد عبد الله وأمره أن يصاحبه، فكان معه رضي الله عنه، إلى أن تركه في سيگو مع أمير المؤمنين أحمدو، فكان إمام الجامع في سيگو.

وقيل إنه هو الذي ألف خطبة الجمعة التي أولها : "أيها الناس إن الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له" إلخ.

وقيل إن الشيخ رضي الله عنه هو الذي ألفها بنفسه فتركها عندهم.

والسيد عبد الله هذا كتاب يذكر فيه تاريخ ولادة الشيخ وحجه وابتداء جهاده إلى انتهائه ومدة عمره.

الملحق رقم 5

أسرة صاحب الديوان والمؤلف

من كتاب "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان"

تأليف : بول مارتي

... ولنشر كذلك إلى محمد سيمي ولد عبد الله، المولود حوالي 1850 وهو تاجر أصله من تيشيت، وكان جده سيدي محمد قد انتجع الثراء عند الحاج عمر، إبان مروره بنيورو، فلما خاب أمله قفل إلى تيشيت، فتعلق ابنه عبد الله بثروة الفاتح [أي الحاج عمرا ، وتبعه إلى سيگو، وفيها مات بعد أن خدم مخلصا السيد الفوتي ثم ابنه.

وقد ولد سيدي سيمي في سيگو لأم سوداء، وقدم باماكو سنة 1900 واستقربها، وهو من أعيان المسلمين بها.

- PAUL MARTY : Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan, Tome III, les tribus maures du Sahel et du Hodh, p. 69.

تعريب المحقق.

الملحق رقم 6

رسالة استجازة إلى صاحب الديوان من أكنسوس

الحمد لله

ومما خاطبنا به حضرة الشيخ الكامل، العالم العامل، حامل راية العلوم المعقولة والمنقولة ببلاد الصحراء وبمدينة تيشيت سيدي محمد بن محمد الصغير.

[كامل]

يا صاح إن جئت الخيام بعالج ... وثويت من تلك الربى بمكان

فانشر لواء محبتي بفنائه ... وافضض هناك خواتم الكتمان

واشرح قضيات الهوى وأقم على ... صدق المحبة واضح البرهان

وافتق بأربعه محية مسكة ... عن ذي اغتراب نازح الأوطان

إلى السند الواضح وضوح النهار مجده، والسيد الطالع في بروج الشرف سعده، والمولى القائم بوظائف الفخر في الدارين وأعبائه، والطود الشامخ الذي لا تحل العظائم من احتبائه، من إذا جرى نسيم ذكره، يفوح ريا شكره.

[طويل]

متى ما تهب نفحة غضوية ... يفوه بريـاها العرار أو الرند

أزالت فؤاد الصب عن مستقره ... بوجد كما يفتر عن ناره الزند

وتقشعر لهيبة جلاله القلوب والجلود، ثم تأنس فتهتز اهتزاز الأملود، وتضطرب الأعضاء في الحس والمعنى، شوقا إلى ذلك المقام الأسنى، مقام الجلال الذي أمن ثابته من المحو، وظهر ظهور بدر التمام ليلة الصحو.

[طويل]

وشيد في ذات المكارم وابتنى ... ورفه في جنب الإله ورفعا

وأحاط بكلية الشرف أثيره، ودار حول مركزه من العز قليله وكثيره، فأصبح مناخ الركاب، ومثار سحائب الفضل ذوات الانهمال والانسكاب.

[طويل]

عماد الحجى والعلم والمجد والتقى وفخر المعالي وازدهار الفضائل
وحجة أيام أواخر إذ حوت به قصبات السبق دون الأوائل

عالم الدين والدنيا وعبارة لسانهما، ومالك عصم حسانهما، وبارق ديم إحسانهما، وواسم صفحات الدهر وراقم حلله، وصاحب شفائه ورئيس علله، وصدر صدوره وزين محافله، وضياء أعاليه وأسافله، ومصدر فرائضه ونوافله، مراد الأدب الغض اليانع، السالم من الموانع، والأخلاق الدمائث، والمناطق السائرة الساحرة المنافث، والتوحد بالفنون الفائتة للإدراك، المنزه انفراده بها عن الإشراك، والرواية الطامية التيار، والدراية الصافية المعيار، والإمتاع العذب المغائير، والمحاضرة الثابتة الأصول والدساتير، والمزايا التي تكاثر النجوم الساريات، والمناقب التي تسابق الرياح الذاريات، رجاحة وقار في قبول وإقبال، لا تزول أو تزول الجبال.

[طويل]

ورقة أخلاق كمارف زاهر من الروض أو دارت معتقة صرف
تحل حبى الأحلام هزا كأنما لسامعها في كل جارحة عطف

وزهدا في العرض الفاني وعفافا، لا يرتاد غنى ولا كفافا، ووجهة إلى الحق دائمة السجود، وهمة عالية لا ترى في الكون غير واجب الوجود.

[سريع]

إن كنت أبصرتك لا أبصرت بصيرتي في الحق برهانها
لا غرو أني لم أشاهدكم فالعين لا تبصر إنسانها

وأفعالا على الدلالة على الله مقصورة، وأقوالا مؤيدة بالحق منصورة، وأحوالا صادقة تنفعل لها الأكوان، وأسرارا خارقة تتجلى في الآن الواحد على شتى ألوان، وأنوارا تضيىء كنه الحقائق، وتزيح دجنات العلائق والعوائق، وفكرا صقيل المرآة، يتحد فيه المضي والحاضر والآت، وصدرا متسعا بالمعارف تتحيز جميع المكونات في أدنى زواياه، وينطوي منتشر العالم في بعض طواياه، وتتفجر بمعين الأذواق مذانبه، وتفيض بلطائف العرفان جوانبه، وعلوما تدفقت بين الأنام بحارها، وأخضلت بالعمل الصالح بكرها وأسحارها، شيخ الجماعة وعالم العلماء الجلة، ومنفذ رسوم الكمالات المستقلة، الفرد الجامع بين الحقيقة والشريعة، المجدد لهذا الدين تأصيله وتفريعه، والرافع على لاحب الملة منارا، والموقد على علمها السامي في هذا الزمان نارا، شمس السنن المنتهي إليه مساندها، وصارمها الذي بصولتها يخسأ كائدها ومعاندها، كفيل الطريقة الأحمدية،

ووارث الأخلاق المحمدية، من خدمت السعادة أعلامه، وغدا اليمن غلامه، وعزز بفرد الحسب، مثنى الشرف المنتسب والمكتسب.

[كامل]

واحتل للشرف الرفيع يفاعه　　والله يعلم ذاك ثم الناس

عماد الأعلام العلماء والفقهاء، ومعول المحصلين الأذكياء النبهاء، سيدنا ومولانا أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوج، أفاض الله علينا من مدده فراتا سائغا ما به أجوج.

[طويل]

سلام كما فاح العبير لناسم　　يوافيكم مني خلال النواسم
أحيي بـه ذاك الجـلال وإنما　　أحيي به شخص العلى والمكارم

سلام يباكر علاكم ويراوحه، ويعانق مغناكم ويصافحه، ما نفعت المودة ذوي الإخلاص، وامتاز المتحابون في الله تعالى بغاية الاختصاص، وتناسبت الأرواح، وتعاقب الغدو والرواح، وتدانت القلوب المنطوية على خالص الود وتكافأت، وتزاحمت على موارد الصفاء وتهافتت، وتوافقت على موارد الصفاء وتواطأت، ورعيت عند الأكارم وإن قلت الوسائل، وقضيت عندهم وإن جلت اللبانات والمسائل.

أما بعد،

[طويل]

فإن لم تفز عيناي منك بنظرة　　ولم أقض من لقياك ما كنت آمل
فعالم ما تخفي السرائر عالم　　بأنـك في عيني وقلبي ممثل
وأنـك فيمن أنتحيه بخلتي　　وأمحضه ودي لصدر وأول

وإني أحمد إليك الله الذي تبارك مجده، وتعالى كبرياؤه وجده، وعمت الأفراد والأزواج آلاؤه وأياديه، وهو الكريم الذي لا يخيب قاصده ومناديه، ونسأله تعالى بجاهكم عنده، أن يوزعنا شكره ويلهمنا حمده، وأن يصحبنا اللطف والكرامة والسلامة، في هذه الدار وفي يوم القيامة.

هذا وإن عالم السر والنجوى، قد أباح لنا الإفضاء إلى غيره في الظاهر - وأين الغير ؟ - بالشكوى، وقد أقامكم سبحانه ببابه، وكشف عنكم سدول حجابه، في جملة خاصة أحبابه، واصطفاكم لنفع العباد، وإيراد الأكباد.

وهذا مقام الذليل الخائف من سوء كسبه، وعظيم ذنبه، الطامع مع ذلك غاية الطمع في فضل ربه، وهذا مجثم البادي النشيئة، المشتكي إلى علاكم بنفسه المسيئة، المتبرئ من

جميع أفعالها وأقوالها، المتضجر من متفاقم أهوالها، العائذ بمقامكم العزيز من وخامتها وبالها، المستجير بجاهكم العظيم لتخلصوه من حبائلها وحبالها، فإن الذي أنزل بحكمته الأدواء، أنزل برحمته ومنته الدواء، ولا حيلة للعجزة أمثالنا إلا الالتجاء لأهل العناية أمثالكم، والتطبب لعضال دائه باعتنائكم واهتبالكم.

فإلى الله تبارك وتعالى ثم إليكم الشكاية بهذه القلوب القاسية، والنفوس الأمارة المتعاصية، والمتاجر التي لم تزل في أسواق القبول كاسدة، والظواهر السيئة والبواطن الفاسدة، والأحوال التي يحلب صاحبها قاعدا، والأعمال التي لا يكون صادرها لعدم الإخلاص فيه صاعدا، والواردات التي لا تصرح بل تشمل، وتلزم لزوم الغل القمل، والأفكار التي لا يستقر لائحها، ولا تطيب روائحها، والبوارق التي لا يمطر لها سحاب، ولا تخضر بها سوح ولا رحاب، والأخلاق الحرجة الضيقة، والأرواح التي لا تطاع على البر وهي إلى نتائجها شيقة، والأجسام الضعيفة العليلة، والأفهام الضئيلة الكليلة، والزمان الذي لا تدر حلوبته، ولا تنقى جلوبته، خيره عرق القربة، أو لبن الكلبة، يسلب الأعواد أوراقا، ويغادر العظم عراقا، لو رآه الشيخ السنوسي رضي الله عنه لمدح غاية المدح زمانه، ونادى عليه بالأوصاف الجليلة وأعلى قدره وأغلى أثمانه، وأستغفر الله العظيم وأستقيله، فإن الزمان ليس عليه ملامة، وإنما هو مظهر للأقدار الإلاهية وأمارة عليها وعلامة، فليس بغير نفوسنا شكاية، إذ لا إذاية من غيرها ولا نكاية، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه.

والحاصل أن داء النفوس منا قد تمكن عضاله، وأعجزنا بالمدافعة نضاله، ونعم الله الغني عندنا متواترة متكاثرة، دائبة دائمة، وحجة تبارك وتعالى على كل حال علينا قائمة، والصبر قد ضرب في جهازه، والأمر لا قدرة لغيركم على انتهازه، وإنفاذ المهج والأموال من المتالف واجب على من قدر، ولا عذر في ترك ذلك لمن اعتذر، فكذلك لا عذر لكم أيها الأفاضل الأشراف، في عدم إنفاذ من أشرف على التلف غاية الإشراف، فإن إكسيركم الكامل ثابت الصبغ، وإن النساء من خير أمارات الربغ، وعنايتكم نافذة وهمتكم خارقة فاعلة، فأطري فإنك ناعلة.

واعلم أعزك الله أيها السيد الجليل، والسند الكامل الأصيل، أن شيخنا وشيخكم أيد الله برهانه، وجدد عليه في كل نفس في جوار نبيه صلى الله عليه وسلم رضوانه، قد قطع رجاءنا من غيره، ومنع تشوفنا إلى خير أحد من غير حزبه أو شره، تولى الله الكريم جزاءه، وأعظم من الرضوان عليه أجزاءه، فلأجل هذا يجب عليكم إمدادنا ويتعين، حتى يظهر فضل الله علينا وعلى أولادنا غاية الظهور ويتبين، ثم بعد الوقوع والنزول، لا ينفك إلى آخر الأبد ولا يزول، فكأني بأريحيتكم الشريفة قد تحركت، وعلى حول الله وقوته اعتمدت وتدركت، وبأسمائه المباركة تبركت :

[طويل]

وقلت لكأس الجميه فإنما حالات الكثيب من زرود لأفزعا

فجمعتم صادق العزائم وأقبلتم بنافذ الهمم، وسألتم المولى الكريم بما عهد عندكم من أكيد الذمم، أن يؤمن في الدنيا والآخرة خوفنا، ويقوي في رضاه ضعفنا، ويقبلنا على ما كان منا من حال، ويفك رقابنا من جميع المحن والأهوال، ويأخذ إلى كل خير بنواصينا أخذ الرأفة واللطف والحنان، ويفيض علينا بحور الأرزاق الحسية والمعنوية من حضرة كرمه بمجرد الفضل والامتنان، ويلحقنا بالسعادة الأبدية التي لا تخلع ملابسها، ولا يشقى على حال ولو في نفس من الأنفاس ملابسها، وأن يحف بالأنوار الساطعة ظواهرنا، ويملأ بذلك بواطننا، وأن يصفي ويهني وإن تكدرت المشارب مشاربنا ومعاطننا، فكتبتم عند ذلك لنا، بيمينكم الشريفة التي فيها غاية المنى:

«إنك يا محمد إن شاء الله من المحبوبين المقبولين الآمنين في جميع المظاهر والعوالم. وإنك بحول الله وقوته من كل محنة وعاهة وفتنة في الدنيا والآخرة سالم، عسى الله الكريم بفضله ورحمته تفضل عليك بقبول جميع الدعوات، وتجاوز عن جميع السيئات والهفوات، وتفضل عليك بكل سعادة في الدنيا والآخرة، وبكل عافية في الدنيا والآخرة، وبكل الغنى في الدنيا والآخرة، وبكل العز في الدنيا والآخرة، وبعمل صالح لا مشقة عليك فيه تنال به غاية كل كرامة في الدنيا والآخرة، وبشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته لك في كل حين على كل حال في الدنيا والآخرة.

[سريع]

دعني فقد ساعد وقتي وطاب هذي الأماني سمحت باقتراب

أبذل جهدي في طلاب العلى فباذل الجهد حميد المآب

حططت رحلي بمغنى الندى ومنتهى الفضل وكنه الطلاب

ثم زدتموني تفضلا، وأوليتموني بين العوالم تجملا، وكسوتموني حلل التكريم والتعظيم، وفخمتم قدري غاية التفخيم، فأجزتموني وولدي عبد الله بن محمد أحمد بن محمد في جميع مروياتكم، وكل ما دخل تحت محيط معلوماتكم، من منقول ومعقول، وفروع وأصول، وحاصل ومحصول، وفقه وحديث وتفسير، ونظيم ونثير، وقليل وكثير، وكلامي ورياضي، وكل ما ينفع بالخيرات حياضي، من أذكار وأوراد ودعوات، وفي جميع المتداول من المسلسلات، وفي طريقتنا الأحمدية التجانية لألقنها لأهلي وأولادي وأصحابي، وكل من رغب إلي فيها من عامة المسلمين وخاصة أحبابي، إجازة مطلقة تعم جميع وجوه الإجازات، والإجمالات والتفصيلات، والحقائق والمجازات، فبقدر اتساع دائرة

الهبة يعظم فضل الله على الموهوب له والواهب، وتتعدد السبل إلى الحضرة العالية المقدسة والطرق والمذاهب.

[بسيط]

يا حبذا ذلك الوادي المقدس إن ... جرت مذانيه فالري فالشبع

وحبذا وقفة لي عند شاطئه ... طورا أقوم وطورا عندها أقع

يا تلعة أخضلت ماء جوانبها ... هل فيك للطارق المجهود منتجع

والله المسؤول أن يبقى علاك لهذا الدين، وعلما لإرشاد المستهدين، آمين.

بجاه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين.

ـ المصدر : مكتبة الفقيه أگنسوس الخاصة ـ مراكش.

المصادر والمراجع

I. المصادر المخطوطة

1. ابن أحمد الصغير (محمدو ـ المسامي التيشيتي)
متن العلي الكبير في قوائد أحمد الصغير
مخطوط المعهد الموريتاني للبحث العلمي ـ نواكشوط.

2. ابن انبوجه (سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير ـ العلوي التيشيتي)
فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، قسم المخطوطات الشرقية.

3. ابن انبوجه (سيدي محمد بن محمد الصغير ـ العلوي التيشيتي)
البحر المحيط بمهم المعدود
مخطوط المعهد الموريتاني للبحث العلمي ـ نواكشوط.

4. ابن الحاج ابراهيم (سيدي عبد الله ـ العلوي)
صحيحة النقل في عارية ايدو علي وبكربة محمد قل
مخطوط بملكنا.

5. ابن سيدينا (محمدي ـ العلوي)
الأجوبة التيشيتية
مخطوط المرابط بن محم ـ النباغيه

6. نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ
مخطوط بملكنا.

7. نفحة المنان في تأييد اعتقاد الإخوان
مخطوط المرابط بن محم ـ النباغيه.

8. ابن عبد الوهاب (محمد صالح ـ الناصري الولاتي)
الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية
مخطوط بملكنا.

9. ابن عشاي (محمد بن ـ الماسني)
حوليات تيشيت
مخطوط المعهد الموريتاني للبحث العلمي

10. ابن محم (أحمد ـ بن العباس العلوي)
روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة
مخطوط المرابط بن محم ـ النباغيه

11. ابن معاوية (الدنبجه ـ)

واضح البرهان في تراجم أشياخي في القرآن

مخطوطة مصورة، أهدانا إياها ابنه الأستاذ محمد الحافظ.

12. البرتلي (الطالب محمد بن أبي بكر بن بنان ـ الولاتي)

فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور

مخطوطة تيشيت، صورة بملكنا.

13. المحجوبي (الطالب أبو بكر بن أحمد المصطفى ـ الولاتي)

منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور

مخطوط معهد أحمد بابا، تينبكتو

II. المراجع والرسائل الجامعية غير المنشورة

1. ابن امباريگي (البشير بن عبد الله ـ)

نصيحة المقلد ألا يسيئ الظن بالمجتهد

تحقيق النجاة بنت محمد، رسالة تخرج من المعهد العالي للبحوث والدراسات الإسلامية، نواكشوط 1991-1992.

2. ابن بدّي (أحمد ـ العلوي)

الدرع والمغفر في الرد عن الحاج عمر

تحقيق محمد الأمين بن محمد ـ المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية ـ نواكشوط. 1987.

3. ابن حامد (المختار ـ)

حياة موريتانيا

مرقون بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط

الأجزاء التالية :

ـ التاريخ السياسي

ـ شرفاء تيشيت

ـ ايدو علي

ـ أهل محمد مسلم.

4. ابن القاضي (عبد الرحمن ـ)

الإيضاح لما ينبهم على الورى من قراءة عالم أم القرى

تحقيق محمد علي بالوالي

أطروحة سلك ثالث، دار الحديث الحسنية، الرباط 1986.

5. ولد الحسن (أحمد ـ)

الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري

أطروحة نيل دكتوراه الدولة في الأدب العربي ـ كلية الآداب، جامعة تونس 1986، تحت الطبع.

6. ولد عبد الله (ددود ـ)

الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17-18م).

أطروحة سلك ثالث في التاريخ ـ كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992-1993.

7. OULD DADDAH (A) : Saykh Sidi Mohammad Wuld Sidi Al Mukhtar AL Kunti, contribution à l'histoire politique et religieuse du Bilad Shingit et des régions voisines.

Thèse de 3ème cycle, Paris-Sorbonne, 1977.

8. ZEBADI (A) : The carrer and correspondance of Ahmad Al Bakkaï of Timbuktu, and a historical study of his political and religious role from 1854 to 1866.

London University SOAS, 1974.

III. الكتب المطبوعة باللغة العربية

1. الآمدي (الحسن بن بشر ـ)

المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم

طبعة ف. كرنكو ـ دار الجيل بيروت د.ت

2. إبراهيم (عبد الله عبد الرزاق ـ)

المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا

سلسلة عالم المعرفة، العدد 139، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1409هـ/1989م.

3. ابن الأبار (محمد بن عبد الله ـ)

التكملة لكتاب الصلة

طبعة عزت عطار الحسيني ـ مطبعة السعادة، القاهرة، 1956.

4. ابن الأثير : (عز الدين علي بن محمد ـ)

أسد الغابة في معرفة الصحابة

دار الكتب العلمية، بيروت ـ د.ت

5. ابن انبوجه (سيدي محمد بن محمد الصغير ـ العلوي التيشيتي)

الجيش الكفيل بأخذ الثار ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار

القاهرة 1347هـ/1938م.

6. ابن بابه (محمد فال ـ العلوي)
التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة
تحقيق أحمد ولد الحسن
بيت الحكمة، تونس 1986م

7. ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك ـ)
الصلة
الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1966.

8. ابن الجزري (شمس الدين محمد بن محمد ـ)
غاية النهاية في طبقات القراء
تحقيق ج. برجستراسر
مكتبة الخانجي، القاهرة 352 اهـ/1933م.

9. ابن حامد (المختار ـ)
حياة موريتانيا، الجزء 2، الحياة الثقافية
الدار العربية للكتاب تونس 1990م.

10. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي ـ)
الإصابة في تمييز الصحابة
شركة طبع الكتب العلمية، القاهرة 1323هـ

11. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
دار الجيل بيروت، د.ت، مصورة عن طبعة حيدر آباد (1945-1950م).

12. فتح الباري شرح صحيح البخاري
تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب بإشراف الشيخ عبد العزيز بن باز
المكتبة السلفية، بيروت ـ د.ت

13. ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله ـ)
الإحاطة في أخبار غرناطة
تحقيق محمد عبد الله عنان
مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393هـ/1973-1397هـ/1977م.

14. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ـ)
التاريخ
طبعة دار الكتاب العربي، بيروت 1956.

15. ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد -)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت د. ت.

16. ابن رشيق (أبو علي الحسن -)
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء د.ت

17. ابن الرومي (علي بن عباس بن جريج -)
الديوان
تحقيق حسين نصار
دار الكتب، القاهرة 1393هـ/1973م.

18. ابن السائح (سيدي العربي -)
بغية المستفيد لشرح منية المريد
دار الفكر، بيروت 1393هـ/1973م.

19. ابن سعد (محمد -)
الطبقات الكبرى
دار صادر، بيروت، 1405هـ/1985م.

20. ابن سلام (محمد الجمحي -)
طبقات فحول الشعراء
تحقيق محمود محمد شاكر
المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة 1980م.

21. ابن سيد الناس (أبو بكر محمد بن أحمد -)
منح المدح
تحقيق عفت وصال حمزه
مؤسسة الرسالة، دمشق، 1407هـ/1987م.

22. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله -)
الاستيعاب في معرفة الأصحاب
تحقيق علي محمد البجاوي
دار الجيل، بيروت 1412هـ/1993م.

23. بهجة المجالس وأنس المجالس
تحقيق محمد مرسي الخولي
دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

24. ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عمر ـ)
العقد الفريد
طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة 1372هـ/1953م.

25. ابن عجيبة (أحمد بن محمد ـ)
إيقاظ الهمم في شرح الحكم
دار الفكر، بيروت، د.ت.

26. ابن عسكر (محمد ـ)
دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر
تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
الرباط 1396هـ/1976م.

27. ابن غازي (محمد بن أحمد ـ)
الفهرس = التعلل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد
تحقيق محمد الزاهي
دار المغرب المتأليف والترجمة والنشر ـ الدار البيضاء 1399هـ/1979م.

28. ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي ـ)
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب
تحقيق محمد الأحمدي أبو النور
دار التراث، القاهرة، 1972.

29. ابن فهد (محمد بن محمد ـ)
لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ
ملحق بتذكرة الحفاظ للذهبي ج 5.

30. ابن القاضي (أحمد بن محمد ـ المكناسي)
جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس
دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1974.

31. درة الحجال في أسماء الرجال
تحقيق محمد الأحمدي أبو النور
المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة 1391هـ/1971م.

32. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ـ)
الشعر والشعراء
تحقيق مفيد قميحه ونعيم زرزور
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1405هـ/1985م.

33. المعارف
تحقيق ثروت عكاشة
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة 1992.

34. ابن ماجه (محمد بن يزيد ـ القزويني)
السنن
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1327هـ/1952م

35. ابن منظور (محمد بن مكرم ـ)
لسان العرب
دار صادر بيروت د.ت.

36. أبو تمام (حبيب بن أوس ـ الطائي)
الديوان
تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب، د.ت.

37. أبو داود (سليمان بن الأشعث ـ)
السنن
الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1408هـ/1988م.

38. الأصفهاني (أبو الفرج ـ)
الأغاني
الدار التونسية للنشر، تونس، دار الثقافة بيروت، 1983م.

39. البحتري (أبو عبادة الوليد ـ)
الحماسة
طبعة كمال مصطفى ـ المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1929م.

40. البخاري (محمد بن إسماعيل ـ)
الجامع الصحيح
دار الفكر، بيروت 1401هـ/1981م.

41. الأدب المفرد
طبعة محمد عبد القادر عطا
دار الكتب العلمية، بيروت 1410هـ/1990م.
42. البرتلي (الطالب محمد بن أبي بكر ـ الولاتي)
فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور
أ) تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي
دار الغرب الإسلامي بيروت 1401هـ/ 1981م (نسميها في الهوامش "بيروت")
ب) ملحق بكتاب دراسات في تاريخ التشريع الإسلامي في موريتانيا
د. محمد المختار ولد اباه
منشورات الجامعة التونسية تونس 1981م (نسميها في الهوامش "تونس").
43. البغدادي (إسماعيل ـ)
هدية العارفين بأسماء الكتب والفنون من كشف الظنون
دار الفكر، بيروت 1402هـ/1982م.
44. التجاني (محمد الحافظ ـ)
الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التجانية
الزاوية التجانية، القاهرة د.ت.
45. الترمذي (محمد بن إسماعيل بن سورة ـ)
السنن
تحقيق أحمد محمد شاكر
دار الكتب العلمية بيروت 1408هـ/1987م.
46. التنبكتي (أحمد بابا ـ)
نيل الابتهاج بتطريز الديباج
طبع بإشراف عبد الحميد الهرامة
كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس 1989م.
47. الثعالبي (أبو منصور محمد بن عبد الملك ـ)
يتيمة الدهر
طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة 1375هـ/1956م.
48. الجاحظ (عمرو بن بحر ـ)
البيان والتبيين
تحقيق عبد السلام محمد هارون
دار الجيل بيروت، د.ت.

49. جرير (ـ بن الخطفي)
الديوان
دار صادر بيروت، د.ت.

50. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ـ)
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون
دار الفكر، بيروت 1402هـ/1982م.

51. حرازم (علي براده ـ الفاسي ت 1217هـ)
جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني
دار الفكر، بيروت د.ت.

52. الحريري (القاسم بن علي ـ)
المقامات
دار الكتب العلمية، بيروت 1413هـ/1992م.

53. الخطيب (أبو بكر أحمد بن علي ـ البغدادي)
تاريخ بغداد
دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت

54. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ـ)
تذكرة الحفاظ
دار الكتب العلمية، بيروت د.ت

55. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار
تحقيق بشار معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح عباس
مؤسسة الرسالة، بيروت 1408هـ/1988م.

56. الرفاء (السري ـ بن أحمد)
الديوان
دار الجيل، بيروت 1411هـ/1991م.

57. الزركلي (خير الدين)
الأعلام
دار العلم الملايين، بيروت، الطبعة التاسعة 1990م.

58. السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ـ)
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1994م.

59. سكيرج (أحمد العياشي ـ)
كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب
المكتبة الشعبية، بيروت، 1408هـ/1988م.

60. رفع النقاب بعد كشف الحجاب
ج 2، طبعة تطوان، د.ت ـ ج 3، 4، الرباط 1390هـ/1971م.

61. السهروردي (أبو حفص عمر بن محمد ـ)
عوارف المعارف
ملحق بالجزء الخامس من إحياء علوم الدين الغزالي
دار الكتب العلمية، بيروت 1412هـ/1992م.

62. سيبويه (عمرو بن قنبر ـ)
الكتاب
تحقيق عبد السلام محمد هارون
عالم الكتب، بيروت 1403هـ/1983م.

63. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ـ)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم
دار الفكر 1399هـ/1979م

64. ذيل طبقات الحفاظ
ملحق بـ "تذكرة الحفاظ" للذهبي، ج 5.

65. الشاطبي (أبو إسحاق ابراهيم ـ)
الإفادات والإنشادات
تحقيق محمد أبو الاجفان
مؤسسة الرسالة، بيروت 1408هـ/1988م.

66. الشريشي (أحمد بن عبد المؤمن)
شرح مقامات الحريري
قدم له وأشرف على تصحيحه صدقي محمد جميل
دار الفكر، بيروت، 1412هـ/1992م.

67. الشنقيطي (أحمد بن الأمين العلوي ـ)
الوسيط في تراجم أدباء شنقيط
الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة 1378هـ/1958م.

68. عبد الوهاب (حسن حسني ـ)
كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين
مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش
بيت الحكمة، تونس 1990م.

69. العراقي (عبد الرحيم بن الحسين ـ)
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث
تحقيق محمود ربيع، مكتبة السنة، القاهرة 1408هـ/1988م.

70. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأخبار
على هامش إحياء علوم الدين للغزالي.

71. عياض (القاضي ـ بن موسى بن عياض)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعيان مذهب مالك
طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب
تحقيق مجموعة من الأساتذة، الرباط 1965-1983.

72. الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ـ)
إحياء علوم الدين
دار الكتب العلمية، بيروت 1412هـ/1992م.

73. القادري (محمد بن الطيب ـ)
نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني
تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق
دار المغرب العربي للتأليف والترجمة والنشر ـ الرباط 1397هـ/1997م

74. القرافي (بدر الدين محمد بن يحيى ـ)
توشيح الديباج وحلية الإبتهاج
تحقيق أحمد الشتيوي
دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1403هـ/ 1983م.

75. الكتاني (عبد الحي بن عبد الكبير ـ)
فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات
طبع باعتناء إحسان عباس
دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1402هـ/ 1982م.

76. الكتاني (محمد بن جعفر ـ)
سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس في من أقبر من العلماء والصلحاء بفاس
طبعة حجرية، فاس 1316هـ.

77. گنون (عبد الله ـ)
النبوغ المغربي في الأدب العربي
الطبعة الثانية، د.ت

78. شرح الشمقمقية
دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة 1979م.

79. المامي (الشيخ محمد ـ بن البخاري)
الديوان
منشورات زاوية الشيخ محمد المامي ـ نواكشوط 1986م.

80. المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ـ)
الكامل
طبعة محمد أبي الفضل إبراهيم ـ دار الفكر العربي، القاهرة د.ت.

81. المتنبي (أحمد بن الحسين ـ)
الديوان
مطبعة هندية، القاهرة 1342هـ/ 1923م.

82. مخلوف (محمد بن محمد ـ)
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية
دار الكتاب العربي، بيروت د.ت ـ مصورة عن الطبعة الأولى 1349هـ.

83. المعري (أبو العلاء أحمد بن سليمان ـ)
سقط الزند
دار صادر بيروت 1400هـ/1980م.

84. المقري (أبو العباس أحمد ـ)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
تحقيق إحسان عباس
دار الثقافة بيروت

85. المناوي(محمد عبد الرؤوف ـ)
فيض القدير شرح الجامع الصغير
دار الفكر بيروت د.ت.

86. المنجور (أحمد ـ)
الفهرس
تحقيق محمد حجي
دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ـ الرباط، 1396هـ/1976م.

87. النابغة الذبياني
الديوان
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب د.ت.

88. الناصر (محمد الحاج ـ)
السلطان ظل الله في الأرض حديث شريف
1411هـ/ 1991م، د.ن، د.ت.

89. الناصري (أحمد بن خالد ـ)
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري
دار الكتاب، الدار البيضاء 1956م.

90. طلعة المشتري في النسب الجعفري
الدار البيضاء 1987م.

91. النحوي (الخليل ـ)
بلاد شنقيط المنارة والرباط
المنظمة العربية التربية والثقافة والعلوم ـ تونس 1987م.

92. النووي (يحيى بن شرف ـ)
شرح صحيح مسلم
دار الفكر، بيروت 1401هـ/ 1981م.

93. الوزان (الحسن بن محمد ـ الفاسي)
وصف إفريقيا
ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر
دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

94. ولد اباه (محمد المختار ـ)
الشعر والشعراء في موريتانيا
الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس 1988م.

95. ياقوت (ـ بن عبد الله الرومي الحموي)
معجم الأدباء
تحقيق إحسان عباس
دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، 1993م.

96. اليوسي (الحسن بن مسعود ـ)
المحاضرات تحقيق محمد حجي
دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ـ الرباط 1396هـ/1976م.

97. زهر الأكم في الأمثال والحكم
تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر
دار الثقافة، الدار البيضاء، 1401هـ/1981م.

IV. المراجع المطبوعة باللغات الأوربية

1. ABUN-NASR (J.M) : The tijaniyya, a sufi order in the modern world.
Oxford University Press - London-Newyork-Toronto 1965.

2. GHALI (N) : MAHIBOU (SM) et BRENNER (L) : Inventaire de la bibliothèque umarienne de Ségou, Editns CNRS, Paris, 1985.

3. LY-TALL (M) : Un Islam militant en Afrique de l'Ouest au XIXè siècle, la tijaniyya de Saïku Uman Futiyiu contre les pouvoirs traditionnels de la puissance coloniale.
ACCT, IFAN / Cheikh Anta Diop, l'Harmattan. Paris 1991.

4. MAGE (E) : Voyage au Soudan occidental (1863-1866).
Edtns Karthalla Paris 1980.

5. NORRIS (H.T) : The arab conquest of the western sahara.
Longman, librairie du liban 1986.

6. OULD BAH (MM) : La littérature juridique et l'évolution du Malikisme en Mauritanie.
Université de Tunis, 1982.

7. ROBINSON (D) : La guerre sainte d'Al Hajj Umar, le Soudan Occidental au milieu du XIXè siècle.
Traduit de l'Anglais par H. Tourneux et J.C. Vuillemin, Edts Karthalla, Paris 1988.

8. RUBSTUCK (U): Sammulng arabischer handschriften aus mauritanien.
Otto hannassowitz. Weisbaden 1989.

9. RUBSTUCK (U) : Katalog der arabischen handschriften in mauretanien.
Beiruter text und studien band 30, Beirut 1988.

الفهارس

1. فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
1. ﴿جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ (سبأ، 15)	139
2. ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (البقرة، 194)	205
3. ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما﴾ (النساء، 148)	205
4. ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ (إبراهيم، 34، النحل، 18)	104
5. ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (النحل، 126)	205
6. ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظالمين﴾ (الشورى، 40)	205
7. ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ (الرعد، 42)	135
8. ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ (الشورى، 38)	110
9. ﴿يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار﴾ (النور، 35)	140

2. فهرس الأحاديث النبوية(*)

الحديث	الصفحة
1. «ائتني أبا بكر»	240
2. «احذروا زلة العالم»	125
3. «إذا مدح الظالم اشتد غضب الله»	179
4. «إن من الشعر لحكمة»	81
5. «السلطان ظل الله في الأرض»	128
6. «لا يقبل الله من عالم سكت عن بدعة ظهرت في عصره، فرضا ولا نقلا»	124
7. «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا فيريه خير له من أن يمتلئ شعرا»	84
8. «من أحب أخاه فليعلمه»	247

(*) أوردنا في هذا الفهرس كل ما عده المؤلف حديثاً، وبينا تخريجه في موطنه من المتن فليراجع.

3. فهرس الأعلام(*)

الصفحة

إبراهيم بن أدهم 95
إبراهيم النخعي 95
ابن أبي زيد (ابو محمد عبد الله ـ) 120
ابن أبي شيبة (محمد بن عثمان ـ) 81
ابن الأعمش (محمد بن المختار ـ) ..... 117، 118
ابن انبوجه (الطالب محمد بن الحاج محمد ـ) ..... 93، 95
ابن انبوجه (محمد الصغير بن الطالب محمد ـ) ..... 93، 95
ابن بطال (علي بن خلف ـ) 84
ابن بقي (عبد الله بن خلف ـ) 101
ابن بونا (المختار ـ) 102
ابن الحاج ابراهيم (سيدي عبد الله ـ) ..... 161، 164-168
ابن حبان (أبو حاتم محمد ـ) 85
ابن حبيب (عبد الملك ـ) 120
ابن حجر (أحمد بن علي ـ العسقلاني) ..... 84، 85، 86
ابن حسنون (محمد بن علي ـ) 101
ابن رشيق (الحسن ـ) 89
ابن الرومي (علي ـ) 87
ابن الزبير (أبو جعفر أحمد ـ) 101
ابن سيد الناس (أبو بكر محمد بن أحمد ـ) 86
ابن سيدينا (محمدي ـ) 153
ابن سيف (أبو بكر بن عبد الله ـ) 101
ابن طوير الجنة (الطالب أحمد ـ) ..... 98، 103
ابن طوير الجنة (محمد بن محمد الأمين ـ) 98
ابن طوير الجنة (محمد الأمين) ..... 98، 102

(*) أوردنا ذكر كل علم في المدخل الذي هو به أشهر.

الصفحة

ابن عباس (عبد الله) 85
ابن عبد البر (يوسف) 86
ابن عبد السلام العلمي (يحيى بن أحمد) 119
ابن عبد الوهاب (محمد صالح) ..... 97، 151، 220، 221، 247، 248
ابن العرجاء (الحسن بن عبد الله) 101
ابن عمر (عبد الله) 121
ابن غازي (محمد بن أحمد) 100
ابن فرج مولى ابن الطلاع 120
ابن فرحون (إبراهيم) 112
ابن القاسم (عبد الرحمن) 120
ابن القاضي (عبد الرحمن) 99
ابن القويع (محمد بن محمد) 119
ابن كثير (عبد الله) 99
ابن اللياد (أبو بكر محمد بن محمد) 120
ابن ماجه (محمد بن يزيد) ..... 81، 85
ابن مالك (محمد) 102
ابن محمد راره (الطالب أحمد) 118
ابن مسعود (عبد الله) 81
ابن الهاشم (محمد بن أبي بكر) 118
ابن هرمز (عبد الرحمن) 102
ابن هشام (عبد الله بن يوسف) 126
أبو الأوتاد (سيدي أحمد) ..... 114، 115
أبو بكر بن أبي قحافة 86
أبو بكر بن الحاج عيسى 117
أبو تمام (حبيب بن أوس) 87
أبو حنيفة (النعمان بن ثابت) 152
أبو داود (سليمان بن الأشعث) ..... 81، 85
أبو سيف 207

الصفحة

أبو عبيد (القاسم بن سلام) 85
أبو عمرو بن العلاء 99
أبو عوانة (يعقوب بن إسحاق) 85
أبو مدين (محمد بن أحمد ـ الفاسي) ..... 81، 90
أبو موسى الأشعري 82
أبو هريرة 102
أبو يعلى (أحمد بن علي ـ) 83
أبي بن كعب 102
أحمد بن أحمد أكد الحاج ..... 116، 117
أحمد بن حنبل 152
أحمد بن الخليفة 116
أحمد بن عبدي بن الحاج أحمد 102
أحمد بن فاضل (الشريف) 113
أحمد بن محمد بن حمى الله المسلمي ..... 103، 159
أحمد بابا التنبكتي 119
أحمد المسك 119
أحمد الولي بن أبي بكر المحجوبي ..... 114، 117
أحمدو بن الشيخ محمد الحافظ (الشيخ) 225
الأحول البصري (عاصم بن سليمان) 87
إدريس بن عبد الرحمن (الشريف) 99
اديبجه (محمد بن عبد الله ـ الكمليلي) ..... 108، 109، 206
الأزرق (يوسف بن عمرو بن يسار) 102
أصبغ بن الفرج 120
الأصمعي (عبد الملك بن قريب) 85
أكنسوس (محمد بن أحمد) ..... 129، 135، 146، 150، 226
الأمير (محمد بن أحمد) 112
أنس بن مالك 121
أيد القاسم (سيدي أحمد ـ الحاجي الواداني) ..... 115، 116، 117، 118، 119

الصفحة

ب

باهو بن محمد المختار 148
البخاري (محمد بن إسماعيل) ..... 81، 83، 85
بختنصر 172
البساطي (يوسف بن خالد) 119
البشير بن الحاج الهادي 117
بهرام 119

ت

التجاني (الشيخ أحمد) ..... 107، 108، 109، 137، 145، 146، 149، 153، 201، 206، 220، 239، 240
الترمذي (محمد بن عيسى) ..... 81، 85

ج

جذيمة 172

ح

الحاج الحسن بن آغبدي = (الحسن بن آغبدي)
الحاج عمر (عمر بن سعيد) ..... 147، 148، 149، 186-197، 199-202، 221، 240
حرازم (الحاج علي) 149
الحريري (القاسم بن علي) 76
الحسن بن آغيدي (الحاج ـ الزيدي) 114
الحسن بن الطالب أحمد البرتلي (سيدي) 118
الحسنية بنت فاضل الشريف 159-161
الخطاب (محمد بن عبد الرحمن) 119
الخطاب (محمد بن محمد بن عبد الرحمن) 119
حماد الراوية 157
حمزة بن حبيب الزيات 99
حمى الله بن أحمد (الشريف) 113
حمى الله الصغير (الشريف) 172-174
حيي بن أخطب 153

الصفحة

خ

الخالديان (سعيد أو سعد وأبو بكر محمد) ..... 75، 76
الخليفة بن أحمد بن أگد الحاج 116
خليل بن إسحاق ..... 112، 119، 122
الخنساء بنت عمرو بن الشريد 194
خيري = سيدى عبد الله بن محمد بن سيدي بن أحمدان .....

د

داود (النبي) 104
الدكالي (أبو القاسم بن ابراهيم) 100
الدكالي (محمد بن منصور) 99
الديار بكرى (الحسين بن محمد) 125

ر

الربيع بن زياد 88
ربيعة بن أبي عبد الرحمن 120
ربيعة بن مكدم 75
رحمة الله بن عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله 96
الروياني (محمد بن هارون) 95

ز

الزباء 172
زروق (أحمد ـ البرنسي) 111
زهير بن أبي سلمى ..... 89، 157
الزواوي (أحمد بن محمد) 101

س

السالك بن الإمام الحاجي 108
سحنون بن سعيد 120
السري الرفاء ..... 75، 76
سليمان بن داود 169

الصفحة

السماتي (محمد بن عبد الله ـ الفخار) 100
السمان (محمد بن عبد الكريم) 97
السهروردي (عمر بن محمد) 84
سيدي عبد الله بن محمد بن سيدي بن احمدان (خيري) 152
سيدي محمد بن الحاج أعمر ..... 103، 229
السيوطي (جلال الدين) ..... 95، 112

ش

الشرهاني (البدر) 87

ص

صالح بن عبد الوهاب = ابن عبد الوهاب (محمد صالح) .....
صخر بن عمرو بن الشريد 194
الصغير (محمد بن الحسين) 100

ط

الطالب بن حنكوش 161
الطالب جدو بن الشيخ ..... 108، 116
الطبراني (سلميان بن أحمد) ..... 83، 85
الطحاوي (أحمد بن محمد بن سلامة) 85
طرفة بن العبد 76

ع

عائشة بنت أبي بكر ..... 83، 86
عاصم بن أبي النجود 99
عبد الرحمن (مولاي) 99
عبد الرحمن بن ادريس (الشريف) 99
عبد الرحمن بن هشام (مولاي) ..... 128، 129
عبد الكريم بن أحمد الفوتي 149
عبد الله بن سيدي محمود ..... 161، 226

الصفحة

عبد الله بن عامر الشامي 99
عتيبة بن الحارث بن شهاب 75
عثمان بن بوسيف 211
عثمان الكوري 212
عثمان المجاور (الحاج) 118
العدوي (علي بن أحمد) 112
العراقي (عبد الرحيم بن الحسين) 93
العطار (اسماعيل بن يحيى) 101
علي بن أبي طالب 93
عمر بن الخطاب ..... 82، 83، 85
عمر بن سعيد (الحاج ـ الفوتي) = الحاج عمر .....
عمرو بن هنون 212

غ

الغزالي (محمد بن محمد) 105

ف

الفازازي (سيدي أحمد ـ الحاجي الوادانى) 119
الفقاري (القاضي) 115
الفيلالي (أحمد بن عبد الله) 100

ق

قارون 207
القاسم بن سلام = (أبو عبيد) .....
القرطبي (أبو الحسن علي بن سليمان) 101
القصري بن محمد المختار الايديابي 117
قيصر 148

ك

الكرطي (سيدي محمد) 99
الكسائي (علي بن حمزة) 99
كسرى 148
كعب بن مالك 86
الكميلي 90
الكنتي (خطاري بن الشيخ سيدي محمد) 198
الكنتي (الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد) ..... 150، 220
الكنتي (الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار) ..... 180-186، 198، 219
الكنتي (الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر) 180

ل

لبيد بن ربيعة 86
لقمان 169
الليث بن سعد 152

م

مالك بن أنس ..... 120، 152
المحلق 88
محمد بن الشريف سعدي ..... 174، 175
محمد بن عبد الرحمن (الشريف) 99
محمد بن عبد الرحمن (قاضي تونس) 119
محمد بن عبد الرحمن بن الخليفه 116
محمد بن عبد الله بن اوداعه 219
محمد بن علي 212
محمد الحافظ (الشيخ - بن المختار بن الحبيب) ..... 108، 110، 149
محمد العالم بن يدغوري ..... 113، 116
محمد الغالي بوطالب 149
محمدو بن فاضل (الشريف) 113
محمدن نال بن امباريكي 103

الصفحة

المختار رئيس فاتنغلي 211
المختار بن أحمد بن الإمام أحمد (الشريف) 113
المختار بن الطالب سيدي أحمد الغلاوي 118
المختار بن محمد بن حمى الله المسلمي 168-171
المختار اسري بن حمى الله بن أحمد بن بوز الحاجي ..... 103، 113، 162، 163
مسلم بن الحجاج 85
معاوية بن أبي سفيان 82
معبد 137
معن بن زائدة 202
المفتي (محمد بن علي) 99
المفضل بن ثابت الطائي 175
المفضل بن محمد الضبي 157
المناوي (محمد عبد الرؤوف) 83
المهلبي (الحسن بن محمد) ..... 75، 76
مولود فال (سيدي - بن محمذن فال اليعقوبي) 149

ن

نافع بن أبي نعيم ..... 98، 102
نافع بن الأزرق 88
نافع مولى ابن عمر 121
النمرود 172
النووي (يحيى بن شرف) 83

هـ

هرم بن سنان ..... 89، 157
هنون 207

و

ورش (عثمان بن سعيد) 102

ي

يحيى بن عمر 120
اليوسي (الحسن بن مسعود) ..... 82، 94

4. فهرس القبائل والعشائر والشعوب

الصفحة

آل (=بنو) انبوجه 94-97

بنو= أبناء = أولاد .....

أنف الناقه 88

امبارك 207-213

حم 213

حم البيض 212

العجلان 88

عمرو بن هنون 212

الفحفاح ..... 207، 210، 211

مم 213

نمير 88

النضير 153

ايدو علي ..... 93، 108

البيضان ..... 199، 200

السودان ..... 208، 209

السوادين = السودان .....

الطلابين = الطلبه .....

الطلبه ..... 207، 209، 210

العرابين = العرب .....

العرب ..... 82، 83، 87، 90، 148، 193، 207، 212

العربان = العرب .....

العلويون = ايدو علي .....

فاتنغلي 211

قريش 94

5. فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة

أرض السودان = السودان .....

باغنه 212

بلاد التكرور= التكرور .....

البلاد التكرورية = التكرور .....

بلاد السودان = السودان .....

التكرور ..... 97، 111، 113

تونس 119

تيشيت ..... 95، 96، 97، 103، 109، 115، 116، 174، 207، 210

الرقيبه 118

السهوه 118

السودان 207

الشام 94

شنجيط 116

العراق 94

فاس ..... 108، 111

فوق 207

القبه 161

كنوال 125

الگبله 108

ماصّ 193

مراكش ..... 111، 151

المغرب ..... 111، 148

مكة 206

مكناس ..... 111، 151

وادان 118

ولاته 117

6. فهرس الكتب

الكتاب	المؤلف	الصفحة
الآجرومية	ابن آجروم	126
الإتقان في علوم القرآن	السيوطي	112
الاحمرار	ابن بونا	102
إحياء علوم الدين	الغزالي	107
الأدب المفرد	البخاري	83
أرجوزة في التصوف	صاحب الديوان	125
الاستيعاب في معرفة الأصحاب	ابن عبد البر	86
الإصابة في وجوب قتل أهل الحرابة	صاحب الديوان	121
إعانة المتوجه المسكين	زروق	111
ألفية ابن بونا الحمراء = الاحمرار	ابن بونا	
ألفية ابن مالك	ابن مالك	102
ألفية العراقي	العراقي	93
البحر المحيط بهم المعدود	صاحب الديوان	111
ـ بعض الكتب الأدبية		87
بغية الآمل بترتيب الكامل		82، 90
تبصرة الحكام	ابن فرحون	112
تحرير الأحكام بتنقيح المقالة في حكم المكتسب تحت الإيالة	صاحب الديوان	121
تحفة الأريب	أبو مدين الفاسي	81، 82، 90
تعليق على المختصر	صاحب الديوان	112
تقرير الأشواط المسعة لحقيقة مضمن المقمعة	صاحب الديوان	123
تكميل المرام	محمد بن عبد القادر الفاسي	157
الجامع بين التسهيل والخلاصة	طرة ابن بونا	102
الجيش الكفيل بأخذ الثار ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار	صاحب الديوان 107، 108، 109، 111، 153، 206	
خزانة الأرب في معرفة أنساب العرب	المؤلف	83، 85، 90

الكتاب	المؤلف	الصفحة
خلاصة ابن مالك = ألفية ابن مالك		
خليل = مختصر خليل		
خميس الدياربكري	الديار بكري	126
الدرر المختصرة في نظم التبصرة	صاحب الديوان	112
رسالة في أنساب العلويين المتفرقين في بلاد التكرور	محمد صالح بن عبد الوهاب	97
الرعيل الأول من علم المنطق الأجل	محمذن فال بن امباريگي	103
الركب المنتصر الجليل في آثار من أنكر تقليد الشيخ خليل	صاحب الديوان	112
سرية الجيش	صاحب الديوان	111، 153، 206
سنن ابن ماجه	ابن ماجة	81، 85
سنن أبي داود	أبو داود	81، 85
سنن الترمذي	الترمذي	81، 85
سيف الله على من كذب أولياء الله	صاحب الديوان	107
شرح الآجرومية	صاحب الديوان	126
الشفا	القاضي عياض	123
صحيح البخاري	البخاري	81، 85
ضالة الأديب	المؤلف	77، 90
ضوء الشموع	الأمير	112
طرة ابن بونا	ابن بونا	102
الظل الممدود شرح البحر المحيط بهم المعدود	صاحب الديوان	112
العصا لذب من عصى	صاحب الديوان	121
فتاوى السيوطي	السيوطي	95
فيض الفتاح شرح المصباح	صاحب الديوان	126
المجموع	الأمير	112
المحاضرات	اليوسي	94
المحكم في الأمثال والحكم	أبو مدين الفاسي	90
المختصر= مختصر خليل		
مختصر خليل	خليل بن إسحاق	112
مختصر خميس الديار بكري	صاحب الديوان	126

الكتاب	المؤلف	الصفحة
المصباح نظم أدوات المغني	صاحب الديوان	126
مغني اللبيب	ابن هشام	126
المفتاح شرح المصباح	صاحب الديوان	126
المقامات	الحريري	76
مقدمة في النحو على نمط الآجرومية	صاحب الديوان	126
منهاج العابدين	الغزالي	105
نسخة السلوك إلى حضرة ملك الملوك	صاحب الديوان	105
نظم الإتقان للسيوطي	صاحب الديوان	112
نظم إعانة المتوجه المسكين لزروق	صاحب الديوان	111
نظم التوسل بأسماء الله الحسنى	صاحب الديوان	126
نظم حظوظ العبد من أسماء الله الحسنى	صاحب الديوان	126
نظم في علم الجداول	صاحب الديوان	126
نظم في المحذوف من ألفات القرآن	صاحب الديوان	126
نظم في النحو	صاحب الديوان	126
نظم مواضع متفرقة من الإحياء للغزالي	صاحب الديوان	107
النفحة القدسية لسالكي نهج المحمدية	صاحب الديوان	105
نور القلب والعين في جواز بيع الغائب بالدين، ومنع المتعصبين على أن ذلك نسيئة للطرفين	صاحب الديوان	123
هداية الغاوي بما للخصم من الدعاوي	صاحب الديوان	123

7. فهرس المحتويات

الصفحة

تقديم المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 5

مقدمة المحقق 7

I. ترجمة صاحب الديوان 10

I. 1. المصادر 10

I. 2. الأسرة والنشأة 18

I. 3. الدراسة والشيوخ والأسانيد 21

I. 4. الانتماء الصوفي 26

I. 5. التأليف والنشاط العلمي 28

I. 6. منزلته في عصره وعلاقاته بأعلامه 33

I. 7. الشعر والشاعر 46

I. 8. الوفاة 52

II. ترجمة المؤلف 53

II. 1. المصادر 53

II. 2. المولد والمنشأ 55

II. 3. الدراسة والشيوخ 56

II. 4. المؤلفات 56

II. 5. الشعر 57

II. 6. الانتماء الصوفي 57

II. 7. العلاقة بالحاج عمر وابنه أحمدو 57

II. 8. الوفاة 59

III. بنية المخطوط ومنهجنا في تحقيقه 60

III. 1. البنية 60

III. 2. المنهج 63

النص محققا 71

مدخل 73

مقدمة 79

الصفحة

الفصل الأول فيما ورد في الشعر 79

الفصل الثاني في نبذة من خبر الوالد رضي الله عنه ونبذة من خبر أسلافه رحمهم الله 91

ـ نسب صاحب الديوان 93

ـ والد صاحب الديوان 95

ـ جد صاحب الديوان 96

ـ أسلاف صاحب الديوان 97

ـ صاحب الديوان 98

ـ شيوخ صاحب الديوان 98

ـ نشأة صاحب الديوان 103

ـ أخلاق صاحب الديوان 104

ـ قضاء صاحب الديوان 104

ـ مؤلفات صاحب الديوان 105

ـ رسائل صاحب الديوان 127

رسالة أولى 127

رسالة إلى السلطان مولاي عبدالرحمن 128

رسالة إلى أكنسوس 129

رسالة إلى الحاج عمر 147

ـ أسانيد صاحب الديوان والمؤلف في الطريقة التجانية 148

ـ رسائل إلى صاحب الديوان من أعلام عصره 150

رسالة من الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي 150

رسالة من أكنسوس 150

أبيات لمحمد صالح بن عبدالوهاب 151

أبيات لخيري بن سيدي بن أحمد دان 152

أبيات لمحمدي بن سيدينا 153

الباب الأول : في المعاني الرائقة والدرر البهية الفائقة 155

مقدمة 157

I. رثاء الشريفة الحسنية بنت فاضل 159

II. رثاء سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي 161

الصفحة

III. رثاء المختار اسري بن أحمد بن بوز الحاجي 162
IV. رثاء سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم 164
V. رثاء المختار بن محمد بن حمى الله المسلمي 168
VI. رثاء حمى الله الصغير بن فاضل الشريف 172
VII. رثاء الشريف محمد بن الشريف سعدي 174

الباب الثاني: في الأمداح الشريفة والأشعار الرائقة المنيفة 177

مقدمة 179
VIII. مدح الشيخ سيدي محمد الكنتي 180
IX. مدح الشيخ سيدي محمد الكنتي 182
X. مدح الشيخ سيدي محمد الكنتي 185
XI. مدح الحاج عمر الفوتي 186
XII. مدح الحاج عمر الفوتي 188
XIII. مدح خطاري بن الشيخ سيدي محمد الكنتي 198
XIV. مدح الشيخ سيدي محمد الكنتي 198
XV. مدح الحاج عمر 199
XVI. مدح الحاج عمر 201

الباب الثالث: في هجاء من يستحق بالمقال الصدق والقول الصحق 203

مقدمة 205
XVII. في الرد على اديبجه الكمليلي 206
XVIII. في شكوى أولاد امبارك 207
XIX. في هجاء بعض المبتدعين 214

خاتمة الكتاب: في بيان تتمة الأبواب الجامعة لغير ما تقدم من الأنواع بأتم بيان وبها تم الديوان 217

- ما قال في السلام والتحية 219
روي الباء (XXI-XX) 219
روي الحاء (XXII) 220

الصفحة

روي الدال (XXIII - XXIV) 220

روي الراء (XXV - XXVI) 221

روي الزاي (XXVII) 222

روي الميم (XXVIII - XXIX) 225

روي النون (XXX - XXXI) 226

روي القاف (XXXII) 226

روي الواو (XXXIII) 227

روي لام الألف (XXXIV) 227

- ما قال في التضرع إلى الله والدعاء والتوسل 228

روي الهمزة (XXXV - XXXVI) 228

روي الباء (XXXVII) 229

روي الجيم (XXXVIII) 229

روي الدال (XXXIX) 230

روي الراء (XL - XLII) 230

روي اللام (XLIII - XLV) 232

روي الميم (XLVI) 234

روي النون (XLVII - XLIX) 234

روي الفاء (L) 237

روي الهاء (LI) 237

روي الياء (LII) 238

متفرقات (LIII - LV) 239

- جامع بقية الأشعار مرتبة على الحروف 241

روي الهمزة (LVI - LVII) 241

روي الباء (LVIII) 242

روي الدال (LIX) 242

روي الراء (LX - LXI) 244

روي اللام (LXII - LXIII) 245

الصفحة

روي الميم (LXV - LXIV) 245
روي النون (LXVI) 247
روي العين (LXVII) 247

خاتمة 249

الملحقات 251

الملحق 1 : ترجمة صاحب الديوان من "ميزاب الرحمة الربانية" لسيدي عبيدة بن محمد الصغير بن انبوجه 253
الملحق 2 : ترجمة صاحب الديوان من "روض شمائل أهل الحقيقة" لأحمد بن مجم 255
الملحق 3 : ترجمة صاحب الديوان من منح الرب الغفور المحجوبي الولاتي 256
الملحق 4 : ترجمة صاحب الديوان والمؤلف من "أخبار الحاج عمر" للمنتقى طال 257
الملحق 5 : أسرة صاحب الديوان من "دراسات حول الإسلام وقبائل السودان" لبول مارتي 258
الملحق 6 : رسالة استجازة إلى صاحب الديوان من أكنسوس 259

المصادر والمراجع 265

I. المصادر المخطوطة 267
II. المراجع والرسائل الجامعية غير المنشورة 268
III. الكتب المطبوعة باللغة العربية 269
IV. المراجع المطبوعة باللغات الأوربية 280

الفهارس 281

1. فهرس الآيات القرآنية 283
2. فهرس الأحاديث النبوية 284
3. فهرس الأعلام 285
4. فهرس القبائل والعشائر والشعوب 294
5. فهرس الأماكن والبلدان 295
6. فهرس الكتب 296
7. فهرس المحتويات 299